ريموند ماكغريغور

RAYMOND MCGREGOR

الفارس الأزرق

THE BLUE KNIGHT

رواية

مكتبة الطفل

1

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

الفارس الأزرق

THE BLUE KNIGHT

مكتبة الطفل

t.me/book4kid

إحدى قنوات

مكتبة

ريموند ماكغريغور
RAYMOND MCGREGOR

①

الفارس الأزرق

THE BLUE KNIGHT

رواية

تعريب

منتدى فايز علمي

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي
THE BLUE KNIGHT
حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من الناشر
BOOKLAND PRESS INC., 15 Allstate Parkway, Suite 600, Markham, Ontario L3R 5B4, Canada
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون
Copyright © 2015 by Raymond McGregor
First published in English by BookLand Press in Canada.
All rights reserved
Arabic Copyright © 2021 by Arab Scientific Publishers

الطبعة الأولى: كانون الثاني/يناير 2022 م - 1443 هـ

ردمك 978-614-01-3398-3

منحة الترجمة
Translation Grant
صندوق منحة الشارقة للترجمة
Sharjah Translation Grant Func

جميع الحقوق محفوظة للناشر

إصدار
الدار العربية للعلوم ناشرون م م ح
مركز الأعمال، مدينة الشارقة للنشر
المنطقة الحرة، الشارقة
الإمارات العربية المتحدة
جوال: 585597200 971+ - داخلي: 0585597200
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها، من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي **الدار العربية للعلوم ناشرون**

facebook.com/ASPArabic twitter.com/ASPArabic www.aspbooks.com asparabic

تصميم الغلاف: علي القهوجي

1

كل صباح، كانت والدة أوين تطلب منه أن يملأ لها دلوين، قبل أن يذهب للعب مع أصدقائه، وهذا ما كان يفعله اليوم. أنزل الدلو الأول إلى قعر البئر، وها هو يسحبه إلى الأعلى ويكابد مع ثقله الأمرّين، وفي النهاية تمكن من رفع الدلو إلى الأعلى.

لكن الماء بدأ ينسكب من الدلو على الحجارة الرمادية التي تحيط بالبئر، ثم ملأ الدلو الآخر بعد أن بلل بنطاله وقدميه، ولكن الجزء الصعب من عملية جلب الماء لم يبدأ بعد، فعليه أن يوصلهما إلى المنزل. خاطب نفسه قائلاً: «لعلّي أتمكن هذه المرة من إيصالهما إلى باب المنزل من دون أن أسكب نصف الماء على الطريق».

كان هذا روتين أوين الصباحي، فهو يتناول فطوره، ثم يتّجه إلى البئر ليجلب الماء لوالدته، ولكن بالرغم من كل الجهود التي يبذلها لم يوفق يوماً في جلب الدلوين من دون أن يسكب نصف محتواهما على الطريق.

كان يسير عبر شوارع القرية مثل سكّير، وحاول أن يتجاهل ضحكات القرويين الذين يسخرون منه ويشيرون إليه بأصابعهم؛

لم يكن الأولاد هم من يسخرون منه فقط بل البالغون أيضاً. كان أوين نحيفاً جداً بالنسبة إلى ولد يبلغ الخامسة عشرة من العمر، وعندما يكشف القميص عن صدره، كان يبدو مثل حيوان أمضى وقتاً طويلاً وهو يعاني من الجوع، وعندما كان يقف بجانب الأولادِ الذين يماثلونه سناً، كان يبدو أصغر حجماً منهم بكثير.

بينما كان أوين يمضي في طريقه سمع أصوات صخب ومن بين ما سمعه: «تعالَ الآن وسلّمها لي، إنّها من أجل الملك».

وسمع أيضاً صوت رجل يقول: «لكن يا سيدي ليس لديّ سوى القليل، من فضلك قل للملك أنني لا أملك ما يكفيني، أنا متأكد من أنه سيتفهّم وضعي».

جال أوين بعينيه محاولاً معرفة من هما الرجلان اللذان يتجادلان؛ كان الصوت الضعيف لتوم ذي الخطوتين والذي حصل على هذا اللقب عندما كان شاباً فقد كان يعتاش من عمله في الرقص، لذلك لا يزال سكان القرية ينادونه «توم ذو الخطوتين» لتكريم الرجل الذي لطالما عرفوه سابقاً على الرغم من الضعف الذي يبدو عليه في الوقت الحالي. أصبح توم أصلع الرأس مع بعض الخصلات البيضاء على جانبي رأسه، وهو يكسب قوته من بيع المخبوزات في الشارع، ولكن في الآونة الأخيرة لم يكن لدى الناس ما يكفي من الأموال ليبتاعوا مخبوزاته، لذلك أصبحت قاسية وتعفّن قسم كبير منها، لذلك فكّر أوين في شراء بعض من هذه المخبوزات ليساعد توم، ولكنه خشي أن يمرض أو يُصاب بسوء إن تناولها. وها هو توم اليوم يتجادل مع اللورد

كروبديغر حتى لا يصادر أفضل المخبوزات والفطائر التي لديه.

«انظر أيها العجوز، الملك يؤمن الحماية لرعيته بمن فيهم أنت، وأقل ما يفترض بك أن تقوم به لقاء هذه الحماية هو المساهمة في ملء طاولته، حتى لو من خلال فضلات الطعام هذه». لم يكن اللورد كروبديغر اسمه الحقيقي، ولكن ذلك ما أطلقه عليه الناس لأنه كان يصادر كل ما يستطيع مصادرته عندما يزور القرية. كان لقبه الحقيقي اللورد كوبينغر. وهو رجل متعجرف طويل القامة يرتدي دائماً الجلد الأسود الداكن على عكس أتباع الملك الآخرين الذين يرتدون دائماً الدروع المعدنية الفضية والذهبية، لأنه أراد أن يميز نفسه عن سائر أتباع الملك بصفته الشخص الذي لا يحتاج إلى درع، كانت عيناه باردتين ونظرته قاسية، وجعلت منه بشرته الجافة أشبه بشخص نصف ميت على الرغم من شخصيته المتعجرفة.

أصرّ توم ذو الخطوتين قائلاً: «أرجوك يا سيدي، هذا كل ما أملكه».

«يجب أن تعطيني كل هذا؟». ثم مدّ ذراعه الضخمة مفتولة العضلات إلى الأمام، وأمسك ببعض أرغفة الخبز التي لا يزال البخار يتصاعد منها، وألقى بها في كيسه، ثم ضحك على توم الذي كان ينظر إليه بغضب وعدم تصديق.

ما إن رأى أوين ذلك، حتى شعر بالغضب يجيش في صدره، فوضعَ دلوي الماء جانباً، وشقّ طريقه نحو اللورد كوبينغر الذي يشعر بالسعادة حين يرى الأشخاص الطيبين وهم يعانون بسبب

ما يُلحقه بهم من أذى.

نادى أوين: «مهلاً.. مهلاً أنت يا كروبديغر!». ثم تقدّم إلى الأمام بلا خوف مبعداً بين كتفيه وموجهاً صدره نحو الأمام، محاولاً أن يبدو أكبر حجماً مما هو عليه في الواقع.

قال كوبينغر ساخراً من الفتى النحيل: «هل تكلمني أيها الولد؟».

نظر إليه أوين نظرة تجمع بين الغضب والرعب: «أجل أنا أكلّمك، لماذا تصادر مخبوزات توم؟ إنّه شخص مسالم لم يؤذِ أحداً في حياته، لا يفترض بك القيام بذلك، أعد له مخبوزاته». بدا أوين غاضباً جداً، خصوصاً وأن اللورد يتعرّض لتوم العجوز الذي يحبه الجميع لأنه شخص لطيف ودمث.

«انتبه إلى ما يتفوّه به لسانك، كي لا أقطعه لك، هيّا اذهب الآن، واهتم بشؤونك الخاصة».

ردّ أوين بغباء: «سأهتم بشؤوني عندما تهتم بشؤونك».

همسَ له توم: «كفى يا أوين؟ امضِ في سبيلك يا بنيّ ولا تتورّط في المشاكل».

قال كوبينغر: «من الأفضل أن تستمع إلى العجوز الأحدب يا أوين، هيا امضِ في سبيلك قبل أن تجعلني أُقدم على شيء تندمُ عليه لاحقاً».

حاول أوين أن يتحدث بصوت أثخن ليبدو أكبر مما هو: «ما تقوله غير صحيح، لدى الملك كثير من الخيرات، لذلك لا أظنه بحاجة إلى ما لدى هذا المسكين، لذا اترك توم وشأنه، وأعد له

مـا أخذتـه منـه» ثم دنا من اللـورد كوبينغر، وحاول انتزاع الكيس منه بواسطة يده اليمنى النحيلة.

نظر الرجل الضخم إلى الأسـفل، ولم يُصدق ما يقدم عليه أوين، ثم ضحكَ ودفعه جانباً كما لو أنه يبعد حشرة. قال توم ذو الخطوتين وهو يتراجع إلى الخلف ويهز رأسـه: «ما الذي تفعله يا بنيّ».

زأرَ كوبينغر: «امضِ في طريقك يا فتى». في تلك الأثناء كان الناس قد احتشدوا لرؤية ما الذي يجري.

بدأت أصوات القهقهة والضحك عندما أدرك الحشد الكبير أنّ أويـن متـورط فـي الجدال. ركض أوين مباشـرة إلى كوبينغر، وحاول مرة أخرى جذب الكيس من يده.

ردّ كوبينغـر بغضـب، ورفـع ذراعـه الضخمة صـوب أوين: «قلـتُ لـك امـضِ في طريقـك!». ثم أمسـك بجبهتـه وعصرها. شـعر أويـن ببراجـم كوبينغـر تضغط على صدغيـه، وتدفع رقبته إلى الخلف، فترنح جسده، وكأنه غصن في مهب الريح، بعد أن ارتفعت قدماه عن الأرض، سقط أرضاً مصدراً دويّاً.

قال كوبينغر: «ربما ستتعلم ألا تدس أنفك في شؤون الملك مـرة أخـرى، وليكـن هذا درسـاً لأي شـخص يرفض الاسـتجابة لطلبات أتباع الملك».

تابـع كوبينغـر تنقلـه مـن بائع إلـى آخر يأخـذ كل ما يريده، ويرمي جانباً السلع والأطعمة التي لا تعجبه وكأنها قمامة.

تنهـد تـوم ذو الخطوتين: «انهض أيها الفتى الغبي». وحاول

مساعدة أوين في النهوض، ولكنه كان أكثر ضعفاً من أوين.

قال أوين: «كنت أحاول المساعدة».

«حسناً، هل ساعدت؟ من الأفضل أن تعود إلى المنزل، لتعالج والدتك الجرح في جبينك. إنه اللورد كوبينغر وحظك جيد أنه لم يعتقلك، هيّا تحركْ واذهب الآن».

اكتفى أوين بالصمت، ونفّذ ما قاله توم، ومضى في طريقه مبتعداً.

وضع يده على جبهته، وتحسس الجرح النازف، ثم فكّر بتوم: «لم يُقدّر أنني كنت أحاول مساعدته»، وتمتمَ بصوت عالٍ: «ما الذي كنت أفكّر به؟».

ضحكت ريبيكا: «إنه يتحدث إلى نفسه بصوت عالٍ كالأحمق». تكبر ريبيكا أوين بسنة ولا تكف عن السخرية منه.

سألتْه ريبيكا: «هل دلوا الماء لك؟». مع أنها تعلم أنهما كذلك.

أجابها أوين: «أجل إنهما لي، ماذا تريدين؟».

تابعتْ ريبيكا كلامها وهي تهز رأسها، وتُحرك ضفائرها إلى اليمين واليسار، وتضع يديها على خاصرتيها: «لا أريد شيئاً... ولكنني أظن أن عليك إعادة ملئهما، لأنهما فارغان».

«ما الذي تقولينه؟ إنهما..».

«أوبس» ثم ابتسمتْ، ركلت أحد الدلوين بقدمها نحو أوين، وتابعت: «أوه كلا، انظر لقد سقط» ثم ضحكت وركلتْ الدلو

الآخر أيضاً، فتناثر الماء باتجاه أوين.

لقد تطلب منه الأمر وقتاً لا بأس به حتى يعيد ملأهما مجدداً، وكالعادة عندما وصل إلى المنزل كانا نصف ممتلئين. توّقف النزف من جرح رأسه، ولكن صوت الدق المستمر في دماغه لم يتوقف. لقد ضربه كوبينغر بقوة، والآن بعدما زالت الحماسة التي كان يشعر بها، وتناقص مستوى الأدرينالين في جسمه، أصبح شعوره بالألم أكثر سوءاً.

«أوين.. يا إلهي ما الذي حدث لك؟».

رفع أوين رأسه لكي ينظر إلى أمه التي كانت تنتظره أمام باب البيت، نظرتْ إلى ابنها بقلق كبير: «دعني أساعدك». ثم تقدمت نحوه، وأخذت الدلوين منه، وأدخلتهما إلى المنزل.

«ادخلْ، ودعني ألقي نظرة عليك».

دخل أوين، وقد نكّس رأسه، وهو يشعر بالعار، وهو يعلم أنّ هناك محاضرة تنتظره، ولم يكن راغباً بها، كان رأسه يؤلمه، وكان تذمر أمه سيزيد من ألمه. قادته والدته صوب ركن تناول الطعام، فأذعن لها، وتكوّر على نفسه، ونظر إليها. لم تكن لمعة عيني والدته الخضراوين تتغيران عندما تشعر بالقلق الشديد، وكان شعرها الطويل والناعم رملي اللون، أما بشرتها فكانت في غاية النعومة.. ولكن هذه المرة رأى أوين قلقها من خلال الخطوط التي ظهرت على وجهها، لم يرغب في جعلها تقلق عليه، ولكنها في معظم الأحيان كانت كذلك. ما من شك أنه يمر بكثير من الظروف المقلقة، لكنه يجيد التعامل معها، أو هذا

ما ظنه.

«مهلاً دعني أجلب شيئاً لأطهّر الجرح، كيف جرحت رأسك؟».

أجابها أوين كاذباً: «لا تقلقي يا أمي، أنا بخير، لقد تعثّرت وأنا أجلب الماء».

«كلا، أنت لست بخير، دعني أنظّف الجرح».

أمسكت والدته بذقنه بحنان الأمهات المعتاد، ثم مسحتْ الدم الجاف عن وجهه بواسطة قطعة قماش مبللة وباردة. كانت تمسح بشدة أكثر مما نوت، لكن أوين لم يحتج، لقد جلس مطيعاً، وتركها تعتني بجرحه. عندما انتهت، أسندت ظهرها إلى الكرسي، ونظرتْ إليه، وابتسمت له بدفء.

قالتْ له: «يا سندي الصغير.. لقد أصبحت بالغاً».

«حسناً هذا يكفي، يجب أن أذهب». ثم قفزَ واتجه نحو الباب.

سألته أمه: «إلى أين؟».

«لأتنزّه، سأتسكّع مع أصدقائي».

تنهدت أمّه، فهي واثقة من أنه لا يقول الحقيقة: «أجل بالطبع، حسناً، لا تتأخر بالعودة من أجل تناول الطعام؟».

«لا تقلقي سأعود في الوقت المناسب».

ثم أدار ظهره، وأغلق الباب وراءه سعيداً لأنه استطاع الفرار من محاضرة أخرى من تلك التي تلقيها الأمهات على مسامع الأبناء.

2

ركض أوين مبتعداً عن القرية، فآخر شيء يريده هو مواجهة المزيد من الأسئلة حول ما حدث مع اللورد كوبينغر. انطلق بسرعة وخفة متسللاً إلى حيث لا يستطيع أحد رؤيته، لقد اعتاد أن يختبئ، فعلى الرغم من أنه لم يكن قوياً، إلا أنه كان سريعاً.

تقع قريته أسفل قلعة الملك، وهي بناء ضخم، يرتفع عدة مئات من الأقدام، ويحرسها الجنود ليلاً ونهاراً، وقد شُيّدت من الحجارة الرمادية داكنة اللون. كان اللون الرمادي يطغى على كامل القلعة باستثناء بوابتها التي كانت تخفّض بين الحين والآخر، حتى يتمكن الفرسان وكبار الزوار من دخول القلعة ومغادرتها، ولكن لم يكن يسمح لعامة سكان القرى بالمرور عبر هذه البوابة. لم يسبق لأوين أن دخل القلعة أبداً، ولكنه تخيل أن اللون الرمادي يطغى على كل شيء بداخلها.

كان أوين يتجه صوب سلسلة الجبال الشرقية، فهو يحب التسلق وكثيرة هي المعالم التي يستطيع الاستعانة بها ليتسلق، لقد أمضى أوين جلّ وقته وهو يتسلق الصخور، حتى أصبح قادراً على تسلقها وهو مغمض العينين، فقد تآلف مع كل ثلم

ووتد يستطيع التمسك به أو يضع رجله عليه. وبمجرد أن يبلغ عمق الغابة وتحيط به الأشجار لن يتمكن أحد من رؤيته هناك أو معرفة مكانه، فيصبح وحيداً ويشعر بالسعادة، لأنه لا يعود هناك عيون تحدق إليه وتدينه، أو أشخاص ينادونه بألقاب ساخرة، ولا يركله أحد، بل يصبح ملك على هذه البيئة الخضراء التي هي بمنزلة قلعته.

وصل أوين إلى وجهته، وتمسك بصخرة كبيرة يعرف معالمها جيداً، وأخذ يتسلق إلى الأعلى، كان التسلق أبطأ من الركض، ولكنه لم يبالِ، وكالعادة كافحت ذراعاه النحيلتان لتسحباه إلى الأعلى، وعلى الرغم من الجهد كان مبتسماً وتابع طريقه إلى الأعلى.

بعد قليل قرر أوين أن يأخذ قسطاً من الراحة، فجلس على جزء مسطح من الصخرة، حيث يستطيع من مكانه رؤية القرية بأكملها في الأسفل، حيث بدت له منازل القرية المسقوفة بالقش، صغيرة جداً مقارنة بقلعة الملك الكبيرة، لم تكن صغيرة فقط لأنه ينظر إليها من بعيد بل لأنها صغيرة بالفعل. استلقى أوين على الصخور ثم وضع يديه خلف رأسه، وأغمض عينيه، وسمح لشعور السلام أن يجري في داخله. لم يكن وجوده بمفرده يسبب له مشكلة، بل في الواقع كان يتطلع دائماً إلى الابتعاد عن الآخرين. بعدما استقر قليلاً في مكانه، ركّز على صوت تنفسه، واستمع إلى هدوء الطبيعة حوله. في العادة كل ما كان يستطيع سماعه عندما يتأمل هو صوت أنفاسه المنتظم.

سمع أوين صوت قرقعة! فنهض بسرعة، وفتح عينيه.

صوت قرقعة آخر! إنّه صوت غريب لم يسبق لأوين أن سمعه طوال فترة قيامه بهذه الرحلات.

تلفت أوين حوله، ولكنه لم يستطع رؤية الشخص أو الشيء الذي يصدر هذا الصوت الغريب. أصوات قرقعة! ها هي تصدر مرة أخرى، وقف أوين وتبع إحساسه وسار بين الصخور، متحركاً ببطء باتجاه الصوت الغريب.

أصبح الصوت الصاخب أكثر قوة ووضوحاً، وكان هناك دخان خفيف يتصاعد نحو الأعلى من بين الصخور، سبق له أن رأى هذا المنظر، ولكنه افترض فقط أنّه إحدى الظواهر الطبيعية مثل بركان صغير مشتعل، ولكن عندما ترافق هذا الدخان مع صوت غريب عرِف أن هناك شخصاً ما، وأنه لم يعد وحده بعد الآن.

تابع أوين السير نحو مصدر الصوت حتى وجد فتحة. فقال: «غريب، لم يسبق لي أن رأيت هذه الفتحة». ثم أقحم رأسه ببطء، وألقى نظرة إلى الداخل فرأى ضوءاً ساطعاً ينبعث منه، لقد كان كهفاً.

انحنى، وحاول التسلل بهدوء إلى داخله. الآن، أصبح صوت القرقعة أقوى بكثير، ولكنه لم يتوقف عن التقدم. رأى خلف الصخور ظلاً ضخماً، يمسك بشيء يتأرجح عالياً، ثم يهبط بقوة، وهذا ما ينتج عنه ضوضاء غير طبيعية، شعر أوين بشيء من التردد في المضي قدماً لأن الظل بدا عملاقاً: «ماذا لو

كان مـن العمالقـة؟ ماذا لو رآني هذا العملاق؟ بالتأكيد يسـتطيع أن يخفيني عن وجه الأرض في لحظة». ثم حاول أن يهدئ من روعه: «لا، هذه فكرة سـخيفة، ليس هناك من عمالقة». وليكون أكثر حذراً، جلس القرفصاء وتابع تحركه، ودُهش عندما تبيّن له أن من يسبب هذه الضوضاء أبعد ما يكون عن العمالقة، فلقد كان شخصاً صغير الحجم نوعاً ما، يرتدي جلداً سميكاً يغطي صدره وقدميه، لقد كان قزماً يعمل في ورشـة حدادة. شـاهده أوين من بعيد وقد جحظت عيناه غير مصدق، كان القزم يضرب بمطرقته الفولاذيـة علـى السـندان بقـوة شـديدة، متعجبـاً مـن العضلات الضخمة لذراعي هذا القزم. كان قصيراً، ولكنه متين البنية، وكان الشـيب يغطي شـعر رأسـه ولحيته الطويلة والكثيفة والتي جدّل شعرها في ضفائر. حدق أوين إلى ظل هذا المخلوق الذي بقي يتحرك خلفه على جدران الكهف بسـبب ألسـنة اللهب الوامضة أمامـه فـي بيـت النار. كان الكهف حاراً جداً، فبدأ العرق يتصبب من أوين، فكّر قائلاً: «حسناً، هذا هو السبب الذي جعل الدخان يتصاعـد مـن الجبـل بين الحين والآخر». راقب أوين القزم لفترة طويلة، ولاحظ أن التجاعيد العميقة تغطي وجهه، لقد كان متقدماً في السن، ومع ذلك ينجز المهمة التي تتطلب كثيراً من الجهد، وشخصاً أصغر سنّاً.

دفـع الفضـول أوين ليتقدم أكثر حتى يعرف أكثر بشـأن هذا الكائن الغريب، فلم يسبق له أن رأى قزماً حقيقياً كما أن والدته أخبرته أن كل الأقزام قد ماتت. كانت هناك قصص عن حروب

قديمة بين الأقزام والبشر، ولكن أوين أعتقد أنها مجرد حكايات قديمة تُروى فقط وليس لها أساس. لكن ها هو يرى أمامه قزماً حقيقياً، إنه قصير ومشعر وعجوز.

استمر أوين بالاقتراب أكثر ليلقي نظرة أفضل على ما يقوم به القزم، ولكنه لم يلحظ حامل السيوف إلى جانبه، فاصطدم به، وأسقط كل ما عليه على الأرضية الحجرية، فأحدث قرقعة عالية.

بعد لحظات، توقف صوت القرقعة، والتفت القزم الذي بدا مرعوباً وغاضباً جداً صوب أوين مباشرة. كانت عينا العجوز تخترقان أوين كما تخترق سكين حارة قطعة من الزبدة، فتجمد أوين ولم يعرف إن كان عليه أن يهرب.

صرخ القزم على أوين بصوته الخشن والعميق الأقرب إلى صوت الحيوان من الإنسان: «من أنت؟».

«اسمي... آه... اسمي أوين، سمعتك تعمل و...».

دوّى صوت القزم: «اخرج!» ثم رفع المطرقة عالياً كما لو كان يجهزها ليضرب بها: «الآن، قبل أن أحطم جمجمتك بهذه المطرقة». ظل أوين واقفاً مكانه، ولم يستطع الإتيان بأي حركة، لقد كان مذهولاً: «أنا آسف، أنا...».

أعاد القزم بصوتٍ عالٍ: «قلت لك اخرج».

ارتجف أوين من الخوف، وشعر بالقشعريرة تجتاح ذراعيه على الرغم من حرارة الكهف العالية، لقد أراد حقاً أن يتحدث إلى القزم، ولكن بدا له الأمر مستبعداً في الوقت الحالي أو في أي وقت قريب.

تمتم القزم: «إنسان غبي». ثم ألقى مطرقته مباشرة صوب أوين الذي ابتعد بشكل غريزي في اللحظة الأخيرة، وتجنب اصطدام المطرقة برأسه، ارتطمت المطرقة بالصخر بقوة، ثم سقطتْ عند قدمي أوين.

قال أوين وقد بدا يبكي من الخوف: «احذر، كدت تصيبني».

قال القزم بصوت يشبه النباح: «اخرج!». هذه المرة بدلاً من إلقاء أجسام غريبة ركض القزم باتجاه أوين. وصلت أصابعه القصيرة والخشنة إلى أوين، وبدا أنها تريد أن تطوق رقبته.

استطاع أوين أن يتفادى الهجوم، وأطلق ساقيه للريح، ليتفادى أن يقبض عليه القزم، وكاد يتعثر في طريقه إلى الخارج، ولكن القزم العجوز كان رشيقاً وسريعاً بشكل مدهش. اصطدم أوين بالعديد من القطع المعدنية المختلفة التي كانت منتشرة في شتى الأرجاء، فأسقطها أرضاً، ونجم عن ذلك أصوات ارتطام مرتفعة، وذلك في الوقت الذي كان فيه أوين يبحث بيأس عن المدخل.

تمتم القزم بغضب وهو ينادي أوين: «تعال إلى هنا أيها الإنسان، لتنال عقابك عما سببته من فوضى». انطلق أوين متجاوزاً النار والسندان والمطارق والسيوف وكتل الفولاذ والخشب، ولكنه اصطدم بطاولة كدست عليها أشرطة وكتل من الجلد، فأسقطها، اندفع القزم باتجاه الطاولة بينما تراجع أوين إلى الخلف خائفاً فارتطم رأسه بصخرة كانت خلفه.

شعر بألم شديد في جمجمته، ولكن في الوقت الذي كان

يفكر فيه بالألم عاود القزم هجومه مجدداً، وتجاوز الطاولة لأن ذراعيه القصيرتين لم تتيحا له الوصول إلى أوين. تابع أوين الركض وقفزه فوق الأشياء التي أسقطها، واندفع خارج الفتحة تماماً في اللحظة التي سمع بها القزم يقول: «أمسكت بك!» وشعر بشيء يلمس كتفه من الخلف.

خرج أوين من الكهف، ولم ينظر خلفه أبداً، ركض عائداً إلى أسفل الجبل، ونزل بسرعة لم يسبق له أن بلغها قبلاً، صحيح أنه لم يعد يسمع صوت القزم يلاحقه، إلا أنه مع ذلك لم ينظر خلفه.

عندما وصل إلى الأرض الترابية مرة أخرى، سلك درباً بين الأشجار، وأخذ يركض بشكل محموم، واصطدم عدة مرات بجذوع الأشجار. في النهاية وصل إلى نهاية الغابة، وتوجه صوب القرية، وظل يركض على الوتيرة نفسها حتى وصل إلى تخوم القرية عندها خف خوفه، فنظر إلى الخلف، وعندما وجد أن القزم لم يعد في إثره توقف عن الركض.

لقد أوشكت الشمس على الغروب، وستشعر والدته بالقلق عليه. هرول أوين إلى المنزل، وهو يفكر طوال الوقت في الكهف والكائن الشرير الذي يقيم فيه. قرر ألا يخبر والدته بما شاهده لأنها لن تصدقه، وإن صدقته فستشعر بالخوف عليه، ولن تسمح له بالعودة مرة أخرى.

في تلك الليلة، تناول أوين طعامه بصمت، وبعد أن ساعد والدته في تنظيف الأطباق، توجه مباشرة إلى سريره، وبعد أن

ارتدى ملابس النوم، جلس في السرير، وأخذ يحدق عبر النافذة إلى الجبل، حدق لفترة طويلة، وبدا متأكداً أنه رأى دخاناً يخرج من بين الصخور البعيدة، لكنها كانت مجرد نار وهمية. في الوقت الذي كان يفكر فيه بالقزم كانت النجوم تتلألأ في السماء الصافية.

فجأة ومضت شرارة ما، ركّز أوين فرأى شيئاً ساطعاً وأزرق يندفع عبر السماء، وتحرك بسرعة شديدة لدرجة أنه كاد ألّا يراه، بدا له وكأنه نجم يهوي من السماء، ولكنه لم يكن نجماً، بل كتلة من اللهب تعبر السماء.

3

تلـك الليلة، بالكاد اسـتطاع أويـن أن ينام، فقد أمضى الليل بأكمله، وهو يستعيد ذكريات هروبه من القزم الغاضب. وردد في ذهنـه: «قـزم حي حقيقي». فكّر مـراراً وتكراراً في الأحداث التي جـرت، وحـاول تخيل ما كان سـيحدث لـو أنه تصرف على هذا النحو أو ذاك، وما كان سيحدث إن قبض عليه القزم، وتخيل أنه تعارك معه، وجذبه من لحيته البيضاء، وألقى به أرضاً. لكن تلك كانت مجرد أحلام، والأحلام أحياناً تدفع الإنسـان إلى التفكير فـي مزيـد من التخيلات والأشـباح غيـر الموجودة وهذا بالضبط ما حصل له.

في الصباح، وبمجرد أن أنهى أوين أعماله المنزلية الروتينية، وجد نفسـه مجدداً يتسـلق صخور الجبل الشـاهق، فهو لم يكف عـن التفكيـر فـي الأمر طـوال الليلة السـابقة، وعندما كان يتناول فطوره، وجد صعوبة في الحفاظ على صمته ولا يسأل والدته عن الأقزام. قال أوين وهو يحرّك الملعقة ببطء في العصيدة اللزجة: «أمي».

قالت مبتسـمة: «نعم يا عزيزي؟» كان يكفي أن يكون أوين

بجوارها لتبقى مبتسمة.

«هل سبق لك أن سمعتِ عن الأقزام؟ أعني.. شيئاً مثل الأقزام الحقيقية؟».

ضحكت بخفة: «الأقزام؟... كلا بخلاف القصص التي كان يرويها أبي عندما كنت طفلة».

لاحظ أوين أن والدته قد تملك بعض المعلومات: «أي نوع من القصص؟».

«أوه مجرد حكايات خرافية وأشياء من هذا القبيل، لكن لماذا تسأل؟».

«مجرد سؤال»، ثم حاول التستر على اهتمامه الكبير بالموضوع من خلال النظر إلى طبق العصيدة والتظاهر بإعجابه الشديد.

جلسا بهدوء لبعض الوقت، قبل أن يسأل أوين مرة أخرى: «حسناً، عندما أخبرك جدي بتلك القصص، هل كانتْ الأقزام هي الشخصيات السيئة دائماً؟».

نظرتْ إلى أوين بعينين نصف مغمضتين وهي تحاول التذكر: «حسناً.. لقد مرّ وقت طويل جداً على ذلك، ولكن كما أذكر، لقد كانوا الشخصيات السيئة، كان هناك دائماً نوع من القتال أو الشجار بينهم وبين شخص ما. ولكن لم تكن كل القصص عنهم، من الغريب أنك تسأل عن الأقزام الآن، فلم يسبق لك أن أبديت اهتماماً بهم».

قالتْ أمه ذلك بطريقة من التلميح، وهي تأمل أن يشرح لها

سبب فضوله. كان يعلم ذلك، ولكن إذا أخبرها بالحقيقة، فلن تكون النتائج جيدة، لذلك اختار أن يقول شيئاً آخر: «آه، حسناً. بالأمس تحدث أحد أصدقائي عن الأقزام، وفكرت أنهم ربما لا يزالون موجودين هنا بالجوار.. أعني إذا كانوا حقيقيين أصلاً».

«حسناً، سأكون حريصة إذا رأيت أحدهم يوماً فسأعرّفك إليه» ثم سألته مازحةً: «هل هذا جيد؟».

«رائع، شكراً لك أمي». عاود أوين النظر إلى طبق العصيدة.

هذا ما حدث صباح اليوم، أما الآن فها هو يسلك طريقه مرة أخرى إلى الكهف، كان عليه أن يرى القزم مرة أخرى، شيء ما في داخله أخبره بأن القزم لن يؤذيه أو هذا ما كان يأمله. استعاد أوين في ذاكرته ما قام به بالأمس ليصل إلى وجهته، وعندما وصل إلى الحافة التي اعتاد الجلوس عليها، توقف قليلاً ليلتقط أنفاسه، ثم تابع الصعود سالكاً المسار نفسه الذي أوصله بالأمس إلى فتحة الكهف المخفية، وأدرك أنه ما كان ليجد هذه الفتحة ما لم يسمع الضوضاء الصادرة منها.

تنفس أوين بعمق، ونظر إلى السماء، ثم أغمض عينيه وهمس لنفسه: «هذا لا شيء». وتوجه إلى الفتحة، وخطا بسرعة إلى الداخل. كان الكهف مظلماً، باستثناء بعض الوميض الخافت الآتي من الفتحات عند الزاوية، توغل أوين أكثر وهو يحبس أنفاسه وقلبه يخفق بقوة ويكاد ينفجر داخل صدره.

إنه في الكهف الآن، في المكان الذي انفتح فيه الكهف على غرفة أخرى أكبر. أخيراً، تنفس بعمق، وتنهد مرتاحاً عندما

اكتشف أن القزم ليس في الداخل.

نـادى أويـن: «مرحباً». وأنصت إلى صدى صوته، ثم جرّب مـرة أخـرى: «هل مـن أحد هنا؟». ولكن الجـواب الوحيد الذي سمعه كان صدى صوته المرتد عن صخور الكهف.

مشى صوب مصدر الضوء، وحمل مشعلاً كان معلقاً على الحائط. ثم استكشف حوله، فأدرك أن الكهف هائل المساحة. كان الحطـام لا يـزال مبعثـراً على الأرض نتيجـة مواجهة الليلة الماضية، لقد رأى في إحدى الجهات طاولة مقلوبة وهي التي كانـت مكدسـة بالأمـس بالجلود والعديد من الشـظايا الأخرى المتناثرة بشـكل غير منتظم أبداً والتي بدت مثل الحشـائش في وسـط المـرج، أمّـا علـى امتداد الجـدران الأخرى فـكان هناك كثيـر مـن الأسـلحة المعدنيـة والـدروع الملقـاة علـى الأرض، فكّـر أويـن: «لا عجـب أن جـنّ جنونه هكذا». مـن الواضح أن هـذا القـزم الحـداد بارع في صنعتـه حيث كانت كل قطعة تلمع مثل لمعان نجوم الليل عندما يسقط عليها ضوء المشعل الذي يحملـه. بينمـا كان أويـن يقـدم في طريقه لاحـظ وجود العديد من المشـاعل معلقة على الجدران، كان يميل باتجاه كل واحد ويضيئه، وسرعان ما أنارت المشاعل كامل الكهف، فأدرك أوين مقدار الخراب الذي سـببه، فشـعر بالذنب، فهو السـبب في كل هـذه الفوضـى، كان الأمـر أشـبه بعاصفة عاتيـة دخلتْ ودفعتْ كل شيء.

وضـع أويـن المشـعل فـي مكانـه، وبدأ بتنظيـف الكهف،

وفكر أن القزم إن أتى ورأى أنه نظّف الفوضى، ورتب المكان ربما يخف غضبه عليه. بدأ بالعمل بالقرب من مدخل الكهف، ووضع الأسلحة التي اصطدم بها أولاً، لقد كانت السيوف ثقيلة ويصعب عليه رفعها، لذلك اضطر إلى استعمال يديه ليعيد كل واحد منها إلى المكان الذي يظن أنه سقط منه، بعد ذلك توجه إلى مجموعة من الخوذات، وعمل على وضعها على رف خشبي سميك مصنوع ليتحمّل أشياء ثقيلة الوزن، أمسك كل واحدة منها بمفردها ودقق فيها، فدُهش من براعة صنعها، لقد صنعت كل واحدة منها على شكل رأس حيوان معين، فكان لإحدى الخوذات قرنا ثور منتصبان إلى الأعلى، وحفر على خوذة أخرى رأس أسد، وقد نحتت كل شعرة من شعرات لبدته ببراعة فائقة.

لم يسع أوين إلا أن يتساءل عن مقدار الوقت الذي أمضاه القزم في صناعة مثل هذه القطعة، ولكن أكثر ما أثار دهشته هو وزنها؛ فلقد كانت ثقيلة جداً، حاول أوين أن يضعها على رأسه، إلا أنها سقطت بمجرد أن حاول المشي بها، فأسرع في رفعها عن الأرض، وهو يأمل ألا يكون قد ألحق بها ضرراً. لحسن حظه لم يحدث لها شيء. بعد ذلك رفع قطعة معدنية ذات شكل غريب تشبه أنف كلب مع أنياب مصنوعة لتستقر أمام فم الشخص الذي سيعتمرها. بعد أن انتهى من ترتيب الخوذ على الرف، تابع عمله في ترتيب الفوضى، وأعاد الطاولة إلى وضعيتها السابقة، ثم رتب قطع الجلد والصوف في عدة كدسات وفقاً لحجمها أو نوعها،

فاستغرق الأمر وقتاً أطول مما توقع، ولكنه لم يبالِ، فقد بدأ يشعر بالتحسن بعد أن أعاد تنظيم الفوضى التي تسبّب بها. هناك العديد من الأدوات المعدنية الأخرى أيضاً: المطارق، والسندان، والملاقط، والأزاميل، والخرامة الثاقبة، وصندوق كبير مليء بالفحم.

لحسن حظ أوين، كان صندوق الفحم في مكانه. وضع الأدوات حيث افترض أنها يجب أن تكون على الطاولة وعلى الخطّافات، ثم رتبّ ما بقي من الأسلحة والزخارف على الطاولات والرفوف حتى عاد الكهف مرتباً كسابق عهده.

في النهاية، خاطب نفسه وهو يمسح يده بالأخرى وينظر حوله: «لقد أصبح الوضع أفضل». سمع صوتاً من خلفه: «لكنك نسيت شيئاً واحداً». استدار أوين ليرى القزم يقف خلفه، ويضع يديه على خاصرتيه، وقد رفع حاجبيه ونظر إليه نظرة اتهام. بعد ذلك توجّه صوب أحد الدروع، ورفعه عن الأرض ووضعه مكانه: «الآن يمكن القول إن الكهف عاد إلى سابق عهده».

قال أوين بتردد: «هل.. أنت من صنع كل هذا؟».

«نعم، بالتأكيد. ولكن لماذا عدت؟ ظننت أني أخبرتك أن تغادر»، ثم حدق إليه بقساوة. ارتجف أوين من الخوف وهو يأمل ألا يحاول القزم الغاضب مهاجمته مرة أخرى، قال: «أجل سيدي، لقد قلت لي أن أبقى بعيداً، ولكنني خجلت من نفسي لأنني تسببت بكل هذه الفوضى بالأمس، واعتقدتُ أنني مدين

لك باعتذار، لذلك أنا آسف». ردّ القزم: «أفف» قالها بطريقة بدا فيها غير واثق من الطريقة التي يفترض به قبول الاعتذار، ثم أكمل: «اخرج الآن ولا تعد مجدّداً». وأشار إلى الباب.

«حسناً». شعر أوين بالراحة لأنه لم يتشاجر مع القزم مجدداً، لكنه شعر بشيء من الخيبة، لأنه أراد أن يتبادل الحديث معه، ولكنه استجاب لطلب القزم، ومشى نحو الفتحة، فناداه القزم: «انتظر».

استدار أوين مبتهجاً بعد أن تجدد الأمل لديه بالبقاء والتحدث إليه: «نعم؟».

«إذا أردت حقاً أن تعوّض عما فعلته ليلة أمس، فهناك شيء واحد أحتاج إليه، لكن..» ثم توقف قليلاً قبل أن يكمل: «عندما ننتهي من هذا، لا تعاود المجيء إلى هنا، كذلك لا تخبر أحداً عني أو عن الكهف».

«أجل بالتأكيد، سأنفذ كل ما تطلبه».

ثم مدّ يده وسار نحو القزم: «اسمي أوين».

نظر القزم إلى أوين بتساؤل.

«حسناً، الآن تعال معي».

صُدِم أوين: «حسناً؟». ثم مشى القزم مبتعداً عن الكهف تاركاً أوين واقفاً هناك ويده ممدودة.

ناداه أوين: «انتظر». ثم ركض محاولاً اللحاق به.

كانت السماء صافية والجو دافئ خارج الكهف، ولدهشة أوين كان القزم يسير بسرعة، وأصبح بعيداً عنه.

صرخ أوين وهو يركض: «مهلاً! ولكن ما اسمك».

تابع القزم تقدمه، وتجاهل أوين تماماً.

في الوقت الذي ظل فيه القزم يسرع الخطى، حاول أوين مجاراته وسأله مجدداً: «ما اسمك؟».

قال القزم متذمراً: «لا تهتم به».

«أوه أنت، هيا لقد قلت إنني آسف. فقط اعتقدت أنه.. وبما أننا نمشي معاً فعلينا...».

توقف القزم ومدّ يده ممسكاً بأوين من ياقة قميصه ضاغطاً أصابعه على ذقنه: «لقد اعتقدت أننا يمكن أن نكون صديقين أليس كذلك؟ حسناً يا فتى أنا لست مثلك، ولن أكون صديقك لا اليوم ولا في أي وقت قريب، أنا قزم وأنت إنسان، وكل ما في الأمر أنني احتاج إلى مساعدتك، وأنت ستنفذ ما أقوله حرفياً، ثم تذهب وتتركني بمفردي، الأمر أفضل بهذه الطريقة، الآن افعل ما أُمِرْت به، وابقَ صامتاً، وإلا سأفصل رأسك عن جسدك وأطعمه للغربان السود، هل تفهم ما أقوله؟».

نظر أوين إلى عيني الحداد اللتين كان الشرر يتطاير منهما، بدت شخصية القزم قوية بشكل استثناني مقارنة بفتى بمثل سنه: «حسناً سيدي، سأبقى هادئاً».

«جيد، امشِ خلفي ولا تتفوّه بأي كلمة».

أفلت القزم أوين، فاصطدم أوين اصطداماً مؤلماً بالأرض قبل أن ينهض وينفض الغبار عنه، ثم تابع القزم الغاضب سيره.

جاهد أوين للحفاظ على صمته، لقد أراد بشدة أن يطرح

عليه مزيداً من الأسئلة الأخرى، حاول أن يبقى صامتاً، ولكن بعد لحظات، تغلب عليه فضوله، ونسي كل ما قاله للتو عن التزام الصمت وسأله بحماسة: «إلى أين نحن ذاهبان؟». استمر القزم بالتحرك بسرعة إلى وجهته، يتذمر طوال الطريق.

«هل سنذهب لرؤية مزيد من الأقزام؟ لم يسبق لي أن رأيت أي قزم، بالطبع أعني باستثنائك، حسناً، في الحقيقة لم أكن أعرف حتى أنهم.. أعني أنكم موجودون...».

توقف القزم وقال: «ألم آمرك أن تلتزم الصمت؟». لم يلحظ أوين ومن شدة انشغاله بالحديث وجود عربة يد خشبية كبيرة تنتظر وصولهما.

«نعم لقد قلتَ ذلك، أنا آسف، ولكنني كنت أحاول أن أتبادل الحديث معك، أنت تعلم ما أقصد من الصعب حقاً أن تبقى صامتاً طوال فترة المشي».

تمتم القزم لنفسه: «البشر كائنات مزعجة جداً».

قال أوين وهو يحاول افتتاح محادثة: «حسناً قد أكون مزعجاً، ولكن على الأقل لست وقحاً».

قال القزم بصوت أقرب للصراخ: «لست وقحاً؟ لقد اقتحمتَ كهفي، وقلبتَ كل شيء فيه رأساً على عقب، ثم عدتَ مرة أخرى بعد أن أخبرتك ألا تعود أبداً، وتقول لي إنني وقح؟ أجل أنتَ مزعج وغبي أيضاً!». كان صدره الصغير يرتفع وينخفض وهو يتكلم، بدا واضحاً لأوين أن هذه الشخصية القصيرة غاضبة جداً منه.

«حسناً أنت محق، ولكنني قلت إنني آسف، وها أنا ذا جئت لمساعدتك. كل ما أريده هو وضع الأمور في نصابها الصحيح، لذلك أخبرني إلى أين نحن ذاهبان الآن؟».

تنهد القزم: «كان يجب أن ألقي بك من جرف الجبل بدلاً من جلبك معي إلى هنا». بدا القزم وكأنه يعني ما يقوله، ولكن كان لدى أوين شعور خفي بأن هذا المخلوق لن يؤذيه فلو أراد ذلك ما كان لينتظر كل هذا الوقت.

«لكنك لم تفعل ذلك، وها أنا ذا أقف أمامك هنا، لذلك إلى أين نحن ذاهبان؟».

«أكليثوتيكوليا» شتم القزم في سره ثم قال: «حسناً إليك ما تريد معرفته، لقد وصلنا إلى المكان الذي نقصده. في الليلة الماضية سقط شيء من السماء، وأنا أريد الحصول عليه، أحتاج مساعدتك لجلبه باستخدام هذه العربة، هل أنت سعيد الآن؟».

شعر أوين فجأة بالإثارة: «انتظر، هل تقصد ذلك الشيء الأزرق؟ أنا أعرف ما الذي تبحث عنه؟». ثم ركض نحو عربة اليد، وأمسك بمقبضيها واستعد لتحريكها وقال: «ولكن ماذا كان ذلك الشيء؟».

«إنه نوع من النيازك» ثم سأل القزم ساخراً: «هل تعرف ما هي النيازك أم يجب عليّ أن أشرح لك؟».

تجاهل أوين الإهانة، لقد منعه فضوله من التورط في جدال عقيم: «نعم أعرف ما هي النيازك، لكن ذلك النيزك كان غريب الشكل، لم يسبق لي أن رأيت شيئاً أزرق يسقط من السماء».

«ذلك لأن هذا النوع من النيازك يسقط مرة واحدة كل بضعة آلاف من السنوات، إنه هنا الآن، أحضر العربة وساعدني في رفعه». دفع أوين عربة اليد إلى أعلى تلة صغيرة، ونظر إلى الأسفل ليتفاجأ برؤية صخرة زرقاء كبيرة: «انتظر، هل تظن أنني وإياك نستطيع رفع هذا الشيء بمفردنا؟ إنه ضخم جداً، وثقيل جداً، من المستحيل أن نقدر على..».

شعر أوين بيد القزم وهي تسحبه إلى الحفرة، ولكنه لم يستطع فعل أي شيء لإيقافه، وصل أوين إلى الصخرة، فمرر يده على سطحها مصدوماً وهمس: «إنها ناعمة للغاية».

«هيا الآن توقف عن التحديق وارفعها من جهتك».

«لا أستطيع أن أرفع شيئاً بهذا الحجم، هل أنت مجنون؟».

صرخ القزم غاضباً: «افعل ذلك!».

«لكنها صخرة ضخمة، بالكاد استطعت رفع خوذك في الكهف، من المستحيل أن أتمكن من تحريك شيء بهذا الحجم».

تنهد القزم مرة أخرى: «هل أنت دائم التذمر؟ استمع يا فتى، هل سبق ورأيت صخرة مشابهة لهذه؟».

أجاب أوين: «كلا» .

«حسناً، قبل أن تقول إنك لا تستطيع فعل ذلك، حاول أولاً، إنها ليست كما تظن، أنا لا أقبل عبارة «لا أستطيع» بل عبارة «سأحاول»، هل فهمت؟».

«أنت مجنون بكل ما للكلمة من معنى، ولكن حسناً سأفعل ما تأمر به سموك». استغل أوين الفرصة ليسخر منه.

انحنى أوين وهو يهز رأسه غير مصدق أنه سيحاول تحريك هذا الشيء من مكانه. وضع يديه تحت الصخرة وبكل ما أوتي من قوة حاول رفعها عن الأرض، ولدهشته، ارتفع الجانب الذي يمسك به من الصخرة في الهواء.

صرخ أوين: «واو!». ضحك القزم على البشري الغبي الواقف أمامه: «ألم أخبرك؟ يمكنني أن أحملها لوحدي في الحقيقة، ولكن قطرها كبير بالنسبة إلى عربة اليد. الآن ساعدني في وضعها على العربة، لأنقلها إلى الكهف».

للمرة الأولى في حياته، لم يعرف أوين بماذا يجيب، لذلك اكتفى بتنفيذ ما طلبه منه القزم، ورفع الصخرة بكل سهولة، ثم وضعها برفق على العربة. قال القزم: «الآن سأدفع العربة وأنت ستسند الصخرة لتحول دون سقوطها، هل تستطيع فعل ذلك؟».

قال أوين بسعادة: «بالتأكيد!».

سارا في طريق العودة، وكان أوين مندهشاً من الصخرة. كان لديه العديد من الأسئلة، ولكنه لم يعرف ما مقدار المعلومات التي يستطيع الحصول عليها من القزم، أخيراً سأله: «حسناً، كيف تعرف ما هو هذا الشيء؟».

«إنه حجر اللازورد (فلز سماوي الزرقة يستخدم للزينة ويعتبر من الأحجار الكريمة)، أو دعني أقل إن هذه هي ترجمة الاسم إلى لغتك». تفاجأ أوين لأن القزم أجابه هذه المرة. تابع أوين بطرح الأسئلة وهو يأمل أن يجيب القزم مجدداً: «ما الذي تفعله هذه الصخرة؟».

قالها بنوع من السخرية: «إنها تعزف موسيقى الروك، ما الذي تظن أنها تفعله؟».

«أجل، بالطبع أعلم أنها مجرد صخرة، ولكن إذا كانت مجرد صخرة فلماذا تريد الحصول عليها دون غيرها من الصخور؟».

«هل أنت فتى غبي؟ أنا حداد، برأيك لماذا أريدها؟».

قال أوين بصوت عالٍ: «كلا أنا لا أفهم لماذا تريدها».

تنهد القزم مرة أخرى: «برأيك من أين تأتي المعادن؟».

«من الأرض.. المعادن موجودة في الصخور وهذه الأشياء؟». قالها بطريقة أقرب إلى السؤال منها إلى الجواب.

«صحيح، ربما لست غبياً بالقدر الذي ظننته».

«حسناً، أنت تقول إن هناك معادن في الصخرة وستحصل عليها، حسناً لقد فهمت هذا منطقي. كلا انتظر هذا ليس منطقياً، المعادن ثقيلة الوزن والصخرة خفيفة، هناك تناقض..».

تمتم القزم مرة أخرى لنفسه بلغة لم يتمكن أوين من فهمها: «لقد وصلنا الآن، لقد ساعدتني كما طلبت منك، الآن عدْ إلى منزلك».

قال أوين وهو يشعر بالخيبة: «انتظر هل هذا كل شيء؟ لقد ساعدتك، وكل ما ستفعله هو إرسالي إلى المنزل، لم تخبرني حتى باسمك».

«ولن أخبرك، والآن عدْ إلى منزلك فلا حاجة لي بك بعد الآن».

ثم نظر القزم إلى الصخرة ودحرجها نحو فتحة الكهف

الواسعة، حتى اختفى خلف الجدار، وترك أوين يجلس في الخارج غير مصدق ما الذي أقدم عليه القزم، ثم وقف وصرخ في الكهف: «على الرحب والسعة!». واستدار وشق طريقه عائداً إلى أسفل الجبل باتجاه المنزل.

مكتبة الطفل

t.me/book4kid

إحدى قنوات

مكتبة

4

في صباح اليوم التالي، استيقظ أوين على أصوات صراخ ومشاجرة في الخارج، نظر من النافذة، فرأى رجال الملك يعتدون على أهل القرية بالضرب بحثاً عن شيء أو شخص ما، وفجأة انفتح باب منزله، وبدأت والدته تصرخ.

ركض أوين إلى المطبخ، فوجد جندياً يمسك برقبة والدته، ويصرخ في وجهها من تحت خوذته اللامعة: «أين الولد؟». كان الجندي مغطى بدرع معدني من الفضة والذهب من رأسه حتى أخمص قدميه.

تحت خوذته كانت الدروع تغطي رقبته ثم تغطي تلك الصفائح المعدنية الصلبة اللامعة كتفيه حتى يديه لتحميهما. صاح أوين: «اترك أمي وشأنها!». ركض وأمسك الجندي من ذراعه محاولاً إبعاده عن والدته.

قال الجندي وهو يلقي والدة أوين جانباً كخرقة متسخة غير مرغوب بها: «ها أنت ذا، لديّ بعض الأسئلة لك».

صرخ أوين بشجاعته المعتادة: «اتركونا وشأننا» قال ذلك، ولكنه كان يشعر بالخوف في داخله.

أمسك الجندي بكتف أوين، وخرج جاذباً أوين معه. صرخت والدة أوين وبدا الخوف جلياً في صوتها: «إلى أين تأخذه، ماذا تريد من ابني؟».

«سيطرح الملك بعض الأسئلة على ابنك، هذا ليس من شأنكِ».

«لكنه لم يفعل شيئاً، اتركه وشأنه».

استدار الجندي وهو لا يزال ممسكاً به بإحكام: «من الأفضل لكِ البقاء هنا وإغلاق فمكِ، وإذا اعترضتِ طريق الملك، سأضعك في السجن بتهمة الخيانة».

كان الجندي يدفع أوين باتجاه الباب، في تلك الأثناء كان أهل القرية قد اصطفوا على جانبي الطريق، وقد ارتسمت على وجوههم علامات الخوف والرعب. يعلم الجميع أن التدخل في أمور رجال الملك ممنوع، ولكن الفضول دفعهم لمعرفة ما يجري.

سقط أوين على الأرض، لكن سرعان ما سُحب بقوة باتجاه قدمي شخص ما. عندما نظر إلى الأعلى، تبين له أنه اللورد كوبينغر الذي كان يضع يديه على خاصرتيه فقال أوين لنفسه: «أوه، ليس مرة أخرى». سأله كوبينغر وهو يبتسم بتكلف: «أنت؟» ثم أمره: «قف». فعل أوين ما أُمر به. كان يسمع أصوات الهمهمة القادمة من الحشد المحيط، ويشعر بنظرات الازدراء والرفض التي تخترقه كما يخترق سكين حار الزبدة.

سأل كوبينغر: «هل هذا هو الولد؟».

«أجل هذا هو ذلك المزعج».

استطاع أوين أن يتعرف إلى الصوت مباشرةً، لقد كان صوت ريبيكا تلك الفتاة التي ركلت دلوي الماء، والتي لا تكف عن السخرية منه، وتجعله أضحوكة الشارع، كانت تقف هناك في طليعة الحشد وتنظر إليه بغضب: «إنّه الشخص الذي يذهب ويلعب في الجبال، إنّه يذهب كل يوم إلى هناك، وهو يسبب المتاعب دائماً، خذه بعيداً». أصرّ أوين: «ما الذي تتحدثين عنه؟ أنا لم أفعل شيئاً».

سأل كوبينغر: «هل كنت تتسلق بالأمس؟».

شعر أوين بألم في بطنه وقال في سره: «إنهم يعلمون بوجود القزم». ثم قال: «أجل أنا أتسلق الصخور من حين إلى آخر، أنا لا أفهم ما المشكلة، أنا لا أؤذي أحداً، ما المشكلة؟». حاول أوين ألا يبدو جريئاً جداً، فآخر ما يريده هو أن يُلقى به في السجن... أو ما هو أسوأ من ذلك.

«حسناً، لا بد أنك رأيته، أين هو؟».

«ما الذي تسألني عنه؟ أنا لا أعرف ما الذي تتحدث عنه». كان أوين يفكر في إخبار كوبينغر عن القزم. خاصة أنه أخبره أنهما ليسا صديقين، ولن يكونا صديقين أبداً، فإذا أعطى الملك ما يريد، فربما سيمدحه الناس ويصفونه بالبطل، لكن شيئاً ما يخص هذه الفكرة أزعجه، ففي النهاية لم يؤذِ القزم، رغم أنه كان يستطيع فعل ذلك.

«لا تؤدّي دور الغبي معي يا ولد، فقد رآه الجميع ليلة أمس،

نحن نعلم أنك كنت هناك، والآن لا نستطيع إيجاده؟».

فكّر أوين: «انتظر لحظة، إذا كان يقول إن الجميع رأوه فلِمَ لا يذهبون ويجلبونه فقط؟».

«أين الحجر؟ حجر اللازورد؟».

أدرك أوين أن كوبينغر لم يكن يتحدث عن القزم على الإطلاق، فهو يبحث عن الصخرة الزرقاء، التي نقلها مع القزم إلى الكهف. يجب عليه أن يخبر الحداد أنهم يبحثون عنه، وإلا سيكون في ورطة. كان هناك شيء ما مميز في تلك الصخرة، وأوين يثق بالقزم أكثر من الملك، فعلى الرغم من أن القزم كان لئيماً معه، إلا أن الملك كان الشر بحدّ ذاته، والجميع يعلمون ذلك. وعلى الرغم من أن القزم كان فظّاً، إلا أنه لا يبدو بهذا السوء. فإذا فكّرت بالأمر لديه أسباب جيدة ليغضب من أوين، لقد اقتحم كهفه، وأزعجه خلال عمله.

سأله أوين باذلاً قصارى جهده ليظهر بمظهر البريء: «ما هو حجر اللازورد؟».

«من الأفضل أن تقول الصدق يا ولد، إذا كنت تعرف مكان الحجر أو إذا كنت تخفيه، فسأسلخك حياً بنفسي، أخبرني الآن أين هو؟».

«بصراحة أنا لا أعلم، أنا لست متأكداً حتى من ماهية هذا الحجر الذي تتكلم عنه، أعني أجل لقد سمعتُ الناس يتكلمون عن شيء ما سقط من السماء، ولكنني اعتقدتُ أنّه مجرد شهب».

صرختْ ريبيكا: «إنه يكذب».

أمسك كوبينغر بأوين من حلقه، وشرع يخنقه بالطريقة نفسها التي كان الجندي يخنق بها والدته منذ لحظات قليلة: «أخبرني الآن، وإلا ستكون هذه آخر مرة ترى فيها والدتك».

صرخ أحد من الحشد: «بالله عليك، إنّه مجرد ولد، دعه وشأنه». ولدهشة أوين علا مزيد من الأصوات احتجاجاً تطلب من كوبينغر أن يترك أوين. نظر كوبينغر إلى الحشد وهو يعلم جيداً بأنهم جميعاً يكرهونه. ترك كوبينغر أوين يذهب، لكنه ركله، ومرة أخرى اصطدم أوين بقوة بالأرض، لقد سئم بشدة من كل هذا.

قال كوبينغر وهو يبصق على الأرض: «حسناً». ثم رفع صوته، وأشار بإصبعه المغطى بالقفاز الأسود باتجاه الحشد وهو يدور في دائرة ليتأكد من أن الجميع يسمعونه ويرونه جيداً: «ولكنني أحذركم، إذا كان هناك شخص يعلم أي شيء عن حجر اللازورد، أو يخفيه بعيداً عن الملك، فستنتهي حياته في لحظة، وبالمقابل أي شخص يعطي معلومات عن مكان وجود الحجر ربما يحصل على مكافأة من الملك نفسه. هيا أيها الرجال دعونا نغادر، ونترك هؤلاء الحمقى يفكرون في الأمر».

تحرك الجنود كما أُمروا، وغادروا القرية، وتوجهوا إلى القلعة، وخلفوا وراءهم سحابة من الغبار. استجمع أوين قوته ليقف على قدميه، كان يشعر بجفاف كبير في حلقه، لم يكن يتفاجأ عندما لاحظ أن القرويين لم يبارحوا أماكنهم.

«أوين، هل أنت بخير».

«أمي؟ أجل أنا بخير، هل أنتِ بخير؟». لقد خرجت والدته من المنزل، ورأتْ ابنها ملقى على الأرض.

وقف توم ذو الخطوتين أمام أوين ووالدته والذي ربما كان أحد أفراد الحشد المجتمع وقال: «أوين، لقد أغضبتَ هذا المغفل كوبينغر مرة أخرى، لماذا لا تهتم بشؤونك لكي يكف عن مضايقتنا؟».

أجابت والدة أوين وشرارات الغضب تتطاير من عينيها: «ماذا؟ يهتم بشؤونه؟ ما الذي تتكلم عنه؟ ابني لم يسبب أي مشكلة، لماذا تقول هذا؟».

«اسمعي يا ستيفاني، كل ما أعرفه أن الأمور كانت هادئة قبل أن يصعد ابنك إلى ذلك الجبل، والآن الملك يبحث عن شيء ما كان في تلك المنطقة، وأوين هو الوحيد الذي شوهد هناك، حسناً ربما لم يرتكب أي خطأ، ولكن كل الدلائل تشير إليه، أعتقد أنه من الأفضل لو بقي بعيداً عن الجبل خلال هذه الفترة، على الأقل حتى تنتهي كل هذه الجلبة».

«من الأفضل أن تتركنا أنت والجميع ولا تتدخلون في شؤوننا». ثم أمسكتْ ستيفاني بأوين وسحبته نحو منزلهما، وأغلقت الباب، وأجلست أوين إلى الطاولة وقالت: «الآن اشرح لي ما يجري هنا».

«لا أعرف يا أمي، أعني أجل لقد كنت هناك ولكنني لم...».

«لا تكذب عليّ، فأنا أعرفك أكثر من أي شخص آخر وأعرف متى تكذب».

كانت محقّة، لم يكن أوين يستطيع إخفاء أي شيء عنها، ولكن هل يستطيع أن يخبرها حقاً عن القزم: «حسناً أمي، أنا أعرف أين حجر اللازورد».

قالتْ ستيفاني: «حسناً، تكلم».

«حسناً، لقد تسلقت الجبل، وسمعت ضجة، وتبعتُ مصدرها، كانت تصدر من داخل كهف وعندما دخلته كان هناك ذلك الشخص، ذلك الحداد القصير ولم يكن سعيداً جداً لوجودي هناك».

بدأتْ علامات الغضب تظهر على ستيفاني: «شخص قصير؟ ما الذي تتكلم عنه؟».

«حسناً لقد كان..» ثم أكمل بتردد «قزماً».

حاول أوين أن ينظر إلى الأسفل متجنباً النظر مباشرةً إلى عيني والدته، ولكنه لا يزال يرى حاجبي والدته مرفوعين في إشارة إلى أنها لا تصدق ما يقوله، وتابع: «أياً يكن الأمر، لقد رآني، وكما قلتُ لم يكن سعيداً برؤيتي، لذا طاردني في أرجاء الكهف، فاصطدمت بكل شيء تقريباً قبل أن أخرج أخيراً، وكان غاضباً جداً لذلك عدتُ مرة أخرى في اليوم التالي، لأعتذر منه، لكنه لم يكن هناك، فقررتُ أن أرتب الفوضى التي تسببت بها، وعندما عاد طلب مني أن أساعده في الحصول على هذا الشيء الذي يُدعى حجر اللازورد لأنه كان كبيراً جداً، ولن يتمكن من جلبه لوحده. بالمختصر إنه حداد، وأراد ذلك الحجر ليستخدمه في شيء ما». فجأة علا صوت أوين وأصبح مليئاً بالحماسة وهو

يتحدث: «ولكن، يجب أن تري كم هو ماهر يا أمي! خوذاته رائعة جداً فهي تشبه رؤوس الحيوانات. إحدى خوذاته تشبه رأس أسد، إنها ثقيلة جداً و...».

قاطعتْ أمّه قصته الحماسية، وأخيراً قالت شيئاً ما: «قزم؟.. لهذا السبب سألتني كل تلك الأسئلة في ذلك الصباح؟».

«يجب عليّ أن أحذّره يا أمي، إذا لم أخبره أن الملك يبحث عن الحجر فسيقتلونه».

قالتْ والدته بذهول: «من المؤكد أنك لا تفكر بالعودة إلى هناك».

«حسناً، ما الذي يجب عليّ أن أفعله؟ يجب أن أساعده والطريقة الوحيدة لفعل ذلك هي بالعودة إلى هناك. انظري أمي، سأنتظر حتى حلول الظلام وعندها سأذهب».

«سيكون الظلام حالكاً، لن تصل إلى هناك أبداً من دون أن تسقط».

«كلا سيكون الأمر سهلاً، أنا أفعل ذلك دائماً ولن يراني أحد، أنا أعلم الطريق جيداً أكثر من أي شخص آخر. يجب عليّ أن أفعل ذلك أمي، بالإضافة إلى ذلك تخيلي ماذا يمكن أن يحدث إذا لم يعثر كوبينغر على الحجر؟ على الأرجح سيفتش القرية بأكملها، كيف تشعرين عندما تعلمين أنه بإمكاننا أن نمنع كل هذا؟».

نظرتْ إلى ابنها بدهشة: «حسناً، لديك وجهة نظر جيدة، ولكن أوين، هذا تصرف مجنون، إذا كان هناك حقاً قزم كما

تقول، ربما لن تكون بأمان، كيف تعلم أنه لن يؤذيك؟».

«لأنني ساعدته بنقل الصخرة، إنه شخص صغير غاضب وقبيح، ولكنني لا أعتقد أنه سيئ».

«ماذا؟ لا تعتقد أنه سيئ؟ من المستحيل أن أسمح لك بالذهاب إلى هناك، اجلس وفكّر بهذا للحظة، يعيث كوبينغر وجميع حراسه فوضى في القرية، وأنا لن أسمح لابني البالغ من العمر خمسة عشر عاماً بالذهاب في مغامرة سخيفة، ولأكون صريحة، فأنا ما زلتُ غير مقتنعة بصحتها تماماً، ماذا؟ أقزام؟ حقاً؟».

«بالله عليك يا أمي، يجب عليّ أن أساعده، لماذا سأكذب بشأن هذا؟ أنا فقط أحاول أن..».

صاحتْ ستيفاني: «لا! لقد حُسم الأمر، هذا كل شيء، لا أريد أن أسمع أي قصص أخرى عن هذا القزم، وأنا أمنعك من تسلق ذلك الجبل مرة أخرى، هل تفهم؟».

رأى أوين أن والدته كانت غاضبة جداً منه، وأنه لا يوجد طريقة ليقنعها بأنه سيكون بأمان حقاً، لذلك اختار أن يرضيها بقوله: «نعم أمي».

5

تلك الليلة، كان القمر عالياً في سماء، خرج أوين من غرفة نومه على أطراف أصابعه حتى لا يوقظ والدته المستغرقة في النوم، كان يعلم أنه يجب عليه إخبار القزم عن كوبينغر بغض النظر عما قالته والدته. كان من الخطأ أن يعصي والدته، ولكنه خشي أن يكون القزم في مأزق كبير، وفكّر في سره: «سأذهب، وأتحدث إلى القزم، ثم أعود إلى المنزل قبل أن تشرق الشمس».

بدأ أوين رحلته إلى الجبل، كانت النجوم تلمع في السماء فوق رأسه، كما لو أنها تشجعه على المضي في طريقه. سار عبر طريق خارج القرية، وابتعد قدر المستطاع عن أكبر عدد ممكن من المنازل، وكان يتنفس ببطء وبعمق محاولاً تهدئة أعصابه، ودارت في رأس أسئلة كثيرة. كان قلقاً من أن يقبض عليه كوبينغر أو أن تراه ريبيكا أو أي شخص آخر من القرية. لم يكن لديه أي أصدقاء باستثناء والدته، وكان يتساءل إن كان القزم سيتحدث إليه أو سيطرده من الكهف مرة أخرى.

تحرك أوين بخطوات سريعة جداً، ولكنه بذل قصارى جهده ليحافظ على هدوئه ولا يصدر أي صوت. في طريقه

رأى العديد من المصابيح المضاءة في بيوت القرية، لذلك حرص على المشي بحذر خلف الأشجار والصخور ليتأكد من أن أحداً لا يراه. شعر بأنه يفرط في الحذر بعض الشيء، لكن نظراً لأهمية ما يقوم به، أقنع نفسه بضرورة توخي أقصى درجات الحذر.

كانتْ خطوات أوين مترددة وأبطأ بكثير من المعتاد، ولم يشعر بالارتياح، إلا عندما وصل إلى منطقة الأشجار أسفل الجبال، وعندها فقط بدأ يُسرّع من وتيرة تقدمه، ثم بمجرد أن بلغ الصخور شرع بالتسلق، ومن فرط حماسته أدرك أنه يستطيع التسلق أسرع من الحيوان، استخدم يديه وقدميه وهو الذي أصبح يعرف مكان كل فتحة ووتد بشكل غريزي. لم يكن القمر ساطعاً جداً تلك الليلة، وكان ذلك في صالحه، فبسبب ذلك قل احتمال أن يراه أحدهم أثناء تسلقه الصخور. أخيراً، عندما وصل إلى فتحة الكهف، شعر بموجة من المشاعر المختلطة تسري فيه، مثل الماء البارد الذي يبعث القشعريرة. أراد حقاً أن يندفع نحو الداخل، ويلقي التحية على القزم، لكنه يعلم أن مفاجأته لن تكون شيئاً جيداً، فهو يعلم جيداً أنه غير مرحّب به هنا. وهو يأمل أن يتغير الأمر إذا أتيحتْ له فرصة التحدث إلى الحداد.

بدأ أوين بالسير نحو الكهف، ورأى ظل شخص أو شيء ما يتحرك، وصل إلى فتحة الكهف، ونادى بهدوء: «مرحباً؟». في البداية، لم يصله أي ردّ، ثم توقفتْ الظلال عن الحركة، فقال

مجدداً: «مرحباً؟» هذه المرة شعر أوين بشيء ما يمسك به من رقبته ويسقطه أرضاً.

صرخ القزم بشدة: «ما الذي تفعله هنا؟ لقد أخبرتك ألا تعود أبداً».

توسل أوين: «أنا آسف، ولكني اضطررت إلى العودة، كان عليّ أن أراك».

«أنتم البشر لا تستمعون أبداً إلى ما يقال، أعطني سبباً واحداً مقنعاً يمنعني من تحطيم رأسك بهذه المطرقة».

ارتعب أوين عندما رأى ظل ذراعه التي تحمل المطرقة يرتفع عالياً على الحائط فوق رأسه، لقد كان القزم غاضباً جداً، وكان جاداً في تهديده.

تمتم أوين بسرعة: «الملك.. إنّه يبحث عن حجر اللازورد».

«أجل، ولِمَ يجب أن أعطي ذلك أهمية يا ولد؟ هل أخبرتهم أنني أملكه؟».

«كلا! ولكنهم يبحثون عن الحجر، وسألوا كل من في القرية عنه، إنّهم يعلمون أنه سقط في مكان ما على الجبل، لا أريد شيئاً سوى مساعدتك».

بدأ القزم بإنزال المطرقة ببطء، وحرر رقبة أوين من يده.

وقف أوين، ونظر إلى القزم، وجهاً إلى وجه. لم يستطع أوين إلا أن يلاحظ عمر القزم، فلقد كانت تجاعيده واضحة وكثيرة، وشعره أخف مما كان يتوقع، ولكن رغم ذلك لا يزال أكثف من شعر أوين.

قال القزم بطريقة تهكّمية: «أنت تساعدني؟ ما الذي يجعلك تعتقد أنني بحاجة إلى مساعدتك؟».

«أشعر أنني مدين لك بعد كل المتاعب التي سببتها لك، إنّه شيء أشبه بما يُدعى اتفاقية سلام».

استدار القزم، ومشى ذهاباً وإياباً وكان مئزره الجلدي يتأرجح مع كل خطوة. «ماذا تعرف عن السلام؟ أنت إنسان وكل ما يهم البشر هو أمورهم الخاصة، إنهم مستعدون للتضحية بعضهم ببعض السلام لديكم مجرد كلمة تُقال وتذهب مع الريح».

قال أوين بشكل عاطفي: «لماذا أنت غاضب جداً؟ أنا لا أريد سوى مساعدتك، في كل مرة أتحدث إليك تشعرني بأنك تكرهني، مع أنك بالكاد تعرفني».

سخر القزم منه: «أنت إنسان، هذا كل ما أحتاج إلى معرفته، وكل الناس يتشاركون الصفات نفسها».

«أوه حقاً؟ وماذا عن الأقزام؟ هل كل الأقزام مثلكَ ذوو طبع حاد ولا يتكلمون؟ وهل جميعهم يخشون أن يعرف الآخرون أسماءهم؟». كان أوين يعلم أنه ربما يتسبب في إثارة غضب القزم، ولكنه أراد أن يُجرّب طريقة للتعامل معه.

تذمّر القزم: «أوف أحتفظ بالأمور بيني وبين نفسي حتى لا أتعرض للإزعاج من قبل الحمقى الصغار مثلك».

«ها نحن ذا مرة أخرى أيها السيد القزم الغاضب، أراهن أن هذا هو اسمك أليس كذلك؟ مرحباً أيها السيد القزم الغاضب، كيف حالك اليوم؟». مازحه أوين بصوت منخفض.

«من الأفضل لك أن تتوقف عن ذلك أيها الولد».

«أوه لا، هل غضب السيد القزم الغاضب؟ ماذا ستفعل هل ستطردني خارج كهفك مرة أخرى؟ افعل ذلك، وسأذهب مباشرة إلى أتباع الملك، وأرشدهم إلى مكانك».

زمجر القزم: «لن تجرؤ على فعل ذلك!.. تعتقد أنك ذكي جداً أيها الولد؟ لا تنسَ أنني أستطيع الدوس عليك وكأنك حشرة قبل أن تتمكّن من مغادرة الكهف».

مجدداً غضب القزم العجوز من كلام أوين، ولكن القزم كان محقاً، فعلى الرغم من أنه صغير الحجم إلا أنه يبدو وكأنه يمتلك طبقة إضافية من العضلات. لكن أوين لم يرغب في التراجع، فكل ما أراده هو أن يعرف اسم القزم.

«حسناً كما تريد، هل نستطيع البدء من جديد؟».

«نبدأ من جديد؟ ما الذي تتحدث عنه؟». قالها وهو يعقد حاجبيه الكثّين الأبيضين.

«عندما جئتُ إلى هنا للمرة الأولى، بدا الأمر برمته غريباً، لقد اقتحمتُ المكان، وأحدثتُ الفوضى، ولكن كل ما أردته حينها كان أن ألقي التحية وأتحدث إليك، ولكنك لم تكن ودوداً ولم تستمع على الإطلاق، والآن بعد أن جئت إلى هنا لمساعدتك، وإخبارك أن الملك يبحث عن حجر اللازورد، ربما يمكنك أن تقدر مجهودي وتخبرني عن اسمكَ، وربما يمكنك أن تشكرني أيضاً».

زمجر القزم مرة أخرى: «أتريدني أن أشكرك؟ لماذا؟ هل

لأنك جعلت الفوضى تعم ورشتي؟!».

«أجل، ولكنني تحملتُ مسؤولية ذلك، وحاولتُ أن أعيد الأمور إلى سابق عهدها، وتأسفت، واعترفت بخطأي، وأبديت الاستعداد لتعويضه».

نظر القزم إلى أوين: «حسناً، هذا جيد، إذا شكرتك هل ستتركني وشأني؟». ارتسمتْ ابتسامة سخيفة ملتوية على وجه أوين، فهزّ رأسه موافقاً، بينما كان يتحرك شعره الخفيف مع حركته، كانتْ الحركة كافية للاتفاق على ذلك مع القزم.

«حسناً، شكراً لك لأنك تخبرني بأمر الملك وأتباعه، هل أنت سعيد الآن؟».

ابتسم أوين وشعر بالنصر: «نعم، كلا، انتظر.. لست سعيداً تماماً».

«ماذا تقصد؟ لقد طلبت مني أن أشكركُ، ماذا تريد أكثر من ذلك؟».

«أخبرتك أن اسمي أوين، ما اسمك؟».

«مرة ثانية تريد معرفة اسمي، لماذا تهمك معرفته؟».

«أعتقد أن معرفة اسمك الحقيقي سيكون أفضل من مناداتك بالسيد القزم الغاضب».

زمّ الحداد عينيه، وضغط قبضتيه، تنبه أوين إلى أنه أغضبه مرة ثانية على الأغلب، فتراجع عدة خطوات إلى الوراء.

قال القزم بفخر وهو لا يزال غاضباً بشكل واضح: «اسمي أوثغار».

ردّد أوين: «أوثغار..».

«أوثغار أيرونهامر، أنا آخر من بقي على قيد الحياة من قبيلة أصحاب الدم المتحجِّر، أو هكذا تُترجم إلى لغتك، ها قد أصبحت تعرف من أنا، هل يمكنك الآن أن تتركني أنجز أعمالي».

ابتعد أوثغار عن أوين، وشرع في إشعال النار في بيت النار، لم يستطع أوين معرفة إذا كان القزم مشغولاً حقاً أو أنه يستخدم ذلك حجة ليتملّص منه.

قال أوين: «إنّه اسم مثير للاهتمام». كان يأمل أن يحصل على مزيد من المعلومات عن صديقه الجديد.

«قلتُ لديّ عمل يفترض بي أن أُنجزه، بالإضافة إلى أن الشمس على وشك أن تشرق، من الأفضل لكَ أن تعود إلى منزلك قبل أن ينبلج ضوء الفجر ويراك أحدهم، وأنا لست بحاجة إلى مزيد من البشر الذين يعترضون طريقي».

أدرك أوين مخاوف القزم: «أنت محق يجب أن أذهب». ثم مشى باتجاه فتحة الكهف، وقبل أن يغادر التفت صوب القزم وقال: «أراك لاحقاً.. أوثغار».

أجاب القزم بإشارة من قفازه وقال: «أوف». من دون أن يبعد عينيه عن النار التي يشعلها.

غادر أوين الكهف، وهو يشعر بالرضا، لقد أحس أنه أحرز تقدماً ملموساً مع أوثغار، وقرر أن يكرر زياراته للكهف على أمل أن يتمكن من معرفة المزيد عن الأقزام. عندما بدأ أوين نزول الجبل كان الظلام دامساً، ولم يكن ضوء الفجر قد انبلج

بعد. فجأة سمع صوتاً غريباً، صوتاً يشبه خفقان الأجنحة، نظر أوين حوله، ولكنه لم يستطع معرفة مصدر الضوضاء لأن الظلام كان دامساً.

أصبح الصوت أقوى وأقوى، وأدرك أوين أنه أياً يكن هذا الشيء فهو يقترب منه بسرعة. تحسس طريقه واختبأ خلف إحدى الصخور. استمر الصوت بإيقاع متناغم مراراً وتكراراً حتى رأى أوين ظلاً يغمر جانب الجبل وينطلق باتجاه القرية.

تساءل أوين: «ما هذا بحق السماء؟». كان خائفاً جداً من أن يتحرك. لم يسبق له أن سمع طائراً يصدر مثل هذا الصوت العالي. كان يراقب ما يجري حوله من مخبئه. طار هذا الشيء الغريب بسرعة، ولم يكن لدى أوين أي فكرة عما هو أو إلى أين كان ذاهباً حتى انبعث وميض باللونين الأحمر والبرتقالي من قسمه الأمامي، وأطلق النار مباشرة عندما وصل إلى قلعة الملك.

همس أوين في هدوء الليل: «تنين!».

6

في صباح اليوم التالي، كان أوين يراقب من بعيد، وخاف أن يعود إلى المنزل، مرتْ أحداث الليلة الماضية في ذهنه بوضوح كما لو كانت تحدث الآن على الرغم من شروق الشمس، وبدء نهار جديد. عندما دنا من القرية، رأى التنين ينفث كميات هائلة من اللهب نحو جدران القلعة فوق الأبراج والبوابات. لم يدم هجومه طويلاً، ربما قرابة نصف الساعة، ولكن طوال هذه الوقت أضاءت نيران التنين السماء أكثر من أي عاصفة برق شهدها في حياته.

عندما أنهى التنين هجومه، طار عالياً وعاد إلى الجبل، ولكن أوين لم يعرف الوجهة التي قصدها التنين. إنّه يشعر بالإرهاق والقلق، وتراوده أسئلة كثيرة يبحث عن إجابة لها: من أين أتى التنين؟ لماذا هاجم القلعة؟ وهل لهجومه علاقة بحجر اللازورد؟ لقد أمضى الليلة الماضية خارج المنزل، وكان يعلم أن أمه لا تزال مستيقظة تنتظر عودته، وربما شرعت في البحث عنه، لذا، أعدّ نفسه لتحمل توبيخها عندما تكتشف أنه عصى أوامرها، وتسلق الجبل.

سار أوين بين الأشجار على رؤوس أصابعه، وشاهد أهل القرية وهم يؤدون أعمالهم الروتينية، ولكن شيئاً ما كان مختلفاً، لقد كان الناس يتبادلون الأحاديث أكثر من العادة، وعلى الرغم من أنه كان بعيداً جداً، إلا أنه كان واثقاً من أنه سمع الكلمات التالية تتردد على ألسنة الناس: نار، تنين، وملك.

شعر أوين بالتعب، لذلك قرر العودة إلى المنزل، والنوم لبعض الوقت، ففي النهاية لقد أنجز ما كان يريده، وأخبر أوثغار أن الملك يبحث عن حجر اللازورد، وتأكد من أن القزم لن يعاني من أي مشكلة بسببه.

كان أوين على وشك أن يقترب من المدينة مبتعداً عن الأشجار عندما سمع أشخاصاً يصرخون بالإضافة إلى صوت سنابك تضرب الأرض، وعندما أطل برأسه من بين الأشجار، رأى لمعان الانعكاسات الفضية والذهبية للدروع، وأدرك على الفور أن جنود الملك عادوا إلى القرية. شاهدهم ينهبون المنازل بقيادة كوبينغر، وقد قلبوا العربات بما عليها من أغراض، ودفعوا الناس بعيداً عن طريقهم بلا مبالاة بحثاً عن شيء ما.

شاهد أوين ما يحدث، وشعر بالرعب، لقد كان كوبينغر يتجه صوب مكان معين، إنه يتجه صوب منزله برفقة جنديين يرتديان درعين لامعين، اندفع أوين بأسرع ما يمكن خلف الأشجار والبيوت محافظاً على هدوئه، واقترب بما يكفي ليسمع ما يريده كوبينغر.

أمر كوبينغر الجندي الذي يسير إلى يمينه: «اجلبه». أومأ

الجندي برأسه، وترجل عن صهوة حصانه، صدرت بعض الأصوات من منزله، قبل أن يعود الحارس وهو يدفع والدة أوين أمامه، سأل كوبينغر: «أين الصبي؟».

أجاب الجندي ذو الخوذة الفولاذية: «لم أجده في الداخل». بدا صوته عميقاً وذا نغمة شبيهة برنين المعدن، ربما حتى لا يستطع أحد التعرف إلى صوت هذا الرجل عندما يتكلم من دون خوذة.

صاح كوبينغر بصوت عميق وغاضب: «يا امرأة.. سأسألك للمرة الأخيرة، أين هو ابنك؟».

«لا أعلم، لقد غادر باكراً ليجلب لي الحطب من الغابة، ما الذي تريده منه؟». شعر أوين بغصة في حلقه: «إنها تعلم إلى أين ذهبتُ، ولكنها تكذب من أجلي». استمع أوين بحذر، وقد ارتعدت فرائصه في الوقت الذي وقفت والدته الضعيفة وقد أخفت خوفها وأظهرت شجاعة مزيفة، لكن حتى أوين من مكانه كان يعرف أنها لم تكن بتلك القوة التي أرادتْ إظهارها.

«ليس لديّ وقت لأكاذيبك» قال كوبينغر ذلك وأمر الجندي: «اربط يديها واقتدها إلى القلعة».

احتجتْ والدة أوين وهي تحاول مقاومة الجندي الذي تغلب عليها بسهولة: «ماذا؟ كلا لن أذهب معكم، أنا لم أفعل شيئاً، وكذلك ولدي لم يفعل شيئاً».

كبّل الجندي يديها، ورفع جسدها الهزيل بسهولة إلى صهوة الحصان بالرغم من أنها تلوّت وحاولت المقاومة.

«أنتِ معتقلة بتهمة التستر على مجرم، وحجب معلومات قيّمة عن الملك».

تذمرّ الجندي: «ابقي هادئة يا امرأة!». قالها وهو يحاول تثبيت ستيفاني ومنعها من السقوط من صهوة الحصان، لكنها رفضتْ ذلك، وظلت تحاول بيأس أن تحرر نفسها منهم، فضرب الجندي مؤخرة رأسها بقفازه الصلب الفضي، فهوت على رقبة الحصان فاقدة الوعي.

شاهد أوين ما يحصل وهمس قائلاً: «كلا!». بدأت الدموع تنهمر من عينيه، وارتجف جسده كما يرتجف عندما يكون الطقس مثلجاً، تساءل ماذا عليه أن يفعل؟ وإلى أين عليه أن يذهب؟ إذا عاد إلى المنزل سيراه شخص ما وهذا ليس بالأمر الذي يستطيع أوين التعامل معه وتحمل عواقبه.

حرّك أوين قدميه، ثم ما لبث أن ركض بأسرع ما يمكنه بعيداً عن القرية وعيون الناس الذين يكرهونه ويرغبون بتسليمه إلى الملك، والأولاد الذين يريدون إيذاءه أكثر من مساعدته. لم يكن هناك سوى شخص واحد يمكنه أن يلجأ إليه، ولكن حتى هذا قد يطرده ولا يُرحّب به.

ركض أوين حتى تأكد من أنه أصبح في منطقة لا يُرى فيها، وبإمكانه التسلق بأمان، ولأنه حاول التسلق من مكان آخر بعيد هذه المرة، لاحظ وجود مسار ضيق جداً يقود إلى الأعلى، وقرر أن الركض عبر هذا المسار سيكون أسهل من التسلق. لم يكن لديه خيار سوى العودة إلى أوثغار وطلب مساعدته. لم يعرف

مقدار المسافة التي عليه أن يركضها حتى يصل، ولكنه يعرف أن هذا الطريق هو الأكثر أماناً، لم يسبق له أن شعر أنه ضعيف إلى هذا الحدّ حتى عندما كان يتسلق صخور الجبل الصلدة، وكان حذراً بحيث لا يراه أحد من القرية، ولكن مشاعره المختلطة جعلته يبكي فاضطربت أنفاسه.

شعر بآلام شديدة في ساقيه وذراعيه، وجف حلقه وآلمه رأسه مع كل نبضة قوية من قلبه. أخيراً، وصل إلى فتحة الكهف، فاندفع إلى الداخل وسقط أرضاً، فتنبه القزم لوجود دخيل.

أجفل أوثغار، وقفز من المقعد الذي كان يجلس عليه، ثم ركض بسرعة إلى كومة من شيء ما لم يستطيع أوين تمييزه بسبب التعب الشديد والدموع التي تملأ عينيه، لم يكن مهتماً بما يقوم به على أية حال، ثم ألقى أوثغار بملاءة قطنية كبيرة فوق الكومة قبل أن يوجه اهتمامه إلى أوين.

«ما مشكلتك يا بنيّ؟ أعتقد أنني أخبرتك بكل وضوح ألا تأتي إلى هنا مرة أخرى». ثم تقدم غاضباً صوب أوين، قبل أن يتوقف ويتنهد عندما رأى أن الدموع تترقرق من عيني أوين وجسده يرتعش.

شهق أوين: «أنا آسف، ليس لديّ مكان آخر أذهب إليه.. لقد اعتقلوا أمي وأنا...» عاود البكاء وهو يتذكر كيف ضُربتْ أمه واقتيدت بعيداً، لقد كانت تلك الصورة مؤلمة جداً، ولم يتمكن من حبس دموعه.

تنهد أوثغار بصوت عالٍ، وتمتم بشيء ما بلغته الأم، قبل

أن يقول: «اجلس هنا وأخبرني ما الذي حدث، لن يفيدك البكاء مثل الأطفال بشيء».

سحب القزم كرسياً معدنياً كان يجلس عليه، ووضعه بالقرب من أوين الذي كان ممتناً لإعطائه فرصة التكلم، وجلب كرسياً متهالكاً ليجلس عليه، عندما جلس القزم بوزنه الهائل أصدر الكرسي بعض الأصوات قبل أن يثبت ويحمله بأعجوبة.

«أخبرني ما الذي حدث لك يا ولد؟».

قال أوين بصوت مرتجف: «عندما غادرت الكهف الليلة الماضية، كان هناك تنين، وفي الصباح وأنا في طريقي إلى المنزل شاهدت أمي تُضرب وتُعتقل..».

«تكلم ببطء يا ولد، توقف عن البكاء، وتنفس بعمق ثم أعدْ ما قلته مجدداً، هل قلتَ تنين؟».

عندما نظر أوين إلى القزم، لاحظ شيئاً في عينيه لم يسبق له أن رآه، لقد كان القزم دائماً شرساً وقاسياً جداً تماماً كالجبل الذي يعيش فيه، ولكن في تلك اللحظة رأى أوين في عيني أوثغار خوفاً حقيقياً.

أومأ أوين برأسه: «أجل».

فسأله أوثغار بعدوانية: «قل لي كيف بدا؟ حاول تذكر كل شيء».

شعر أوين أن أوثغار يعرف شيئاً عن التنين.

«لم أرَه بوضوح». في تلك الأثناء، شعر أوين أنه أصبح أكثر هدوءاً وراحة لأنه يتحدث إلى شخص ما، لقد أراد أن يتحدث

إلى شخص ما، أي شخص غير أمه. أكمل أوين: «لقد كان الظلام حالكاً، عندما سمعت صوته خلفي عندما كنت أنزل الصخور، فاختبأتُ، ونظرتُ إلى الأعلى، فرأيت جناحيه الضخمين، ثم طار بسرعة كبيرة باتجاه القلعة كما لو أنه يعرف ما الذي يريد أن يضربه، ونفث النار من فمه، باتجاه جدران القلعة، لا أعرف إن ألحقت النار الضرر بشيء ما أو آذت شخصاً ما».

أجابه أوثغار وهو ينظر إليه بعمق وقال كل كلمة بتركيز شديد: «على الأرجح أنه أحرق أشياء وأذى أشخاصاً».

تساءل أوين: «هل تعرف شيئاً عن هذا التنين؟».

«نعم، اسمه كالوريث».

«انتظر، هل تعرفه؟».

«من المؤكد أنني أعرفه، كثيرة هي الأمور التي عليك أن تتعلمها أيها الولد، سأشرح لك كل شيء، ولكن الآن أكمل قصتك». أومأ أوين برأسه وتابع. لسبب ما شعر بشيء من الراحة عندما أخبر شخصاً آخر عما رآه، وكيف اقتاد الفارس والدته ووضعها على صهوة الحصان وضربها.

لقد أزاح أوثغار أطناناً من الهموم عن كاهل أوين بمجرد أن استمع إليه، عندها جلس أوين بوضعية مستقيمة، وتوقف عن البكاء، وشعر أنه أفضل حالاً. عندما أنهى أوين قصته، كان لمعدته الكلمة الأخيرة بإصدارها صوتاً واضحاً، سأله أوثغار: «هل أنت جائع؟».

«في الحقيقة لم آكل منذ فترة طويلة نسبياً، ولكنني لم أشعر

بالجوع قبل الآن».

لم يقل أوثغار شيئاً، واكتفى بالوقوف، وغادر الكهف، وعاد بعد دقائق وهو يحمل طبقاً فيه خبز وجبن، وبضع قطع من اللحم لم يسبق لأوين أن رأى مثيلاً لها، بالإضافة إلى زقّ نبيذ.

سأله أوين وقد رسم على شفتيه ابتسامة خافتة: «نبيذ؟».

«بالتأكيد لا، لن أعطي ولداً بعمرك نبيذ الأقزام ليشربه، وإلا ستشعر بالصداع لمدة أسبوع، ما أحمله هو مشروب استخدمته عائلتي لسنوات سيجعلك تشعر بتحسن، امسكه.. اشرب منه».

ثم ناوله الزق الجلدي والذي كان سميكاً وخشن الملمس. في البداية، خشي أوين أن يجرّب السائل، ولكن بمجرد أن لامس شفتيه، وأحس بطعمه الذي لا يقاوم شعر بتحسن كبير على الفور.

سأله أوين مشيراً إلى اللحم: «ما هذا؟».

تذمر أوثغار منه: «أنت تطرح كثيراً من الأسئلة بالنسبة إلى شخص يشعر بالجوع، تناوله إنه لحم غزال».

أبدى أوين تردداً حيال اللحم، كما فعل مع الشراب، ولكن ما إن تذوقه حتى تفاجأ بمذاقه، وتناوله مسروراً.

أجهز أوين على الطعام بسرعة ثم تجشأ.

«شكراً لك، لم أعرف أنني كنت جائعاً إلى هذا الحدّ».

أخذ أوثغار الأطباق الفارغة من أمام أوين وهو يشعر بالرضا، ثم مشى عبر الكهف، واختفى بلمح البصر عن أنظار أوين.

سأله أوين: «إلى أين أنت ذاهب؟ ماذا يوجد في الخلف؟».

«منزلي».

«منزلك؟ هل أنت تعيش في كهف؟».

«أنا قزم بالتأكيد سأعيش في كهف، ما الذي تتوقعه؟». بدا أوثغار منزعجاً مرة أخرى، ولكن أوين لم يعرف لماذا ينزعج فهو حقاً لا يملك إلا معلومات قليلة جداً عن الأقزام.

«أمّا الآن فدعني أحدثك عن التنين يا ولد». ثم توجه القزم نحو الموقد، وبدأ بإشعال النار، لقد كان أوين سعيداً بعد أن تغلغل البرد في عظامه، لقد كان متعباً بالأصل، وبغض النظر عن جرعة الطاقة التي أخذها من طعام أوثغار إلا أنه مرّ بيوم حافل بالأحداث جعله منهكاً وبارداً.

بدأ أوثغار بسرد قصته: «منذ سنوات كان شعبي قوياً ومنتجاً، وعملنا لسنوات تحت الأرض وفي الجبال الموجودة في جميع أنحاء الأرض، وفي النهاية وصلت قبيلتي «أصحاب الدم المتحجر» إلى هذا الجبل، وأصبحت القبيلة الحاكمة، كان جدي الأكبر ملكاً عظيماً ومحترماً، وطيلة سنوات استخرجتْ قبيلتنا الصخور، وأمضتْ وقتاً طويلاً في تحويل المعادن إلى أسلحة ودروع وأثاث وأي شيء آخر تستطيع تخيله أو أي شيء يطلب منّا البشر صنعه، كل شيء بتفاصيل دقيقة جداً حسب المواصفات المطلوبة».

«انتظر.. ماذا؟ هل كنتم تصنعون الأشياء للبشر؟ لماذا تكرهنا إذاً؟».

«تحلّ بالصبر أيها الولد واستمع إلى القصة، دعني أنهِ ما أقوله أولاً، أيمكنك ذلك؟».

أخفضَ أوين نظره بخجل: «أعتذر، أكمل من فضلك لن أقاطعك مجدداً».

أكدّ أوثغار ذلك: «جيد، كما كنتُ أقول، أصبحت قبيلتي ثرية إلى حدّ يفوق الوصف، كان البشر الجشعون مستعدين لمبادلة أي شيء نطلبه منهم سواء ذهب أو فراء الحيوانات وجلودها وحتى أحياناً كنا نطلب الخشب لأنه لم يكن لدينا الوقت لنخرج ونبحث عنه، أنا متأكد من أن البشر حبذوا أن نبقى بعيدين عنهم دائماً.

ذات يوم، وبينما كان الجميع يعيشون في سلام جاء التنين الذي يدعى كالوريث وانقض على القرية، سيطر الخوف على البشر، فلم يسبق لأحد أن رأى التنانين أو سمع عنها شيئاً منذ آلاف السنوات، ولكن التنين كالوريث ظهر فجأة من دون سابق إنذار بسبب حبه الشديد وتأثره بالمعادن البراقة جداً التي تغطي وتزين قلعة ملك البشر، فالتنين يحب الذهب والأشياء اللامعة، ومعظم البشر لم يكونوا على علم بذلك. أراد التنين الحصول على كل الذهب والثروات لنفسه، فتصدّى البشر والأقزام لأكثر من أسبوعين لكالوريث لكن دفاعاته كانت منيعة، كان ينقض عليهم، وينفث النار فيذيب المعادن، ويفتت الحجارة، والأسوأ من كل هذا يصهر أجساد البشر والأقزام أيضاً.

دمّر كالوريث كل ما اعترض طريقه، حتى أنه دمّر قلعة ملك البشر وعمل على تخزين كل المواد التي يريدها داخل الجبل، وشق طريقه عبر الجبل، وقضى على الأقزام قزماً تلو الآخر، ثم

أغلق على نفسه ومعه كل الذهب والثروات التي نهبها منّا.

غضب ملك البشر، وألقى اللوم على جدي في مسألة جلب التنانين إلى هذه الأرض، اعترض جدي الأكبر على ذلك، ولكن ملك البشر لم يستمع إلى كلام المنطق، وأعلن الحرب على الأقزام، لكن الأقزام لم يرغبوا في القتال، فلقد عاشوا طويلاً بسلام مع البشر وعملوا معاً، ولم يكن من المنطقي أن نتقاتل ونقضي على صداقتنا.

في النهاية، أراد ملك البشر أن يعيد بناء قلعته، وأراد أن يستولي على معادننا، ليستخدمها في إعادة البناء، رفض جدي الأكبر، وعندها لم تعد الحرب خياراً بل فُرضت علينا فرضاً، تقاتل الأقزام والبشر بلا هوادة، ولم يتزحزح أي من الطرفين عن موقفه، ولكن ذات يوم قرّر جدي أن يغادر الأقزام المنطقة.

كان هناك جبال أخرى يمكن أن نقطنها ونستقر فيها، وكنا نستطيع تجنب الخسائر التي لحقت بالطرفين، واستنزفت مواردهما، ولكن عندما ينفخ الجشع والكراهية في نيران الحرب، لا يعود المتحاربون يدركون ما هو الشيء الأكثر أهمية في الحياة، معظم الأقزام لم يفهموا ذلك، ولكن جدي الأكبر كان واحداً من قلة قليلة فهمت.

حزم جميع الأقزام أمتعتهم، وشدوا الرحال بعيداً، وبذلك وضعوا حداً لهذه الحرب، ولكنهم شعروا في صميمهم بالغضب من جدي، وعندما استقروا مرة أخرى لم يشعر الأقزام من سائر القبائل بالسعادة، واعتقدوا أن قرار جدي لم يكن صائباً، ومن

الطبيعي أن الجدال بينهم لم يتوقف. أخيراً، بعد وفاة جدي، واستلام والدي الحكم أُطيح به، وكانت نهاية حكم عائلتي».

«حسناً، هذا يعني أنه كان يفترض بك أن تكون الملك بعد والدك». واجه أوين صعوبة في تصديق ما يسمعه.

«أجل لقد كنت ابنه البكر، وتعهدتُ أنني سأعود إلى هنا، إلى موطننا الأصلي، وأعيد حكم قبيلتي مجدداً».

«لكن كيف تنوي القيام بذلك؟». أدرك أوين أن الاستخفاف كان في نبرته أكثر من الفضول، لذلك أعاد السؤال بطريقة مختلفة: «أعني ما الذي يمكنك فعله كي تتقبلك القبائل الأخرى ملكاً؟ هل يستطيعون اعتبارك ملكاً مرة أخرى بعد كل هذا الوقت؟».

«قبل أن تغادر القبائل المنطقة توقعت امرأة عجوز بانهيار السلطة والطمأنينة بين الأقزام، وقالتْ إن الطريقة الوحيدة لعودة الازدهار هي أن ينهي شخص ما الرعب الذي يبثه كالوريث».

«هل تعني أنّه يجب أن يُقتل التنين؟ ولكن حدث كل ذلك منذ زمن طويل، ألن يموت التنين في النهاية؟».

«سيموت كالوريث، ولكن التنانين الأخرى ستعيش لمئات السنوات».

سأله أوين بدهشة: «ولكن كيف تقتل التنين؟».

«هذا هو الجزء الصعب يا ولد، التنين له نقطة ضعف واحدة تغطيها حراشفه، لذا يجب أن يُطعن بأقوى شفرة في تلك المنطقة بحيث تنفذ إلى قلبه، فقلب التنين كقلبي وقلبك هو الذي ينبض بالحياة».

قال أوين: «حسناً، فهمت».

قال أوثغار بسخرية مازحاً: «حسناً، كل ما يجب فعله هو الاقتراب بما يكفي وطعنه في قلبه، يبدو أمراً سهلاً جداً»، ثم تابع: «في الحقيقة إنه أمر صعب، ولكنه ممكن».

«الآن وبما أنك تعرف مكان التنين، متى ستنال منه؟».

ضحك أوثغار: «أنا؟ لست أنا من سيقتله يا ولد، لقد تقدم بي العمر كثيراً لأتصدى لمهمة مثل هذه».

«حسناً، من تتوقّع أن يغامر بحياته بالنيابة عنك؟».

لم يرد أوثغار على الفور، وحدق إلى اللامكان: «سنعرفه في الوقت المناسب».

مكتبة الطفل

t.me/book4kid

إحدى قنوات

مكتبة

7

استيقظ أوين على رائحة زكية، كان أوثغار قد أعطاه غرفة فيها سرير جميل لينام فيها، وكان فراشه أكبر وأنعم بكثير من الفراش الذي ينام عليه في منزله المتهالك في القرية، وكانت البطانيات أسمك وأنعم. فتح أوين عينيه، وركّزهما على أغطيته قليلاً ليرتاحا قبل أن تبدأ رحلتهما مع فضوله الكبير.

جال أوين في أرجاء الغرف بعينيه، في الوقت الذي كان يرتدي فيه ملابسه، عرف أنه من المستحيل لأي شخص أن يتوقع أن هذه الغرفة تقع داخل كهف، لقد كان ضوء الشمس يتدفق إليها من فتحة في السقف، وهناك أشكال وكتابات هيروغليفية منقوشة على الجدران، وهناك صور لأقزام يعملون، ويستخرجون المعادن ويصقلونها، بعضهم يرتدي زي المعارك والحروب ويحملون السيوف. أعجب أوين بالصور وبواقعيتها الشديدة على الرغم من أنها منحوتة في جدران صخرية.

خرج أوين من غرفة نومه الجديدة، فوجد أوثغار يعمل بشكل كثيف، ويطبخ على النار، قال أوين: «منزلك جميل جداً، لم أتوقع أن يكون نظيفاً ولطيفاً إلى هذا الحدّ». لم يقصد أوين

الإهانة أبداً، ولكن من المؤكد أن أوثغار فهم الجملة على أنها إهانة: «حقاً؟ ما الذي كنت تتوقعه؟ أرضيات قذرة وفئران تجري في كل مكان؟ وأكوام من القمامة والفضلات في زوايا الغرف؟ البشر أقذر بكثير من الأقزام يا ولد».

شرح أوين ما كان يقصده: «أنا آسف، لم يكن هذا ما قصدته، كل ما كنت أقصد قوله إنني معجب حقاً بمهاراتك في جعل المكان يبدو..» ثم توقف قليلاً محاولاً العثور على الكلمة المناسبة، ولكن كل ما استطاع قوله كان: «جميلاً هكذا».

هزّ أوثغار رأسه متذمراً: «اجلس وكلْ». توجّه أوين صوب طاولة سميكة مصنوعة من خشب البلوط، وأبدى اندهاشه عندما رأى الوليمة التي أمامه، فقد احتوى طبقه على بيض مقلي، وخبز محمص، وبطاطا، وطماطم، ونوع ما من الطيور المطبوخة. هذه المرة لم يدقق أو يشكك بأي شيء بل التهم كل شيء، واستمتع بكل لقمة.

قال أوين وفمه مملوء بلحم الطائر: «أخبرني هل أنت من صنع هذه الطاولة الخشبية؟».

«لا تتحدث وفمك مملوء بالطعام، فالطعام يتناثر من فمك في الأرجاء، البشر مقرفون حقاً، كن راقياً يا ولد. أما بالنسبة إلى الطاولة، فأنا من صنعها وكذلك الكرسي الذي تجلس عليه وكل ما هو موجود هنا، الأقزام يفخرون دائماً بما يصنعونه، نحن لا نشتري أو نتاجر بالأشياء التي نحتاج إليها، بل نتعاون ونعمل معاً لصناعتها، وكل قطعة فريدة من نوعها ومصنوعة خصيصاً للقزم

الذي يحتاج إليها».

نظر أوين حوله في الغرفة، كان هناك كثير من الرفوف، والكراسي، والأواني، والمقالي، وأواني الطبخ، بالإضافة إلى كل الأشياء التي كانت موجودة في مطبخ منزله في القرية، وكلها موضوعة بشكل مرتب على الرفوف أو معلقة في خطافات معدنية كبيرة مثبتة على الجدران الحجرية، حتى هذه الغرفة التي يجلس فيها كانتْ دافئة للغاية إلى درجة نسي معها أنه في كهف.

بدأ أوين بالضحك على بعض صفار البيض الذي لطخ لحية أوثغار البيضاء: «لديك القليل من..» ثم أشار إليه: «هناك».

شعر أوثغار بالإحراج، ومسح البقعة الصفراء فوراً، وقال محاولاً تغيير الموضوع: «هل تعرف لماذا يملك الأقزام مثل هذه اللحى الطويلة؟».

مازحه أوين: «ليغطوا وجوههم القبيحة؟».

حذّره أوثغار: «انتبه لما تتفوّه به يا ولد».

«كلا، لا أعرف لماذا يمتلك الأقزام مثل هذه اللحى الطويلة؟».

«يظهر الأقزام فخرهم بطريقة طبيعية، نحن مثل الحيوانات الموجودة في الطبيعة».

قال أوين وهو يشعر بالحيرة: «ما الذي تقصده؟». لقد أراد وبشدة أن يلقي نكتة ساخرة تجمع بين الحيوانات والأقزام، ولكنه علم أن من الأفضل ألا يثير غضب أوثغار في منتصف القصة.

«مثل الظبي والغزال والموظ جميعها تفخر بعرض قرونها، وكلما طالت هذه القرون دلّ ذلك على تقدمها في العمر، وبالمثل يملك الأسد ملك الغابة لبدة، ويفرد الطاووس ريشه مستعرضاً جمال ألوانه، ونحن الأقزام نفعل مثل هذه الحيوانات ونستعرض طول لحانا الطبيعي، أما أنتم البشر فتتزينون بالمجوهرات الفاخرة، وتطلي إناثكم وجوههن بمختلف أنواع المساحيق، وتضيفون كثيراً من الحلي إلى ملابسكم وغيرها من الأشياء الأخرى لتعزيز جمالكم وكلها ليستْ طبيعية، أنتم تفتخرون بما لديكم ولسان حالكم: كلما امتلكنا أكثر بدونا أعظم. نحن الأقزام نميل إلى إظهار فخرنا بالطريقة التي نكتسب ونصقل بها مهاراتنا ونشارك هذه المهارات مع بعضنا، ونتطلع إلى مشاركة كل شيء مع بعضنا بدلاً من محاولة أن يصبح أحدنا أفضل أو أن يملك أكثر من شخص آخر».

قال أوين بنبرة منخفضة خائفاً من أن يُغضب أوثغار: «أنت تصور البشر وكأنهم جميعاً فظيعون، ولكنك بكلامك هذا تجافي الحقيقة». ثم أكمل: «خواتم الزواج التي يضعها معظم الناس في أصابعهم لها هدف أنبل من إظهار الجمال، فهي عبارة عن رمز للوحدة بين شخصين، ويمكن للقلادة التي نضعها أن تحمل صورة شخص عزيز، فعلى سبيل المثال تمتلك أمي قلادة تحمل صورتها وصورة أبي، وعندما تشعر بالحزن تنظر إليها فيتحسن مزاجها، لذلك لا يمكنك القول إن البشر لا يهتمون سوى بالمظهر، أجل بالتأكيد نحن نرتدي الملابس الجميلة لنبدو

أفضل، ولكن المظهر الجيد يشعرنا بالرضى عن أنفسنا، وأنا لا أرى خطباً في ذلك».

أومأ أوثغار برأسه، وقد بدا وجهه أحمر بعض الشيء من الخجل وقال: «لم أفكر أبداً بالأمر بهذه الطريقة».

«أنا أتعلم منك الكثير عن الأقزام، وبما أننا لا نعرف كثيراً من الأشياء عن بعضنا، لذا لا يجدر بنا أن نصدر أحكاماً مسبقة عن بعضنا، بل يجب أن نسأل، ونستوضح، ونناقش لنعرف أكثر بعضنا عن بعضا».

«أنت حكيم يا أوين، أكثر حكمة بكثير مما كنت أتصور».

سأله أوين بهدف التعلم أكثر: «حسناً، أنتم لا تتزينون بالمجوهرات أو الخواتم أو ما يشبه ذلك؟».

«بلى نحن نتزين بها في بعض الأحيان، ولكننا لا نرتدي سوى المجوهرات التي تصنعها أيدينا خصيصاً لنا، وهي تعبّر عن حقيقة هويتنا ومن نحن بالضبط، كل قبيلة لها قطعة مميزة ترمز لها أو تُعبّر عنها، نحن لا نرتديها لنجمل أنفسنا بها، ومع ذلك أستطيع أن أفهم سبب قيام البشر بذلك الآن، نحن الأقزام لا نحتاج إلى أي نوع من الجمال الذي لم يكن فينا بشكل طبيعي».

«هل لذلك تزين منزلك بالعديد من النقوش؟».

«نعم نحن نروي القصص من خلال هذه النقوش، هل رأيت نقوش الأقزام على الجدران؟».

«أجل لقد رأيتها، وشعرت بالدهشة لما تبدو عليه من واقعية».

«ذلك لأن هؤلاء الأقزام كانوا ذات يوم على قيد الحياة إنهم أفراد من عائلتي، نحن ننحت صورهم في أكثر الأماكن التي نريدهم أن يتواجدوا فيها، مثلاً عندما نلتقي في القاعات تكون جدرانها مزينة بالمنحوتات والتصاميم الجميلة لهم لنستمتع بها جميعاً، نحتفل معاً، ونعد الولائم الكبيرة، ونستمتع جميعاً بالصحبة، ونتبادل الأحاديث مع بعضنا».

قال أوين بصوت خافت: «يبدو هذا في غاية الروعة». ثم حدق إلى الطاولة ومرر إصبعه على التصميم المنقوش عليها وهو ينظر بعمق.

سأله أوثغار: «ألا تحتفل مع أشخاص آخرين مثلك؟». لقد حان الوقت ليبدأ أوثغار أيضاً باكتشاف الأشياء عن أوين.

لم يعلم أوين كيف يجيب عن هذا السؤال: «حسناً.. بخلاف أمي، ليس لديّ أي أصدقاء، والآن أنت صديقي، لقد أصبح لديّ صديقان». نظر أوين إلى أوثغار في الوقت الذي كان يتفوه بجملته هذه، كان ينتظر أن يقول القزم إنهما ليسا صديقين، ولكن بدلاً من ذلك لاحظ الصدمة على وجه أوثغار.

«لماذا ليس لديك أصدقاء آخرون؟». قال أوثغار كلمة أصدقاء ببطء شديد وهو لا يزال مصدوماً.

«لأن الأولاد الآخرين وحتى البالغين يسخرون مني، وينعتونني بنعوت ساخرة لأنني نحيف وأخرق، ويدفعونني باستمرار وأشياء من هذا القبيل». ثم عاود النظر إلى الطاولة.

«لماذا تدعهم يفعلون بك؟».

انفجر أوين بغضب: «أدعهم يفعلون ذلك؟ أتظنني أرغب في ذلك؟».

ظل أوثغار يتحدث بهدوء: «سأقول لك مجدداً إن البشر يريدون أن يظهروا أنهم أفضل من غيرهم».

«حسناً، ماذا عليّ أن أفعل حيال ذلك؟ لقد سألتني لماذا أدعهم يفعلون ذلك، والجواب بكل بساطة أنني لا أعرف كيف أمنعهم».

«ربما إذا أظهرت لهم بعضاً من المهارات والقدرات التي تملكها فلن يعبثوا معك».

غضب أوين وضرب الطاولة بقبضته: «ما تقوله لا معنى له، ما الذي تعرفه أنت؟».

«كل ما أعرفه أنهم يزعجونك، ولكنك لا تفعل شيئاً لتضع لهم حداً، وتجعلهم يكفون أذاهم عنك».

«أوه، هل الأقزام لا يتدافعون؟ أراهن أنك مسالم للغاية، أليس كذلك؟ ألا تذكر المرة الأولى التي رأيتني فيها، ألم تحاول قتلي ورمي جثتي خارج كهفك؟».

«كان الوضع مختلفاً».

«ما المختلف فيه؟ لم تعطني الفرصة أيضاً لأظهر لك أي صفات أو مهارات أخرى لي، لقد ركضت باتجاهي كالذئب الجائع، أنت لست أفضل مني».

بدا أن أوين يستشيط غضباً، فقد احمر وجهه، وشعر بالعرق يسيل من جبهته. قال أوثغار: «حسناً، فهمت قصدك، أنا في غرفتي

إذا احتجت إليّ، ربما عليك أن تمضي بعض الوقت بمفردك».

مضى أوثغار في طريقه قبل أن يقول أوين أية كلمة، وقف أوين مندفعاً، وابتعد عن الطاولة، وبدأ يلكم الهواء: «إنه قزم غبي، ما الذي يعرفه؟». ثم مشى ذهاباً وإياباً واضعاً يديه على خاصرتيه، لكنه سرعان ما بدأ يشعر بالندم والسوء لأنه صرخ في وجه صديقه الذي استقبله، وأطعمه، وقدّم له غرفة وسريراً مريحاً للغاية، وحاول مساعدته، وبدلاً من أن يشكره صرخ في وجهه.

نظر أوين حوله، فرأى قدراً كبيرة وإلى جانبها حوض من الماء، ذهب وملأ القدر بالماء، وعلقه بخطاف كبير فوق النار، وما إن سخن الماء، بدا أوين بتنظيف الأطباق، وأعادها إلى الأماكن التي ظن أنه يجب أن توضع فيها.

قال أوثغار: «عمل جيد». ارتعب أوين الذي كان يولي ظهره للقزم، ثم أدار وجهه: «أوه أنا.. آه.. أردت أن أنظف قليلاً، لقد أدركتُ أنني لم أشكرك أبداً على الفطور، لقد كان جيداً جداً».

قال أوثغار: «على الرحب والسعة».

«أنا آسف بشأن ما حدث...». لوّح أوثغار بيده مشيراً لأوين أن يتوقف عن الحديث: «بين الحين والآخر كلنا نقول كلمات ونتصرف تصرفات لا نقصدها حقاً، لا يهم ما نقوله ونحن غاضبون، بل ما يهم هو أن لا نكرر تلك الكلمات أو التصرفات لاحقاً».

أومأ أوين برأسه موافقاً.

«تعالَ يا ولد، فأنا أريد أن أريك شيئاً».

اختفى أوثغار مرة أخرى باتجاه ورشة الحدادة، خرج أوين من الغرفة عبر الفتحة المحفورة في جدار الكهف عائداً إلى المكان الذي التقى فيه بالقزم للمرة الأولى قبل أيام قليلة.

قال أوثغار مشيراً إلى طاولة على يمين أوين: «إنه هناك». كان هناك ملاءة رمادية تغطي شيئاً ما تحتها.

سأل أوين: «ما هذا؟».

«ارفع الملاءة وانظر، لقد أنهيت صنعه الليلة الماضية في الوقت الذي كنتَ فيه نائماً. عندما أشعر بالأرق في بعض الليالي أتسلى بصنع الأشياء».

اقترب أوين من الطاولة، وسحب الملاءة الرمادية برفق، فرأى أسفلها سيفاً يتلألأ بلون أزرق داكن مثل لون النهر في يوم مشمس، وقد لف مقبضه بجلد بني غامق، ولكن كل ما تبقى كان باللون الأزرق نفسه.

علّق أوين: «إنه يبدو كقطعة واحدة من الفولاذ الصلب».

«إنه يبدو كذلك لأنه فعلاً من الفولاذ، ولكن كل ما في الأمر أنه نوع خاص من حجر اللازورد الأزرق».

جحظت عينا أوين من الدهشة، وهو يتذكر الحجر الذي يريده الملك والذي جلبه مع أوثغار: «رائع، رائع!».

حثه أوثغار قائلاً: «ارفعه، ولكن كن حذراً إنه حاد للغاية».

مدّ أوين يده، وأمسك بالمقبض الجلدي بواسطة أصابعه الهزيلة، وجهّز نفسه لرفعه، ولكن ما فاجأه أنه رفعه بسهولة، أمسكه أوين، وأخذ يلوّح به مستمتعاً باللون الأزرق الذي يتألق

في الضوء المنبعث من المشاعل ومن أشعة الشمس التي تتسرب عبر الشقوق الموجودة في سقف الكهف.

ضحك أوين بابتهاج: «أوثغار، هذا رائع جداً». كان يلوّح به أمامه ببطء ذهاباً وإياباً كما لو أنه يقطع الأعداء بدلاً من الهواء، ثم أكمل قائلاً وهو لا يزال يلعب به: «هل هذا هو السيف الذي ستعطيه للشخص الذي سيقاتل التنين؟».

«أجل لقد فعلتُ ذلك لتوي».

فجأة استدار أوين، وأصبح وجهاً لوجه مع أوثغار، وأنزل السيف إلى جانبه: «ما الذي تقصده بقولك لقد فعلتُ ذلك لتوي؟».

قال أوثغار: «لقد سألتني إن كنت سأعطي هذا السيف إلى الشخص الذي سيقاتل التنين وقد أجبت على ذلك، لقد فعلتُ ذلك وأعطيتك إياه».

أكثر ما يدهش أوين في أوثغار أن الأخير يتكلم بهدوء وثقة.

«من المستحيل أن يكون ذلك صحيحاً، هل تعتقد بأنني الشخص الذي سيقف في وجه ذلك المخلوق العملاق؟ لا بد أنك تمزح». ثم أمسك أوين بالسيف، وأعاده إلى الطاولة فوق الملاءة الرمادية، وقال مبتسماً بعد أن أقنع نفسه أن أوثغار يسخر منه: «هيا الآن قل لي الحقيقة أوثغار. من هو صاحب السيف الحقيقي؟».

«أوين أنا جاد في ما أقوله، أنت الشخص الذي سيحقق السلام بين الأقزام والبشر، أنت الشخص المختار لذلك».

«مـاذا تقصـد بقولـك إنني الشـخص المختار فأنـا.. مهلاً!»
توقـف أويـن في منتصف حديثـه، وأغمض عينيه قليلاً ونظر إلى أوثغار: «بماذا ناديتني للتو؟».

«ناديتك أوين، هذا هو اسمك أليس كذلك؟».

«أجل بالتأكيد هذا اسـمي، ولكن لم يسـبق لك أن خاطبتني به، أنت دائماً تناديني قائلاً يا ولد، لماذا ناديتني به الآن؟».

أشـار إلـى أويـن بيده ليتبعه: «تعال معـي، فهناك أمور كثيرة يجب أن أُطلعك عليها».

سأله أوين وهو يشعر بعدم اليقين من كل ما يحدث له الآن، ورأسه يُقلّب كل الأمور التي تجري في حيرة: «إلى أين؟».

لم يجب أوثغار عن سـؤاله، وغادر الكهف بسـرعة، عندما خـرج أويـن ليلحق به أبهر الضوء الشـديد عينيه، وشـعر بالضوء وكأنه لسعة دبور. فبغض النظر عن ضوء الشمس المتسرب إلى الكهف، كان الضوء في الخارج أشد سطوعاً، ولم يبدُ أن أوثغار يعاني من أي مشـكلة تجاه ذلك، ولم يبدُ أن لديه وقتاً للتحدث أيضاً.

أدرك أويـن بعـد أن أمضـى كل هـذا الوقت مع القزم أن كل ما عليه فعله هو اتباع خطواته، وعدم سؤاله أي أسئلة مزعجة.

عندما كان أوين يتبعه بكل طاعة، اضطر إلى الوقف والصعود على الصخور والأغصان المتكسرة بين الحين والآخر، بينما كان أوثغـار يتحـرك بخطوات انسـيابية بشـكل مذهـل حيث تحركت سـاقاه القصيرتان بشـكل مدروس لا تشوبه شائبة. بالمقابل شعر

أوين بساقيه الطويلتين والنحيلتين وكأنها عبء عليه.

أخيراً، توقف أوثغار بجانب النهر، وجلس تحت أغصان أجمة أشجارها ذات عناقيد بيضاء وسوداء، جلس أوين إلى جانبه، وأخذ ينظر إلى تموجات مياه النهر بصمت.

أخذ أوثغار استراحة قصيرة، قبل أن يتكلم بطريقة بطيئة وهادئة بنبرة لم يسبق لأوين أن سمعه يتحدث بها وسأله: «هل تعرف ماذا يعني اسمك يا أوين؟».

نظر أوين إليه، والدهشة تعلو وجهه: «كلا، هذا هو الاسم الذي أطلقته عليّ أمي عندما ولدت، أشك أن هناك شيئاً آخر».

«نحن الأقزام نعطي للأسماء أهمية كبيرة، فكل اسم يُعطى لشخصه بعد تفكير طويل وعميق، وأنا أعتقد وعلى الرغم من اختلاف طقوس تسمية الأطفال بيننا، إلا أن البشر أيضاً يعطون للاسم أهمية بالغة».

ردّ أوين: «حسناً، ماذا يعني اسم أوثغار؟».

«حسناً، هذا سؤال جيد، لقد أطلق جدي عليّ اسم أوثغار، وهو اسم مكون من جزءين أوث والتي تعني بلغتنا صلب مثل الحجر وغار جزء من الكلمة التي تعني الملك أو الحاكم كما تطلقون عليه في لغتكم».

«حسناً، يعني اسمك الملك الصلب؟».

«أجل أعتقد أن هذه هي الترجمة الأقرب إلى لغتك، ولكن اسمك يعني شيئاً مختلفاً تماماً عن ذلك».

قال أوين بحماسة شديدة: «قل لي ماذا يعني اسمي؟».

ابتسم أوثغار: «أوين اسم قديم يشبه اسم أويغان في لغتنا، أوين هو رمز الخلود والقوة الغامضة».

قال أوين وقد بدت الخيبة على ملامحه التي فشل في إخفائها: «آه.. ح.. حسناً، أتقصد بقولك هذا أنه يفترض بي أن أكون خالداً، آسف ولكنني لا أظن ذلك».

«كلمة الخلود لا تعني دائماً أن الشخص سيعيش إلى الأبد، بل أن أفعاله وأقواله هي ما ستجعله خالداً بالنسبة إلى الآخرين، وهذه الذكريات ستنتقل من جيل إلى آخر».

«آه أنت تقول إنني عندما أقتل التنين فإن الناس سيتحدثون عني إلى الأبد، ولكنني أعتقد أنني لست الشخص المناسب لهذه المهمة، انظر إليّ أنا هزيل ونحيف وأعاني كثيراً في حمل دلوين من الماء، فكيف سيكون بمقدوري أن أقاتل تنيناً».

قال أوثغار: «أريد أن أتشارك وإياك شيئاً آخر، وهو شيء قد يساعدك على معرفة لماذا اخترتك». لاحظ أوين أن أوثغار يتكلم بهدوء وكأن صوته قادم من عالم آخر.

«حسناً، ولكن عليّ أن أحذرك أنني أواجه صعوبة في تصديق واستيعاب كل تلك الأشياء، ولكن بغض النظر استمر».

«منذ سنوات عندما جاء التنين ودمّر جبالنا وقلاع البشر، قالتْ تلك العرافة وهي امرأة عجوز عاشتْ لأكثر من مئة عام أنه سيأتي شخص في يوم ما لديه شخصية قوية، ويمتلك قوة روحانية، وسيحرر البشر والأقزام، ويعيد السلام والتوازن إلى الأرض، لقد نبهت إلى أن إيجاد هذا الشخص سيكون صعباً

لأنه لن يحمل الصفات الخارجية للبطل، ولكنه سيملك نيران حماسته وقوته في داخله، وسيكون لديه الشجاعة للوقوف في وجه التنين كالوريث».

«حسناً، أنت تعتقد أنني أملك هذه المؤهلات؟».

«ألست شجاعاً؟».

«لم يسبق لي أن فكرت في الأمر، أظن أنني شجاع، أعني... أنا لا أعلم».

«في لقائنا الأول بعد أن رأيتني لم تركض، بل حاولت التحدث إليّ، لقد رأيت القليل من البشر الآخرين والذين ركضوا بمجرد أن رأوني. بالحديث عن ذلك أتساءل كيف جرحتَ وجهك هكذا؟».

رفع أوين يده، ومرر إصبعه على الجرح الملتئم في جبهته، لقد شعر بأن الأمر قد حدث منذ زمن بعيد عندما ضربه كوبينغر، أجاب هامساً: «كوبينغر».

«أتساءل ما الشيء الذي يجعل قائد جنود الملك يضرب ولداً؟».

احمر أوين فجأة: «انتبه، أنا لست ولداً، من أين تعرف كوبينغر؟».

«أنا أعلم أكثر مما تظن بكثير، أنا لا أقضي حياتي كلها تحت الصخور».

حاول أوين تجنب موضوع كوبينغر لأنه التجربة معه كانت محرجة: «لماذا تحب العيش في الكهف أصلاً؟ ألا تعتقد أن هذا

غريب بعض الشيء؟».

«لا تحاول التهرب من سؤالي، لماذا ضربك؟».

«لقد صادر مخبوزات توم ذي الخطوتين، وهو رجل مسكين بالكاد لديه ما يكفيه من الطعام، لم أرَ تصرفه منصفاً ولم يتصدَّ له أحد سواي».

حاول أوثغار إخفاء ابتسامته: «لقد فهمت، حسناً هل قدّر توم جهودك وشكرك لأنك حاولتَ إيقاف كوبينغر؟».

تذمر أوين واستدار: «بالكاد فعل ذلك».

«ما الذي تعنيه؟».

كان أوين غاضباً وهو يتذكر ما حدث، ولم يجب عن سؤاله: «كل ما فعله أنه وصفني بالغبي، وعندما عاد كوبينغر مرة أخرى باحثاً عن حجر اللازورد، أرشده هو وفتاة تدعى ريبيكا إلى منزلي، واتهماني بأنني سبب كل تلك المشاكل التي لم أكن أنا من بدأها أصلاً».

«وهل تصرف هذا الشخص معك بلؤم وسخر منك قبل هذا الحادث؟».

«بالتأكيد، لا يمر يوم لا يسخر مني أهل القرية لدرجة أنني أشعر أحياناً بأنني أتجول وأنا أملك لطخة كبيرة على ظهري أو شيئاً من هذا القبيل».

«حسناً، أنت تقول لي إن شخصاً ما يتصرف معك بلؤم، ولكنك دافعتَ عنه بغض النظر عما فعله لك، برأيك لماذا دافعت عنه؟».

قال أوين بغضب وبنبرة أقرب إلى الصراخ: «لأن أفعال كوبينغر لم تكن صحيحة، حسناً أفهم بأن توم لم يكن لطيفاً معي كل الأوقات، ولكنه رجل جائع، وإذا أخذ كوبينغر المزيد من مخبوزاته سيموت جوعاً». ثم كرر أوين: «حسناً، لماذا لا أدافع عنه؟ ما كان أحد ليدافع عنه، وليس هذا بالأمر الجيد».

«إذا سألتني عن رأيي في ما فعلته، فإن فعلك لا يقدم عليه إلا الشجعان، فهم يدافعون عن الحق ويقفون إلى جانبه».

«انظر، أنا لست الشخص الذي تظن أنني هو، فكرة أن أكون بطلاً بأكملها فكرة مجنونة، ربما يكون توم على حق، وربما أنا مجرد شخص غبي اعتقدتُ للحظة أنه يمكنك أن تساعدني، ولكنني كنت مخطئاً فلا أحد يستطيع مساعدتي، إنهم هناك يعتقلون والدتي ولا يوجد أحد يمكنه مساعدتي، ربما يعذبونها الآن، ولكن كل ما أردته هو أن أنقذها، وبدلاً من ذلك ها أنت ذا تملأ رأسي بكل تلك الأفكار والحكايات الغبية التي مضى عليها وقت طويل لدرجة أنها أصبحت سخيفة للغاية لأتمكن من تصديقها. كان يجب أن أتركهم يأخذونني أيضاً، كنت على الأقل سأكون إلى جانب أمي». صرخ بكل ذلك ثم ركض بعيداً.

وقف أوثغار وصرخ: «أوين، عد إلى هنا».

تجاهل أوين صراخ أوثغار، واستمر في الركض، كان قلبه يخفق بسرعة، وكانت قدماه تدفعانه إلى الأمام بكل ما أوتيتا من قوة، كان يهرب من أوثغار ومع كل خطوة يشعر بأن المسافة بينهما تزداد، تعثر عدة مرات، ولكنه ظل واقفاً ويتنفس بشكل

منتظم، وذلك بعد أن قبض على راحتي يديه، وكأنه يبحث عن شيء ما أمامه.

كان الهواء يداعب خصلات شعره، واستطاع أن يشعر بالنسيم البارد يلامس وجنتيه المتوهجتين إلى حدّ لم يعد يتذكر أنه غاضب، ومع اقترابه من الكهف، بدأ غضبه يتلاشى، وتساءل: «ما الذي أهرب منه؟».

دخل أوين الكهف مهرولاً قبل أن يتحول إلى المشي، تمشى بحوار الجدار، حيث كانت ألسنة اللهب الصادرة من المشاعل تلقي بظلالها على الجدران، وذلك بعد أن غابت الشمس واختفى نورها.

كان أوين على وشك أن يغادر ورشة الحدادة ويدخل إلى غرفة نومه عندما نظر إلى بريق السيف الأزرق، توقف فجأة بحسرة، كان يريد بشدة أن يذهب إلى سريره ويستلقي وينام. كان وجهه قد أصبح مشدوداً بعدما جفت دموعه، وشعر بشيء يمنعه من المضي قدماً باتجاه سريره، شعر برغبة جامحة في تجربة السيف مرة أخرى ورفعه والشعور بثقله بين يديه.

في النهاية، استسلم أوين لرغبته الغامضة، وتوجه إلى الطاولة، ومدّ يده ببطء، وأمسك السيف من الجلد الذي يغطي مقبضه، وحدق إلى المعدن الأزرق اللامع، وشاهد انعكاس ضوء المشاعل وهو يتراقص على حوافه، ورغم أنها المرة الثانية التي يمسكه بها، إلا أنه صُدم مجدداً؛ كم بدا وزنه خفيفاً مقارنة بطوله وعرضه.

هـذه المـرة لاحظ أوين المهـارة الفائقة التي امتلكها أوثغار لصناعة مثل هذه القطعة الرائعة، لقد كان هناك العديد من النقوش المعقدة للغاية، لم يعرف أوين ما الذي ترمز إليه، ولكنها كانت جميلة جداً، ظل يحدق بصمت إلى السيف، ولم يلحظ أن أوثغار تبعـه إلـى الكهـف، قفز أوين قليـلاً عندما بدأ أوثغار حديثه وقال هامساً: «إذاً لقد أحببتَه».

قال أوين ما كان يفكر به: «إنه جميل جداً».

«ستتعلم كيفية استعماله، إن الأمر بسيط جداً، وكأنك تبسط يدك أمامك، ستستخدمه وكأنه جزء منك، لأن هذا السيف صُمّم لـك فقـط، لا أحـد يسـتطيع إنقاذ والدتك سـواك، سـتكون هذه مهمتك».

تلاشى كل الغضب الذي كان يشعر به، بدا أن كل الأدرينالين والدموع والجري جعلت غضبه يتبخر، سأله أوين: «كيف سأتعلم استخدامه بالشكل الصحيح؟».

«سأعلمك».

مـدّ أوثغـار يـده، وأخـذ السـيف من يـد أوين، وأعـاده إلى الطاولـة: «سـأعلمك لاحقـاً، ولكـن عليـك الآن أن تذهـب إلى غرفتك وترتاح وتفكر في ما قلته لكَ».

ترك أوين السيف واستدار باتجاه أوثغار.

اختفت الحماسة المفاجئة التي شعر بها تجاه السيف وقال: «أفكر؟».

«نعم، أنتم البشر تسمون هذا أحياناً تأملاً، لقد أطلعتك على

قدر كبير من المعلومات، لذلك عليك أن تفكر بها وتتأمل». ثم تابع أوثغار بصوته الرقيق والمريح: «اذهب الآن إلى غرفتك، وارتح، وفكّر بكل ما سمعته اليوم، وفي الغد سنبدأ التمرين».

أومأ أوين برأسه موافقاً، لقد كان يشعر بالتعب، لم يكن وقت النوم قد حل بعد، ولكنه قرر أن يستسلم لكل ذلك الإرهاق، ذهب أوين إلى غرفته، وتقلب في سريره لبعض الوقت حتى نام نوماً عميقاً.

8

تثـاءب أويـن، وتقلب قليلاً في سـريره، فهو لم يكن يرغب بالنهـوض علـى الفـور، كوّر نفسـه تحـت البطانيـات، ونظر إلى النقوش الموجودة على جداره في الأعلى قبل أن يدفع البطانيات جانباً، وينهض من سريره، ليبدأ يوماً جديداً. كان أكثر نقش أحبه لقزم عريض الكتفين يحمل مطرقة كبيرة، فقد لفت نظره الطريقة التي يقف فيها، كتفاه إلى الخلف وصدره إلى الأمام، فكّر أوين بأن القزم رُسم هكذا ليظهر وكأنه يشعر بالفخر، ثم دوّن ملاحظة فـي ذهنـه ليتذكـر أن يسـأل أوثغار عن ذلك. مشـى ببطء وهو لا يـزال يتثـاءب، واتجـه إلى المطبخ متوقعـاً أن يجد أوثغار يحضر وجبة الفطور.

عندما نظر أوين إلى الطاولة كانت فارغة تماماً. ليس هناك أي طعـام يُطهـى أو موضـوع على الطاولة. الشـيء الوحيد الذي تمكـن مـن رؤيتـه كان قطعـة من الورق على الطاولة مشـى أوين باتجاههـا بتثاقـل، وتفحصهـا قليـلاً، ثم قرأ ما جـاء فيها: «أوين، لقد نمت أكثر من اللازم وفاتتك وجبة الفطور، تعالَ إلى النهر. أوثغار».

لـم يكـن أسـلوب الكتابة مألوفاً، فـكل حرف فيها مكتوب بخطـوط مائلـة وحـادة وتـكاد تكون محفورة فـي الورقة، همس أويـن: «هـذا مثيـر للاهتمـام». ولكـن معدتـه لم تكـن تصدر أي أصوات حتى الآن، لذلك لم يعترض، ونفّذ ما كتب على الورقة.

كان الهواء دافئاً والأشجار تلقي بظلالها على جانبي الطريق الممتد على طول الجبل، بينما كان أوين يتوجه نحو أوثغار. لم يكـن فـي عجلة مـن أمره، فأخذ وقته وهو يستنشـق الهواء النقي الممـزوج برائحـة الطبيعة، ويسـتمتع بمنظـر الطحالب الخضراء التي غطت الأرض ببقع حول الصخور والأشجار.

كان النهـر يجـري أسـرع مـن المعتـاد، وهنـاك العديـد من الأوراق والقطع الصغيرة التي تمشـي مع مجرى النهر كقوارب صغيـرة طبيعيـة. رأى أوثغـار جالسـاً، وقد أسـند ظهره إلى جذع شجرة، وكان يقشر لحاء غصن.

نـادى أويـن وهـو يخطو بسـعادة نحو النهر: «صبـاح الخير أوثغار». ثم انحنى صوب ضفة النهر، ورش بعضاً من الماء البارد المنعـش علـى وجهـه، ثم فرك عينيه بالمياه لإزالة آثار النوم التي لا تزال عالقة هناك.

«حسناً، لقد انتهى الصباح بالفعل منذ بعض الوقت، إذا كنت ستتدرب يجب عليك أن تستيقظ باكراً، وتعمل بجد طوال اليوم».

قال أوين بنغمة إيقاعية أشبه بالغناء: «أنت محق، ولكن رغم ذلـك لقـد كنـت مرهقـاً جداً، وقـد احتجتُ إلى النوم فأنا أشـعر بتحسن كبير اليوم».

تذمر أوثغار: «جيد، تعال إلى هنا فنحن سنبدأ التدريب الآن».

احتج أوين: «لقد استيقظت للتو».

«هذه مشكلتك». كان هناك شبكة كبيرة تنتظر أوثغار على الأرض، فأشار إليها، وطلب من أوين أن يأخذها.

ضحك أوين: «ما الذي سأفعله بها؟».

«اصطد لنا الغداء، ما الذي ستفعله غير ذلك؟ تعالَ الآن إلى هنا، وتوقف عن اللهو، وابدأ العمل».

«حسناً بما أنك لا تخطط لإخباري كيف يجب أن أرمي هذا الشيء، هل يمكنك أن تريني أولاً كيف أفعل ذلك؟».

«ممتاز، شاهد بتركيز لأنني لن أفعل ذلك إلا مرة واحدة».

راقب أوين أوثغار وهو يمسك الحبل ويصنع حلقات كبيرة في يده اليمنى ثم رفع الجزء العلوي من الشبكة وصنع حلقتين أخريين حول اليد نفسها، ثم سحب ذراعه بسلاسة تدل على خبرته الكبيرة في ذلك، ثم سأل لأوين: «هل أنت معي؟».

أجاب أوين من دون أن يبدي أي اهتمام: «أجل يبدو الأمر سهلاً جداً حتى الآن».

واصل أوثغار بمناوراته لاستخدام الشبكة مادأ ذراعه اليسرى بقدر ما يستطيع، ثم أعاد جزءاً واحداً من الطرف المثقل بالوزن، ثم أمسك بقطعة أخرى من النهاية السفلية، والتف، ولوى جسده تاركاً الشبكة في يده اليسرى أولاً، وعندما أصبح جسده في مواجهة الماء، أطلق الشبكة بيمناه.

شاهد أوين الأمر وهو يشعر بالرهبة، كانت الشبكة بأكملها ترتفع في الهواء على شكل دائرة كبيرة وتسقط في الماء بتناسق كبير بفعل النهاية المثقلة بالوزن.

سمح أوثغار لها بالغوص عميقاً حتى قاع النهر، ثم سحبها بكلتا يديه بواسطة الحبل، حتى وصلت إلى السطح، فسقطت منها سمكتا سلمون مرقطتان، وأخذتا تقفزان أمام قدميه، انحنى أوثغار، وأمسك كل واحدة برفق وأعادها إلى الماء.

قال أوين: «لقد كان هذا جميلاً جداً، ولكن لماذا لم تحتفظ بالسمكتين؟ كان بإمكاننا أن نأكلهما».

«لأنه حينها لن تكون قادراً على تعلم كيفية الاصطياد بنفسك».

«حسناً هذا لا يبدو صعباً، أعطني الشبكة يمكنني القيام بذلك». ثم مشى متباهياً نحو الشبكة الملقاة على الأرض، بينما جلس أوثغار إلى جانب الأجمة، وسحب من جيبه غليونه الخشبي، وأخذ يدخن وينشر الدخان الكثيف الرمادي حوله والذي تصاعد حتى بلغ الأغصان.

شعر أوثغار بالمتعة وهو ينظر إلى تعابير وجه أوين الذي قال: «إنها أثقل مما توقعت... وأطول أيضاً». عندما وصلت ذراع أوين إلى نهاية الشبكة المثقلة أمسك بها، ثم رفع ذراعيه فوق رأسه. كانت الشبكة تشبه شبكة العنكبوت وثقيلة جداً جداً لذلك وبمجرد أن رفعها فوق ذراعيه وبسبب الوزن غير المتكافئ وتأرجحه الشديد فقد توازنه وسقط أرضاً. قهقه أوثغار

وهو يشاهد أوين يسقط على الأرض وقد غطته الشبكة بالكامل.

«توقف عن الضحك، وساعدني على الخروج، أليس ذلك ما يجب عليك فعله؟».

كان أوين يتلوى تحت الشبكة، ويحاول تخليص نفسه محركاً ذراعيه ذهاباً وإياباً ولكن الشبكة كانت تزداد تشابكاً.

قال أوثغار وهو يرفع الشبكة عن الولد الذي احمرّ وجهه من الحرج: «استرخِ فقط، وتوقف عن الحركة، فأنت تزيد الأمر سوءاً». ثم تابع أوثغار بلهجة أكثر لطفاً: «الشبكة كبيرة، ويجب عليك أن تعرف كيف توازن الوزن إذا شابكتها كثيراً عند سحبها سيؤدي ذلك إلى كثير من العقد التي يصعب حلها. لذا، كن لطيفاً وقوياً معها في الوقت نفسه».

«ماذا؟ ولكن ذلك غير منطقي. كيف يفترض بي أن أفعل ذلك؟».

«شاهدني مرة أخرى فقط، هذه المرة انتبه إلى الطريقة التي أتحرك فيه أنا والشبكة بالاتجاه نفسه، إذا قاومتَ جهة الشبكة فالشبكة ستقاوم وتدفعك أكثر بدورها».

هذه المرة، شاهد أوين أوثغار عن كثب وهو يقذف الشبكة مجدداً برقة وانسيابية إلى الماء، ولكن هذه المرة لم يكن هناك أي أسماك عندما سحبها، سأله أوين: «لا يوجد أسماك؟».

«إن القيام بعمل ما لا يعني أن نتيجته ستكون كما تتوخاها». ثم نفث الدخان من فمه.

«حسناً، لماذا نزعج أنفسنا بذلك؟ أعني إذا لم تضمن

الحصول على الأسماك، فلماذا تتكبّد عناء رمي الشبكة؟».

«لا تزال فتياً يا أوين، وستتعلم مع الأيام أن الفعل بحدّ ذاته يكون أكثر أهمية من النتائج التي تترتب عليه».

مجدداً، حاول أوين أن يفهم النصيحة، ولكنه كعادته وجد صعوبة في معرفة ما الذي يرمي إليه أوثغار: «أنا حقاً لا أفهم كيف يمكن أن يكون الفعل أهم من النتيجة؟ ذلك الكلام لا معنى له».

«يا بنيّ إنّ رمي الشباك يتطلب الصبر والتفكير، لقد قلتَ إنها ثقيلة وهي كذلك بالفعل، ولكن يجب أن تستخدم هذا الثقل في صالحك، عليك أن تتمرن حتى تصبح قادراً على استخدام الوزن للقيام بالعمل نيابة عنك وتتعلم كيفية توجيه الشبكة في الاتجاه الذي تريده، وتتيح لقوتك التوجه إلى الشبكة لتعمل أنت وإياها بتناغم، سيساعدك القيام بكل ذلك على تعلم مهارات أخرى في الحياة لاحقاً، هل يبدو أكثر منطقية؟».

أدرك أوين أن أوثغار لم يكن شخصاً متعالياً، لقد عاش حياته كلها وهو محاط بالكثير من الناس الغاضبين منه والذي يعلقون عليه آمالاً عريضة، وفي المقابل كل ما كان يفعله هو الصراخ أو التوقف عن المحاولة أمّا الآن فهو هادئ ويشرح مشاعره بودية وهذا ما أشعر أوين براحة كبيرة.

«حسناً أعتقد أنك محق، ولكنني حتى الآن لم أتعلم كيفية القيام بذلك؟».

عاد أوثغار إلى حيث كان تحت الشجرة: «كما قلت لك، ستحتاج إلى التدريب».

التقط أوين الشبكة، وحاول مرة ثانية، هذه المرة حاول أن يتذكر بوضوح كيف تحرك أوثغار عن طريق نقل ثقل الوزن من يد إلى أخرى ومد ذراعيه كما فعل بينما كان يمسك بأعلى الشبكة وعندما أصبح جاهزاً استدار وحاول أن يرمي الشبكة في النهر ولكن لم يسقط سوى نصفها بينما التف الباقي على الضفة عند قدميه.

نادى أوثغار وهو يبتسم بمتعة: «هذا أفضل».

«كيف كان ذلك أفضل؟ لم ينجح الأمر».

«هل أنت ملقى على الأرض تحتها هذه المرة؟». ولم ينتظره ليعطي جواباً بل أكمل: «حسناً هذه المرة كانت أفضل». ثم أكمل أوثغار وهو لا يزال مستلقياً بالوضعية نفسها في الظل: «الآن حاول مجدداً، ولكن استدر بجسدك، ودع القوة الدافعة ترمي الشبكة بحيث لا تحتاج إلا لتركها تفلت من يدك بدلاً من دفعها بكل قوتك».

بدأ أوين يشعر بالجوع، وأصبح اصطياد الأسماك أمراً ملحاً.

حاول مراراً وتكراراً وفي كل مرة كان أداؤه يتحسن، وتبتعد الشبكة أكثر فأكثر، ومع كل رمية كان يسمع هتافاً وتشجيعاً من أوثغار: «جيد، مرة أخرى».

كان أوين شخصاً مثابراً، وأراد حقاً أن يصطاد بالرغم مما يشعر به من جوع وتعب، كان يتعلم أكثر مع كل محاولة لرمي الشبكة، بحيث بدأ في فهمها ومعرفة كيفية العمل معها وليس بعكسها.

أخيراً، وبعد عدة محاولات تمكن أوين رمي الشبكة بطريقة مشابهة لطريقة أوثغار. ارتفعتْ الشبكة، ودارت في الهواء، ثم سقطت على الماء بطريقة دائرية، وعلى الرغم من أنها لم تكن مثالية إلا أن أوين شعر بالفخر الشديد.

وقف أوين وهو ينظر معجباً بالشبكة التي أصبحت تحت سطح الماء: «انظر إليّ لقد فعلتها».

شجّعه أوثغار: «جيد، الآن ارفعها كما فعلتُ».

نظر أوين حوله بحثاً عن الحبل، وعندها أدرك أنه نسي أن يمسك به، وقد أضحت الشبكة تحت الماء بالفعل، عبس أوين: «أوه لا.. الحبل».

قهقه أوثغار مرة أخرى: «يجب أن تمسك بالحبل دائماً، وإلا سيكون خيارك الثاني هو التبلل بالماء». ثم نهض من مكانه، ومشى إلى أوين وربت على كتفيه: «أنت تتعلم بسرعة، ولكن تذكّر دائماً أن كل شيء مكوّن من عدة خطوات، وعليك دائماً أن تفكر في المستقبل. أمّا الآن فسأذهب وأتركك تعمل، استمرْ بالمحاولة حتى تصطاد السمك». ثم تابع ضاحكاً: «هيا تبدو متعرقاً بعض الشيء، ستشعرك السباحة بشيء من التحسن».

قال أوين وهو يخلع حذاءه وجوربه: «أجل حسناً، هذا رائع».

ضحك أوثغار في سرّه وهو يسير مبتعداً. مشى أوين في الماء البارد وهو يشعر بالفعل بالتحسن، في الوقت الذي كان يستمر فيه بالغوص نحو عمق المياه، ناداه أوثغار من الأعلى: «قد

ترغب في البقاء في الأعلى لأن أي سمكة موجودة في الأسفل ستهرب من وجهك المخيف».

تذمّر أوين وهو يعمل على استرداد الحبل الغارق. ثم أعاد المحاولة مرة تلو الأخرى بلا كلل أو ملل محاكياً حركات أوثغار، ومع كل رمية كان أداؤه أفضل، حاول أن يبدّل مكانه على النهر، وسحب الشبكة بكل قوته، في النهاية تمكن من اصطياد أول سمكة له، وشعر بأنها جائزة ضخمة جداً، كم تمنى لو أن والدته كانت هنا لتراه، كلما فكّر فيها شعر بالضعف أكثر من أي وقت مضى، فهي أكثر شخص يُقدّر جهوده، وكانت ستهنئه كثيراً على اصطياده هذه الأسماك.

استطاع اصطياد أربع سمكات متوسطة الحجم، وشعر أن الوقت حان ليعود إلى أوثغار، كان يشعر بالألم في كل أنحاء جسده من رأسه حتى أخمص قدميه. وجد أن أوثغار ترك له دلواً، فاستخدمه أوين لحمل السمكات بيد، وحملَ الشبكة الملفوفة بعناية باليد الأخرى.

دخل أوين إلى الكهف، فسمع العديد من الأصوات العالية، فأدرك أن أوثغار يعمل الآن. عندما دخل شعر بأن الكهف مظلمٌ جداً ريثما تأقلمتْ عيناه مع الظلام. بمجرد أن سمع أوثغار الأصوات القادمة من الخارج وضع قطعة قماش كبيرة فوق ما كان يعمل عليه، إنها ملاءة تشبه تلك الموضوعة على السيف الأزرق الذي منحه لأوين.

قال أوين بفخر: «لقد اصطدتُ أربع سمكات». على الرغم

من التعب الشديد الذي شعر به في جسده أراد أن يظهر فخره.

«ممتاز، سوف نتناولها على العشاء الليلة، هيا تعال بالتأكيد أنت جائع جداً».

توجه أوثغار نحو المنزل قبل أن يردّ أوين، ووضع الشبكة على الطاولة، ثم مشى من الورشة إلى مكان المعيشة حيث كان قد جهّز بالفعل وعاء فيه بعض اليخنة غريبة المظهر، سأله: «من علمك الطهو؟».

شعر أوين بازدياد جوعه، وهو ينظر إلى هذه اليخنة الشهية، ونظراً للمذاق الشهي لكل طبخات أوثغار قرر الاستمتاع بتناولها مباشرة قال: «إلى جانب ذلك أنا جائع لدرجة أنني قد آكل هذه الملعقة الآن».

«أمي هي من علمتني كيف أطهو، لقد كانت طاهية عظيمة، كانت تصنع أفضل أنواع الحساء والعصائد، حسناً يمكن القول إنك دائماً عندما تكون طفلاً تعتقد أن والدتك هي أفضل شخص بالعالم، ووالدك أيضاً، أليس كذلك؟».

كان أوين منهمكاً في تناول الطعام، وفكرة والدته لا تزال تثقله كثيراً، أجاب بعد أن ابتلع لقمة كبيرة: «أجل». كانت كل لقمة بمثابة مفاجأة جميلة له، لم يكن يعرف ما الذي يأكله تماماً، ولكن ذلك لم يكن مهماً فقد كان لذيذاً جداً.

قال أوثغار محاولاً أن يجعل أوين يفتح قلبه ويقول ما يفكر به: «أنت تفتقد والدتك كثيراً، أستطيع أن أشعر بذلك».

«بالتأكيد، أنا لا أتوقف عن التفكير بذلك الجندي الذي

ضربها على رأسها، أتمنى لو أنني استطعت أن أمسك سيفي وأطعنه، وأريه جزاء من يعامل امرأة بطريقة غير لائقة».

«يمكن أن يُشكّل الغضب مشكلة كبيرة، يجب أن تتعلم كيف تسيطر على غضبك، وإلا سيشوش القرار الحكيم الذي يجب أن تتخذه في مواقفك الحياتية المتنوعة».

«هل أنت جاد؟ أنت لا تعتقد بأن ذلك الجندي يستحق أن ينال جزاء ما اقترفه؟». كان غضب أوين يزداد بدلاً من أن يهدأ.

«بالتأكيد لم أقصد ذلك يا أوين، أنا أوافقك، لم تكن تلك الطريقة التي يجب أن تُعامل بها امرأة، ولكن اسأل نفسك هذا أولاً: ما الذي تفعله عندما تواجه خياراً يمكن للغضب فيه أن يؤثر على حكمك؟».

«ماذا تقصد يا رجل؟ أنت دائماً تشوشني بأحاديثك المجنونة».

رفع أوثغار حاجبه الكث الداكن، ونظر من فوق صحنه باتجاه أوين: «مجنونة؟».

«حسناً الكلمة المناسبة ليست مجنونة بل.. هيا الآن أنت تعرف ما أعنيه».

تذمّر أوثغار: «أوف، حسناً.. اسمح لي أن أقدم مثالاً عن ذلك، لنفترض مثلاً أنك كنت تقف في منتصف ممر ولديك في أحد طرفيه الجندي الذي تستطيع بكل سهولة أن تتغلب عليه، وأمك في الجانب الآخر، ماذا تختار؟».

«حسناً، هذا سيناريو غبي جداً، في البدء سأهاجم الجندي،

ثم سأركض إلى أمي، وأخرجها بأمان بكل بساطة».

«جواب خاطئ!» قفز أوين في كرسيه، وتابع أوثغار حديثه: «هذا خاطئ تماماً، ماذا لو حصل شيء لوالدتك في الوقت الذي كنت فيه تهاجم الجندي. مثلاً أتى شخص ما وأخذها أو الأسوأ من ذلك قتلها؟ كيف ستشعر عندما تعلم أنه كان بإمكانك إنقاذها، ولكنك اخترت الانتقام من شخص أقل أهمية بكثير بدلاً من ذلك؟».

حدّق أوين إلى أوثغار: «أنا لم أحب هذه اللعبة، ولا أحب أي شخص حتى أنت عندما يتحدث عن موت أمي».

«ماذا ستفعل هل ستهاجمني؟ اجلس واستمع إليّ يا ولد. هذا بالضبط ما أقوله بشأن غضبك الذي يؤدي إلى حكم خاطئ، إذا أنقذت والدتك فإن كل شيء في حياتك سيعود إلى طبيعته، أما إذا هاجمته وبينما تفعل ذلك حصل شيء مروع لها، فستشعر بالذنب إلى الأبد خاصة إذا لم تتح لك الفرصة لإنقاذها. تذكر أنني أحاول مساعدتك، عليك أن تُفكّر في قراراتك قبل أن تتصرف باندفاع وتسرع، هذا هو الفرق بين اتخاذ خيار مروع قد يؤثر سلباً عليك وعلى شخص آخر في المستقبل وبين أخذ القرار الصحيح».

لا يزال أوين يشعر بعدم الراحة لمجرد التفكير بأن هناك خطراً كبيراً يحدق بها: «إنني أفكر بها على الدوام، اليوم عندما كنت في النهر لم أتمكن من التوقف عن التفكير بها، أوثغار إن الأمر مؤلم جداً».

قال أوثغار برقة: «أنا أعلم، كان تمرين اليوم أكثر من مجرد اصطياد سمك، في بعض الأحيان عندما نبقى لوحدنا نفكّر في أكثر الأشياء التي تزعجنا والتي نحاول أن نشغل عقولنا لنسيانها في أغلب الأحيان، ولكن ما يجب فعله في الحقيقة هو إيجاد الحل والعمل عليه لنصبح أقوى وأفضل».

«كيف يمكن لذلك أن يجعلنا أقوى؟ الأمر ليس ممتعاً! كل ما كنت أفعله طوال هذه المدة هو القلق من أن تكون تحت التعذيب أو جائعة أو.. ماذا لو حدث ما هو أسوأ».

«أنت خائف من أن تكون والدتك قد ماتت، أليس كذلك؟».

بدأت الدموع بالتساقط من عيني أوين بغزارة: «أجل».

«عليك يا أوين أن تسيطر على مخاوفك وغضبك وأنت تفكر في ما تعرفه من أشياء، وما يجب عليك فعله حيالها».

«أعرف أن عليّ مساعدة أمي، ولكنني لا أعرف كيف، كل ما أعرفه أن عليّ ذلك».

«أجل، أنا هنا لمساعدتك».

«لكن أوثغار، ماذا لو وصلت متأخراً جداً؟ ماذا لو كانت..».

لم يستطع أن يكمل كلامه.

«وماذا لو لم تكن؟ الآن هي فرصتك لقد خُيرت فأي مسار ستختار؟».

9

في اليوم التالي، استيقظ أوين وهو يشعر بألم في كل نواحي جسده، شعر كما لو أنه رُمي من المنجنيق، واصطدم بجدار القلعة، ولكن أخيراً، عندما تذكّر كيف نجح في رمي الشبكة، وجلب الأسماك شعر ببعض الاسترخاء.

سأله أوثغار عندما جاء ليتناول طعام الفطور: «ما المشكلة؟».

«أوه يا رجل، أشعر بالألم في كل عضلة من عضلات جسدي».

مازحه أوثغار قائلاً: «عضلاتك؟».

أجاب أوين بسخرية: «مضحك جداً».

ثم دوّر رأسه ورقبته بين كتفيه، قال له أوثغار: «هيا، تعالَ واجلس، واخلع قميصك، لديّ شيء سيساعد على التخفيف من آلامك». كان لصوت أوثغار دائماً وقع قوي عندما يأمر أوين بفعل شيء ما، وبالعكس عندما يريد أن يقول شيئاً ما ذا مغزى أو يحاول أن يخفف عن أوين فإن صوته يتحول إلى صوت لين ورقيق، فكّر أوين بينه وبين نفسه: «يا له من رجل غريب». ذهب وجلس إلى الطاولة، وانتظر بصبر عودة أوثغار، الذي عاد

وهو يفتح غطاء علبة معدنية: «عندما كنت ولداً، اعتاد والدي أن يفرك جسمي بهذا عندما بدأت العمل بالمناجم للمرة الأولى. يمكنك أن تتخيل الألم الناتج عن رفع المعول فوق رأسك لعدة ساعات».

صرخ أوين عندما وضع أوثغار يديه الكبيرتين على كتفيه: «تمهل! هذا بارد».

«استرخ يا ولد! إذا كنت تريد أن تشعر بتحسن، دعني أدهن هذا المرهم».

في الفترة الأخيرة، نادراً ما كان أوثغار يناديه بيا ولد، فهو لا يناديه بهذا اللقب إلا عندما يكون منزعجاً منه. في الوقت الذي كان فيه أوثغار يدلك رقبة أوين وكتفيه بالمرهم، شعر أوين بإحساس رائع يسري عبر الجلد إلى جسده التعيس ويريحه.

سأله أوين: «إنه فعّال، ممّ يتكون؟».

«خليط من أحشاء الضفادع وكبد الأسماك». ثم ابتسم أوثغار.

تنهد أوين: «هل تعلم أن لديك حس فكاهة غريباً جداً».

«ربما أنت هو الشخص الذي يمتلك حس الفكاهة الغريب، فأنا أشعر أنني ظريف حقاً».

ردّ أوين بسخرية: «حسناً».

عندها شعر أوين بصفعة مؤلمة على مؤخرة رأسه فضحك أوثغار: «احذر مما تقوله».

اشتكى أوين: «لقد صفعتَني!».

«أنت تستحق الصفع، الآن خذ هذا المرهم، وادهن منه عندما تشعر بالألم».

قال أوين بامتنان: «شكراً». كان يشعر بالامتنان حقاً لتخفيف الألم في عضلاته.

هذا ما حدث في صباح اليوم، أمّا الآن فها هو أوين مرة أخرى عند ضفة النهر يصطاد الأسماك، تحت شمس الصباح المشرقة التي أضاءتْ أشعتها مياه النهر الساكنة، وانعكستْ لتخترق عيني أوين ووجهه، كان إلقاء الشبكة لا يزال يُشكل له تحدياً فهي طويلة وكبيرة وثقيلة الوزن، ولكن كان عليه أن يستخدم ذلك لصالحه، ويجعل الشبكة تقوم بأغلب العمل. إن ما تشعر به، وأنت تصطاد السمك هو شعور رائع، حتى أنه بدأ يستمتع بقضاء الوقت بمفرده أكثر. ومع كل رمية أصبح انتظار السمك أكثر متعة وليس بمثابة عمل روتيني عليه إنجازه.

عندما حان وقت الغداء، أتى أوثغار وهو يحمل كيساً كبيراً على كتفه بيد وباليد الأخرى سلة كبيرة: «أنت تقوم بعمل جيد يا أوين، هيا الآن خذ قسطاً من الراحة، واجلس لقد أحضرت لك الغداء».

شرب أوين بعض الماء من الزق الجلدي، وبدأ بمضغ تفاحة طازجة: «نعم أعتقد أنني بدأت أعرف كيفية استعمالها وإمساكها جيداً، لقد اكتشفت أنه إذا كان هناك صخرة في الماء سيكون هناك في أغلب الأحيان سمكة أو اثنتان خلفها لتواجها تيار النهر،

وأعتقد أنني فهمت فكرة التحرك مع الشبكة في الاتجاه نفسه أيضاً وجعلها تقوم بكل العمل، لقد كنتَ محقاً».

تمتم أوثغار وبدا من نبرة صوته أنه منزعج: «بالتأكيد لقد كنتُ محقاً».

سأله أوين: «ماذا يوجد في ذلك الكيس الكبير الذي أحضرته؟».

«سأريك لاحقاً بعدَ الغداء، الآن كلْ جيداً، لأنك ستحتاج إلى كل طاقتك».

كره أوين فكرة ألا يعرف ما الذي يخبئه له أوثغار: «لأجل ماذا؟.. لماذا لا تخبرني ما الذي تقصده؟ لماذا تجعلني فقط أخمن طوال الوقت؟».

ردّ أوثغار: «لماذا تُكثر من الشكوى وطرح الأسئلة؟».

«حسناً، لا يهم أنا فقط سأكتشف ذلك لاحقاً بنفسي».

«فكرة جيدة».

ألقى أوين ما بقي من التفاحة بخفة، ثم توجه نحو الكيس وقال: «شبكة أخرى؟».

«أجل شبكة أخرى، اسحبها وألقي نظرة عليها».

«حسناً». فعل أوين ما طُلب منه، وسرعان ما أدرك أن هذه الشبكة أكبر وأثقل بكثير من التي يعمل بها.

سأله: «لماذا هذه الشبكة كبيرة جداً؟».

«هل تعلم بأنك تسأل كثيراً من الأسئلة الغبية جداً؟ شبكة أكبر يعني سمك أكثر، ويعني مزيداً من الطعام على العشاء».

ابتسم أوثغار مرة أخرى على دعابته التي لم يرها أوين مضحكة، وأكمل قائلاً: «من الأفضل أن تأكل جيداً فهذه الشبكة ستتطلب منك تدريباً إضافياً».

طوال الأسابيع التالية، كان أوين يذهب صباح كل يوم إلى النهر حاملاً معه الشبكة الكبيرة، في البداية هربت الأسماك منه، إمّا لأنه لم يعرف كيف يرمي الشبكة بشكل جيد أو لأنه لم يستطع إخراجها من الماء بالسرعة الكافية بحيث لا تهرب الأسماك الموجودة داخل الشبكة.

أياً يكن الأمر، بمرور الوقت شعر أنه يتحسن، أصبح حمل الشبكة الضخمة من وإلى النهر أسهل، وأصبح يعلم كيف يُحرّك جسده بطريقة مرنة وسلسة كشيء اعتيادي وغريزي يفعله من دون التفكير بالخطوات المطلوبة لذلك. أخيراً، تمكن من صيد الأسماك بسهولة باستخدام هذه الشبكة على الرغم من أنه سئم من تناولها كل يوم ولأسابيع متتالية.

نظر أوين على طول ضفة النهر قبل أن ينتقل إلى بقعة أخرى بعد أن حاول عدة مرات في البقعة نفسها. كان يرمي أي سمكة صغيرة جداً وأي سمكة كبيرة جداً، فلقد وجد أن الأسماك ذات الحجم المتوسط هي الألذ طعماً، لقد طلب منه أوثغار أن يحترم الأسماك، فإذا كانت السمكة كبيرة يجب عليه تركها تذهب، لأن هذا يعني أنها عاشت حياة طويلة وتستحق أن تنهي حياتها بشكل طبيعي بالإضافة إلى أنها تسهم بتكاثر الأسماك أيضاً.

كان شكل جسد أوين يتغير نتيجة للعمل الذي كان يؤديه،

فعلاوة على صيد السمك، كان يؤدي العديد من الوظائف الغريبة الأخرى، فقد طلب منه أوثغار كل يوم أن يمسح الأرضيات، ويغسل الأطباق، وحتى أن يطبخ، وسرعان ما اختفى انزعاجه من الموضوع وتحول إلى تقدير لأوثغار الذي أعطاه غرفة فيها سرير مريح، وحرص على إطعامه جيداً، أضف إلى ذلك شعر أنه أصبح أقوى، وعندما كان يتفقد عضلاته لاحظ أنها نمت، لقد بدأ يفقد صفات ذلك الرجل النحيف والهزيل الذي اعتاد سكان القرية على السخرية منه. يمكن القول وبشكل عام إن أوين بدأ يشعر بشكل أفضل تجاه نفسه.

«لقد عدت». كان أوين يمشي بمرح باتجاه المطبخ حاملاً وعاءً خشبياً كبيراً من التوت الأسود الذي طلب منه أوثغار جلبه منذ ساعات، وقال إنه سيذهب معه، ولكن تذكر أن عليه أن ينهي شيئاً ما كان يعمل عليه منذ فترة.

«ممتاز، تعال معي، فاليوم سنبدأ نوعاً جديداً من التدريب».

تنهد أوين: «أوه رائع حقاً لا يمكنني الانتظار». في الوقت الذي وضع فيه وعاء التوت على الطاولة، كان أوثغار قد اختفى مجدداً، وبغض النظر عن عدد المرات التي حدث فيها ذلك، لم يستطيع أوين التأقلم مع سرعة أوين المخيفة، هزّ أوين كتفيه، وأمسك حفنة من التوت، وألقاها في فمه قبل أن يلحق به.

دخل أوين إلى الورشة ليجد أوثغار يحمل سيفاً خشبياً في يده: «اليوم ستبدأ في تعلم كيف تقاتل، هيا احمل سيفك».

«حسناً لقد حان الوقت!». فلقد كان ينتظر هذا اليوم بفارغ الصبر.

وجد أوين سيفاً خشبياً آخر مشابهاً لسيف أوثغار، ذهب وأحضره، وألقى نظرة عليه، لقد كان بعيداً كل البعد عن السيف الأزرق الجميل الذي صنعه أوثغار ونحته بكل عناية.

«تعالَ وهاجمني».

«هاه؟ أتريد مني أن أضربك؟ سأقطعك إلى أشلاء».

«ها أنت مضحك جداً». ثم أمره أوثغار: «هيا تعال وهاجمني».

«حسناً، إذا كان هذا ما تريده، ولكن تذكر أنني لست مسؤولاً إذا تعرضتَ لـ....». قاطعت حديثه ضربة سيف مفاجئة من أوثغار، وهذا ما أفقده سيفه، عندها ثبت أوثغار سيفه على حلق أوين بينما ارتطم سيف أوين الخشبي بالصخور.

نظر أوثغار بثبات إلى عيني أوين وقال: «كنْ دائماً على معرفة بمحيطك، ولا تبعد عينيك ولا ثانية عن خصمك، فالعدو لن يتوقف عن المهاجمة». نظر أوين برعب، وازدرد لعابه بصعوبة، ثم أكمل أوثغار آمراً: «الآن التقط سيفك واستعد».

«حسناً خذ الأمر ببساطة، سأفهم ما تقوله بمرور الوقت، ما رأيك بإبعاد هذا الشيء عن رقبتي أولاً؟». ثم دفع أوين السيف جانباً بظاهر يده وسارع إلى استعادة سيفه عن الأرض.

دوى صوت أوثغار: «مجدداً، تعالَ باتجاهي».

مشى أوين باتجاهه، وطعن باتجاه أوثغار الذي سرعان ما

جعل نصله يتعامد مع نصل أوين، وهذا ما جعل ذراع أوين ترتد.

صرخ أوين: «خذ الأمور بشيء من البساطة». ثم شرع بالبكاء.

«هل سيأخذ عدوك الأمور ببساطة من أجلك؟ هيا مجدداً».

بقي أوين يؤرجح السيف في يده ذهاباً وإياباً من دون أن يقترب من أوثغار على الإطلاق، وشعر بمزيد من الإحباط.

«هذا ليس عادلاً، أنا لا أساويك بالسرعة أو بالقوة، كيف يفترض بي أن أكون قادراً على ضربك؟».

تراجع أوثغار قليلاً وأخفض سلاحه: «ما الذي تعلمته من استخدام شبكة صيد السمك؟».

«هاه؟ لا أعلم... كيف اصطاد السمك مثلاً؟». ثم أرخى أوين كتفيه سعيداً بأخذ استراحة قصيرة من القتال.

«في بداية تعلمك رمي الشبكة لماذا واجهتَ صعوبة؟».

«لأنني لم أكن قوياً كفاية.. أوه لقد عرفت ما الذي تتكلم عنه لقد قلت لي أن أترك الشبكة تؤدي العمل وأن كل ما عليّ فعله هو توجيهها».

«هذا كلام جميل ودقيق، الآن ينطبق الأمر نفسه على السيف، عندما تدفعه باتجاه الأمام فإنّ ذراعك ستتبع الحركة نفسها مباشرة». ثم قام أوثغار بحركة لكز سريعة بالسيف ليشرح له: «راقب ذراعي، وانظر كيف تتحرك مباشرة خلف السيف، الشبكة بمثابة السيف والاثنان ليسا سوى أداتين تحركهما بعقلك، فكّر في توجيه السيف

إلى حيث تريد، بدلاً من محاولة إجباره على الوصول إلى مكان ما، تماماً كالشبكة». ثم قفز أوثغار بوضعية قتالية واضعاً ساقه اليسرى أمام اليمنى بشكل مائل قليلاً: «والآن قف كما أقف، إذا وقفت بشكل مستوي بمواجهة عدوك ستمنحه نقاطاً أكبر من الأهداف ليضربك بها، لذلك حاول جعل واجهتك أصغر».

قلد أوين وقفة مدربه: «هكذا؟».

«نعم تحرك إلى الأمام والخلف بخطوات سريعة وصغيرة ولا تغفل عن خصمك أبداً تحت أي ظرف من الظروف، هيا مرة أخرى تعال باتجاهي».

تحرّك أوين بحسب تعليمات أوثغار بخطوات سريعة وصغيرة، ثم حرّك ذراعه وسيفه بسلاسة، وكأنهما امتداد لبعضهما بدلاً من أن تكون حركتهما منفصلة، ابتسم أوثغار، وشجّع أوين الذي استمر بالمضي: «نعم أنت تبلي جيداً استمر بالمضي قدماً».

اشتكى أوين: «أنا أحاول ذلك».

استمرا بالقتال لمدة ساعة تقريباً، ثم بحلول النهاية، كان أوين على وشك الانهيار وأوثغار أيضاً كان يتصبب عرقاً، لم يقترب أوين أبداً بحيث يلمس جلد أوثغار، ولكن كان هناك مرات استطاع فيها أن يقترب منه.

«أنا معجب بك يا أوين، أنت تتعلم بسرعة».

«نعم، رائع ولكن انظر إليّ أنا أعاني من الكدمات في كل مكان».

خلال فترة قتالهم استمر سيف أوين بالارتداد إليه وضربه في رجليه وذراعيه ناهيك عن المرات التي ضربه فيها أوثغار بسيفه.

«لهذا السبب نستخدم هذه السيوف الخشبية أولاً في التدريب، تخيل كيف كانت ستبدو هذه الكدمات لو أننا استخدمنا الشفرات الحادة، بمرور الوقت ستتعلم كيف تمسك بسيفك بكل احترام وبحزم شديد بحيث أن لا أحد سيكون قادراً على جعله يرتد عليك».

«رائع، ولكن ماذا لو تعرضت لضربة ما؟ السيف الحقيقي كفيل بأن يجعلني أتحول إلى أشلاء مباشرةً، شيء جيد جداً أن أصبح عدة أجزاء ملقاة على الأرض».

ابتسم أوثغار واتسعت عيناه: «لقد وضعت خطة لهذا أيضاً.. لقد أكملتُ المرحلة الأخيرة من تحولك، أما ما تبقى من العمل فهو يقع على عاتق تمرينك ومخيلتك».

«تحول؟ ما الذي تتكلم عنه بحق السماء؟».

أشار أوثغار إلى شيء ضخم يبرز من الحائط بجانب العديد من الرفوف التي تحتوي على أدوات يظن أوين أنها على الأغلب أدوات حدادة: «هل ترى هذه الملاءة هناك؟ اذهب وانظر لقد قضيتُ وقتاً طويلاً وأنا أعمل على صنع هذه الأشياء، لقد صنعتها خصيصاً لك».

«رائع!». لم يستطع أوين السيطرة على حماسه، وركض إلى الزاوية التي أشار إليها أوثغار، وسحب الملاءة بأكملها بقوة،

فسقطت الملاءة لتكشف عن زي كامل من درع واقٍ، وخوذة، ودرع كامل للجسد، جميعها مصممة بشكل مطابق تماماً للسيف الأزرق بلمعته والنقوش الموجودة عليه.

قفز أوين في الهواء، وبدأ يضحك بشكل هيستيري: «أنت تمزح! هل هذا لي؟.. هذا رائع!».

«أنا سعيد لأنها أعجبتك. هيا دعني أساعدك في ارتدائها».

ساعده أوثغار وهو يشرح له عن كل قطعة أثناء وضعها ابتداء من سلاسل الخوذة إلى الصفائح المعدنية التي غطت كامل جسده، وقد استغرق الأمر قليلاً من الوقت لأن أوين لم يكن معتاداً على ارتداء أي شيء يغطي كامل جسده.

«هذا رائع حقاً، إنه خفيف بشكل مدهش، ومن السهل التحرك بداخله، في العادة أنا أرى الفرسان يبدون وكأنهم متصلبين، ولكنني أستطيع تحريك جسدي بداخله بسهولة، كيف أبدو؟».

«انظر بنفسك». ثم وضع أوثغار أمام أوين مرآة طويلة تظهر الشخص الواقف بطوله الكامل.

«واو يا رجل إنّ هذا رائع جداً! انتظر أحتاج إلى اسم جديد ومثير أيضاً مثل المذهل أوين، أو أوين العظيم أو..».

«كلا أنت لست جاهزاً بعد، لا يزال هناك كثير من الأشياء التي تحتاج إلى تعلمها، فأنت بدأت للتو تعلم كيفية الإمساك بسلاحك».

قال أوين وصوته يتردد بحماسة شديدة من تحت خوذته:

«حسناً، ولكن هذا رائع جداً». ثم بدأ يرقص ويغني بسعادة كبيرة وصوت احتكاك المعادن يصدر عنه: «هاها أنا فارس».

«إذا كنت ترتدي زي الفرسان فهذا لا يعني أبداً أنك واحد منهم، على الأقل ليس الآن». لكن أوين كان متحمساً جداً لدرجة أنه لم يسمع أوثغار أو ربما لم يرغب في ذلك، وأكمل بالحماسة نفسها: «سأنقذ أمي ثم سأصبح بطل القرية، أنا حقاً شخص خارق لا يمكن إيقافي..».

بينما استمر أوين في هتافه ومرحه كمهرج فقد عقله وخرج عن السيطرة، التقط أوثغار مطرقة حدادة ثقيلة، ثم نظر إليها لثوانٍ وأطلق سلسلة من الشتائم باتجاه أوين، ارتفعت المطرقة في الهواء بسرعة، وضربت أوين في منتصف صدره بقوة شديدة.

أدت هذه الضربة القوية إلى أن يطير أوين في الهواء والمعدن الأزرق اللامع يغطيه قبل أن يسقط على الأرض بقوة مصدراً صوتاً كفيلاً بأن يوقظ أي شخص نائم في القرية أدناه.

جلس أوين وخلع خوذته: «لماذا فعلت ذلك؟». بشكل مثير للدهشة لم تؤذِه ضربة المطرقة أبداً، ولكن الرعب من تلك اللحظة جعل أنفاسه تنقطع.

«إن الرحلة التي ستخوضها لإنقاذ والدتك وقتل التنين خطيرة حقاً، يجب أن تأخذ هذه المهمة على محمل الجد، أمّا بالنسبة إلى اليوم فهذا يكفي، وغداً ستتدرب أكثر، الآن اخلع درعك، أما أنا فسأذهبُ وأبدأ بتحضير العشاء».

«أوف، ولكننا بدأنا للتو نحظى ببعض المرح والاستمتاع».

قال أوثغار بانزعاج: «أوين، افعل ما أقوله». أومأ أوين برأسه، وبدأ بإزالة الصفيحة المعدنية الزرقاء اللامعة عن جسده، كان يعرف جيداً أنه من الأفضل ألا يزعج أوثغار أكثر.

في البداية، عانى وهو يحاول خلع الدرع، فرغم أن الدرع لم يكن ثقيلاً، إلا أن إزالته كانت متعبة، واستغرقت منه بعض الوقت. ألقى أوين الخوذة في الزاوية والتي سقطتْ محدثة صوتاً عالياً ، ثم ألقى الأشياء الأخرى كل قطعة جانباً والتي اصطدمت جميعها بالأرض وأصدرت اصواتاً مرتفعة، كان يرميها سعيداً بالشعور بالحرية.

سمع أوثغار الضجيج الصادر، وانزعج وتذمر متلفظاً ببعض الكلمات بلغته الأم عندما رأى أوين يدخل وهو لا يزال يبتسم.

جلس أوثغار إلى الطاولة ومن دون أن ينطق بكلمة واحدة، وبدأ يأكل من وعاء الحساء الذي كان قد سكبه لنفسه مسبقاً، سأله أوين: «أين طبقي؟».

«ضعه بنفسك يا أوين العظيم».

جلس أوين صامتاً للحظات ملاحظاً التغيير في سلوك أوثغار: «ما الخطأ الذي ارتكبته، هل فاتني شيء ما؟».

صاح أوثغار: «نعم.. الاحترام». ثم نظر من فوق وعائه وحدق إلى عيني أوين الذي كان مصدوماً: «الاحترام!». ثم تابع أوين: «أوثغار، أنا حقاً لا أفهم، هل فعلت شيئاً خاطئاً؟».

«أين هو زيك؟ أين تركته؟».

«لقد رميته في الزاوية في المكان الذي أريتني إياه للمرة

الأولى، لماذا؟».

ضرب أوثغار الطاولة بقبضته كما لو كان يضرب معدناً ما: «أجل لقد رميته! لقد أمضيت ساعات طويلة جداً وأنا أصنع وأنحت المعدن، وأدمجه مع معادن أخرى لأصنع أعظم قطعة صنعتها على الإطلاق، فعلت كل ذلك لأجلك، ولكن كيف رددتَ أنتَ الجميل لي؟ عن طريق رميها على الأرض، قلت إنك تريد أن تصبح فارساً، حسناً دعني أخبرك شيئاً عن الفرسان يا ولد: عندما يخلع الفرسان دروعهم يلمعونها ثم يعلّقونها بشكل مثالي، ويهتمون بها كما لو أنها جزء منهم، أمّا أنت فماذا فعلت؟ لقد رميت درعك على الأرض، ولم تهتم إذا خدش أو حصل له أي شيء كما لو أنه مجرد خرقة متسخة، هذا هو الخطأ الذي ارتكبته». ثم تابع أوثغار التهام حسائه بوجه أحمر وقد تجعدت ملامح وجهه وبدا الغضب عليه.

عرف أوين أن أوثغار كان غاضباً جداً بمجرد أن ناداه بكلمة ولد بدلاً من أوين، لم يفكر بمدى المساعدة والعمل الجاد الذي قام به أوثغار لمساعدته، ومن المؤكد أنه لم يقصد ألا يحترم عمله. وعلم أن عليه أن يصلح الأمور، وقف أوين: «أوثغار، أنا آسف جداً، أنت محق، فأنا لم أفكّر بكل ذلك، وبالتأكيد أنا لم أقصد أن أكون غير محترم معك أو مع صناعاتك، سأذهب الآن، وأضع كل شيء مكانه، ولن أرمي الدرع جانباً مرة أخرى، أعدك بذلك».

تمتم أوثغار وتابع تناول طعامه من دون أن ينظر إليه.

ذهب أوين إلى ورشة الحدادة، والتقط بعناية قطع درعه المرمية على الأرض، ثم مسحها بقطعة قماش قبل أن يضعها تماماً حيث كانت عندما أزاح الملاءة. عندما انتهى نظر إلى المنطقة التي أصابتها المطرقة ولدهشته لم يكن هناك أي أثر على الإطلاق: «واو!». ثم تذكر الطريقة التي ضربته فيها المطرقة بقوة شديدة، وفكّر بدهشة كيف أنه لا يوجد أي آثار أبداً حتى ولو مجرد خدش.

مكتبة الطفل

t.me/book4kid

إحدى قنوات

مكتبة

10

نام أوين بعمق، حالماً بالدرع الأزرق وبتقديم نفسه لسكان القريـة. تعجـب الجميع من فطنته، وأرادوا الحديث معه جميعاً، ورأى ريبيـكا فـي حلمـه تركـع أمامه وتهلّل لـه. أحبه أهل القرية جميعاً، حتى توم ذو الخطوتين. وكانت أمه هناك، تبتسـم بفخر برؤيـة حضـوره المتألـق، تتسـاءل عمّـن قد يكون هذا الشـخص الملهـم والرحيـم. رفـع غطـاء خوذته، وقدّم نفسـه إلـى الناس، إلـى قومـه. قـال: «إنه أوين، إنه واحد منهم، واحد من هذه القرية بالفعـل». وعندهـا تحـول الحلم إلى كابـوس. فقد خيّم الصمت على الجميع إلى أن نادى شخص من الحشد باسمه. انقلب حال الناس إلى الضحك والسـخرية على الفور. أشـاروا إليه، ونعتوه بألقـاب بينمـا كان درعـه يتقلـص حـول جسـمه، لينقلـب ضده، ويخنقه.

سقط أوين أرضاً، وشعر بالاختناق، كان أهل القرية يضغطون عليه، ويهزون جسـمه: «أوين، أوين» نادى الجميع باسـمه. شـعر بجسمه يهتز، وكأن زلزالاً ضرب القرية وكان في منتصف هبوط أرضي.

قال: «أوين، استيقظ!».

فتح عينيه، ليرى أوثغار يقف فوقه، وهو يهز جسده بيد بينما يمسك بيده الأخرى مشعلاً فوق رأسه. قال له أوثغار مرة أخرى: «استيقظ!».

أجاب: «حسناً، يكفي، لقد استيقظت. ما الأمر؟ يا له من حلمٍ سيئ».

قال: «إن الأمر يتعلق بوالدتك، إنها في خطر. علينا أن نتصرف بسرعة».

جلس أوين فوراً، وقد هرب النوم من عينيه فجأة حين سمع أوثغار يذكر والدته وقال: «ماذا؟ أمي؟ ما الذي يحصل؟».

قال: «قرر الملك إعدامها علناً في الغد. يجب أن تستعد وتذهب لمساعدتها. علينا أن نتصرف حالاً».

سأل: «سيشنقها؟ كيف علمت هذا؟».

قال: «تعال وتناول الفطور، سأفسر لك وأنت تأكل. لم تشرق الشمس بعد، سنتصرف بسرعة».

هرع أوين إلى المطبخ، وهو يتثاءب وسار حافي القدمين على الأرضية الصخرية الباردة. ساعدت برودة الصخر على إيقاظه. وبشكل مفاجئ، جهّز أوثغار وعاء حساء شوفان دافئ وطبق جبن من أجله.

بدأ أوثغار بالحديث، في الوقت الذي تناول فيه أوين طعامه وهو يشعر بالنعاس وقال: «إن هذا الجبل مليء بالأنفاق. نحن الأقزام من حفر الأنفاق في الجبل وأسفل القرية أيضاً. ثمة أماكن

يمكننا الدخول إليها والخروج منها في كل الأرجاء، ممرات سرية لا يعرفها أحد سوانا. في بعض الأحيان أمشي عبر الأنفاق ليلاً، وأتذكر كل الأقزام الذين عملوا ليلاً ونهاراً، وأصوات أغانيهم، ومعاولهم، و... وضحكاتهم. يساعدني هذا على تذكر هويتي وأنني يجب أن أهزم التنين ليتمكنوا من العودة إلى وطنهم. كنت أسير عبر الأنفاق هذه الليلة، وبينما كنت في طريق العودة، مررت بالقرب من القلعة، وسمعت حارسين يتحدثان عن والدتك. وأنّ الملك أمر بشنقها على مرأى من أهل القرية عند شروق شمس هذا اليوم، ما لم تخبره بمكانك».

قال: «لا، لن أسمح بحدوث ذلك. سأوقفهم، وأحرر أمي. لن يفلتوا بفعلتهم هذه».

سأله: «وكيف ستوقفهم؟ ما هي خطتك؟».

توقف أوين وفكّر للحظة. جال بنظره على الجدران ثم قال: «لا أعلم».

قال: «كما توقعت. إن ارتداء الدرع مسألة، أما القيام بالواجب أثناء ارتدائه شيء آخر. لتغدو فارساً، يجب أن يعينك الملك. وأنت ستعارضه، لذا ما الذي تقترح أن تفعله؟».

سأله: «أتقصد أنني لا يمكن أن أغدو فارساً إلا إن عينني الملك؟ إذا هذه نهايتي!».

أجاب أوثغار بفخر: «لا، يمكن أن تغدو فارساً إلا إذا أصبحت ملكاً وعينتك. بينما لا تزال تعمل على ذلك، ستكون فارسي. إذا أصبحت بطلاً للناس، فسيقبلون بك فرداً منهم».

عندها صاح أوين بحماسة: «لقد فهمت، إذا جعلت الناس يشجعونني، ويحبونني، فسأغدو فارسهم. حسناً، يمكنني فعل ذلك... كما أظن».

قال: «لكن تذكر، لتغدو فارساً، عليك أن تتصرف مثل الفرسان. أنت شاب ولديك أمور كثيرة لتتعلمها. أنصحك ألا تخبرهم بهويتك. بعد حصولك على حبهم وتقديرهم، عندها فقط يجب أن تُظهر للناس أن هناك ما هو أكثر من مجرد فتى ضعيف ذلك الذي كانوا يلكمونه ويدفعونه».

قال مستنكراً: «ضعيف؟ مهلاً!».

خرج أوين من الكهف حاملاً سيفه بيد ودرعاً في الأخرى. انتشر ضوء شمس الصباح في الأفق، ليصبح أكثر إشراقاً ويضيء درع أوين مع كل دقيقة. لقد نفخ صدره وهو يخرج من الكهف شاعراً بالتألق. وكأنه للمرة الأولى في حياته يمكنه أن يكون شخصاً آخر. كان أوثغار محقاً، لم يكن على أحد أن يعرف أنه من يختبئ داخل الدرع، وأنه الولد الذي سخروا منه وضحكوا عليه. سيريهم جميعاً، وسينقذ والدته، وسيصبح حاميهم، ويثبت للجميع أنه ذا شأن. أرادهم أن يعرفوا جميعاً أنه لم يعد الشخص نفسه بعد الآن.

قال أوثغار: «سننزل من سفح الجبل، ثم نشق طريقنا عبر الغابة حتى لا يرانا أحد. إذا رآنا أي شخص، حسناً... دعنا لا نفكر في ذلك الآن».

لم يستغرق الأمر وقتاً طويلاً حتى وصلا إلى الأسفل. بدا

أن أوثغار على معرفة تامة بالطريق الضيق، وهذا ما أدهش أوين. ركضا عبر الأشجار الكثيفة في الغابة حتى وصلا إلى الجانب الشرقي من القرية. قال أوثغار: «انخفض يا أوين. سيجذب درعك اللامع نظر المتجولين. سنراقب من هنا».

نزع أوين خوذته، وأخذ مكانه إلى جانب أوثغار. كان القرويون يركضون بقلق، ضج المكان بأصوات عديدة لم يستطع أوين فهم ما قاله أي شخص. ذكّره ذلك بسرب بعوض يحوم حول رأسه ليلاً. عاين القرية عن كثب، واستطاع تمييز الجميع. كان يشعر بالترقب. قال: «إن اليوم هو اليوم الذي سأصبح فيه بطلاً». أو هكذا كان يأمل.

فجأة، توقف عن التفكير في ذلك، وانفطر قلبه عند رؤيته للقوائم المنصوبة وسط القرية. ألواح خشبية مستطيلة تتخللها ثقوب للرأس والمعصمين. خلفها مباشرة كان يقع برج خشبي كبير مع منصة، يستخدمها في العادة اللورد كوبينغر لإعلانات القرية كلما كان لدى الملك شيء مهم يريد أن يبلغ به رعاياه.

فجأة، وبعد أن شعر بالقلق، أصبحت فكرة أن يكون بطلاً أقل حماساً، حيث كانت أمه جل ما يفكر فيه الآن.

لم ينتظر طويلاً، جاء كوبينغر راكباً إلى القرية مع حارسين، أحدهما يجر والدة أوين خلفه، ويداها مربوطتان بحبل إلى سرج الحصان.

صاح أوين: «ها هي ذا». أومأ أوثغار بخفة بينما بدأت

الدموع تتشكل في عيني أوين. فقال في نفسه: «لا، ليس هذه المرة. يجب أن أكون قوياً من أجل أمي، ليس هناك وقت للبكاء».

جال كوبينغر بين القرويين، وكأنه يؤكد سلطته وأهميته لحشد الناس الذين وقفوا جميعهم من حوله في مجموعة كبيرة مع صفٍ من السلال المليئة بالطماطم، والخس، والتفاح أمامهم.

هذه المرة، تحدث كوبينغر من أمام القوائم، بدلاً من البرج، وبدأ خطابه قائلاً: «اليوم، ستشهدون على محاكمة هذه المرأة. حاول الملك أن يكون متسامحاً معها، وأتاح لها فرصاً عديدة لتدلي بمعلومات عن ابنها. لكنها رفضت ولذا، يجب أن تدفع الآن جزاء خطيئتها».

خطيئتها! غضب أوين. فهو يعلم أن والدته لم تفعل شيئاً خاطئاً. كانت امرأة قوية، لم تخبر الملك الفاسد أبداً أين كان يختبئ، كما أنها لم تخبره عن أوثغار.

أمر كوبينغر قائلاً: «أحضروا المتهمة!».

سحب الفارس الحبل بقوة، فظهرت والدة أوين بوضوح للمرة الأولى. شهق أوين، والحشد. وقال أوين بصوت عالٍ: «لقد ضربوها»، حاول الوقوف، لكن أوثغار منعه.

قال: «كلا أوين. لم يحن الوقت بعد».

كان وجه ستيفاني داكناً، لم يستطع أوين من هذه المسافة معرفة إن كانت تلك آثار قذارة أو كدمات. وكانت ذراعاها

داكنتين أيضاً، وشعرها أشعث.

صرّ أوين على أسنانه وهمس: «إنها تبدو بحالةٍ مروعة. سيدفعون الثمن». كانت دائماً تبدو جميلة بالنسبة إليه، حتى عندما تستيقظ في الصباح. ولكنها الآن تبدو شاحبة جداً، لم يستطع أوين النظر إليها.

وخزات ترقب صغيرة يظهر معها الغضب عليه.

راقب الحشد بصمت بينما كان كوبينغر يقطع الحبل عن معصميها، ثم وضع والدة أوين على القوائم.

أطبق النصف العلوي من الإطار الخشبي الكبير بضربة قوية. واستمر أوين يصر على أسنانه. كم أراد مواجهة كوبينغر الآن بينما كان يضع ستيفاني على القوائم قبل التحدث إلى الحشد مرة أخرى.

قال: «قد يعتقد بعضكم أنكم لن تتمكنوا من رجم هذه المرأة. ويعتقد بعضكم أنها واحدة منكم ولا يجب أن تدنسوا ابنة قريتكم. لكنني أناشدكم أن تفكروا فيما كلفتكم به. لقد اقتُحمت منازلكم، وحطمت ممتلكاتكم، وجرى تجاهل خصوصيتكم مؤخراً. لكن هذه لم تكن رغبة ملككم أو ملكي. فعلنا ما هو ضروري فقط للتمسك بقوانين هذه الأرض». وأشار إلى ستيفاني التي بدت الآن وكأنها كتلة من الشعر في الوقت الذي أجبرت فيه على النظر إلى الارض. وتابع: «قررت هي وابنها العاصي حجب المعلومات عن الملك. إنه خطؤها. إن كنتم تريدون الانتقام، إذا كنتم غاضبين، فأقول لكم: انتقموا لغضبكم. تذكروا

أن عواقب أفعالها قد تكون أسوأ. ستعيش... في الوقت الراهن. أنتم تحافظون على قوانين ملككم المحب وتساعدونه في الحكم على المرأة التي خانتنا جميعاً».

وقف كوبينغر وانتظر. ثم جاء عدد قليل من الناس واختاروا من السلال. رأى أوين وجوهاً كانت تتبادل النظرات في انتظار رؤية من سيكون أول من يباشر بتنفيذ العقوبة. قال أوين: «أنت لا تعتقد أنهم سيصدقون هذه الأكاذيب، أليس كذلك يا أوثغار؟».

أجاب: «ليس كل ما يقوله كذبٌ يا أوين. إنها تعرف أين كنا. تذكر دائماً هذه اللحظة، سيفعل الآباء كل ما في وسعهم لحماية أولادهم. ووالدتك أم كسائر الأمهات».

تأهب أوين للوقوف ومواجهة كوبينغر وقال: «وهذا هو السبب الذي يجعلني مضطر لحمايتها».

همس أوثغار: «أوين، خوذتك».

احمر أوين خجلاً، ثم اعتمر خوذته قائلاً: «أوه، حسناً».

قال أوثغار: «تذكر تدريبك. سيحميك الدرع، لكن كن حذراً. بمجرد تحرير والدتك، اخرج من هناك قبل أن يتأذى أي منكما».

أومأ أوين برأسه، ثم تقدم، مستعداً لمواجهة كوبينغر باعتباره خصماً كبيراً، وليس الولد الذي كان عليه من قبل.

هزّ أوثغار رأسه خوفاً بينما كان أوين يتحرك بين الأشجار ويسير نحو الحشد.

التقط رجل في مقدمة الحشد حبة طماطم وحملها في يده. نظر إليها أولاً، ثم إلى ستيفاني. استغرقه الأمر بعض الوقت قبل أن يقرر الرمي.

مدّ يده وكان على وشك رمي الخضار الفاسدة عندما سمع صوتاً من الخلف يناديه: «توقف».

استدار الجميع. انطلقت الصيحات والهمسات من أفواه القرويين وهم يشاهدون شخصاً يرتدي درعاً ويحمل سيفاً وهو يتقدم إلى الأمام. ثم نادى: «توقف فوراً!». وقف الرجل الذي يحمل حبة الطماطم مذهولاً. وفغر فاه، وأفلتت يده حبة الطماطم التي سقطت على الأرض.

سأل كوبينغر في الوقت الذي كان فيه أوين يتابع تقدمه: «ما هذا؟ من أنت؟». كلما تقدم أوين، كان الحشد يتفرق، متيحاً له حرية التقدم إلى الأمام.

قال أوين: «أنا... » ثم توقف. ماذا يُفترض به أن يقول؟

قال له أوثغار إن عليه أن يكتسب اسماً. ارتجف هامساً: «أوه، ما الذي يجدر بي أن أفعله؟» ثم فكر، ولمعت الفكرة لديه وقال: «اسمي أزوريوس».

صفع أوثغار نفسه على جبهته خلف الكواليس وتمتم: «غاثينترايدبول. ولد غبي».

ضحك كوبينغر قائلاً: «أزوريوس؟ أي نوع من الاسماء هذا؟». ولكن لحسن الحظ، بقي الحشد صامتاً.

كان على أوين أن يفكر بسرعة. ربما إذا أخافهم، سيسمح

كوبينغر والحارسان لأمه بالرحيل. دفع أوين صدره، فبدا وكأنه معدن داخل خوذته وقال: «دع هذه المرأة تمضي في حال سبيلها، أنت من تسببت في حزن هؤلاء الناس. أنت وجشع ملكك». حدق القرويون بعيون واسعة غير مصدقين ما سمعوه للتو. فقد كان الحديث بالسوء عن الملك مخالفاً للقانون.

بكى أوثغار بصمت بحيث لم يسمعه احدٌ سواه وهمس: «أوه لا يا أوين، ماذا تفعل؟».

قال: «لا يمكنك التحدث عن الملك هكذا. انزع خوذتك واجثُ على ركبتيك وإلا سأرغمك على ذلك».

أجاب: «أرني أفضل ما لديك... يا كروبديغر».

حدّق كوبينغر بحدة إلى الدرع الأزرق، غير قادر على تحديد ما إذا كان هذا الشخص شجاعاً أم مجرد غبي. وقال: «بماذا نعتني للتو؟».

كرر أوين: «كروبديغر. بعد كل شيء، إنه مناسب، بسبب رؤيتك تنهب بضائع ومحاصيل كل شخص هنا؟».

بدأت الجلبة في الحشد، وتعالت أصوات الضحك مثل نقيق صراصير الليل.

أمر كوبينغر: «يا له من أحمق وقح. اقبضوا عليه».

استل أحد الحارسين سيفه، وبدأ يشق طريقه نحو أوين. تبعثر الحشد بعيداً مثل الفئران الهاربة من قطة. كرر أوين لنفسه داخل خوذته: «تباً، تباً، تباً». لوّح الحارس بسيفه ذهاباً وإياباً في دوائر على كلا الجانبين، ثم أنزله بقوةٍ على أوين، الذي سقط

تلقائياً على ركبة واحدة ورفع درعه عالياً. ارتد سيف الفارس عن الدرع محدثاً رنة تصم الآذان.

سقط أوين على الأرض في الوقت الذي كان فيه الحارس يتحضر لهجوم آخر. بدّل أوثغار مكانه بحيث يصبح قريباً من القتال، لكي ينطلق ويحاول إخراج أوين، إذا اضطر إلى ذلك، حتى لو عنى ذلك أن يراه الناس.

شاهد الحشد الحارس ينزل سيفه مرة أخرى على أوين المرمي على الأرض. حاول أوين التنحي جانباً، وأثناء محاولته، أمسكت قدمه بساق الحارس، ودفعها في الهواء، فألقى بالحارس على ظهره.

بدأ الحشد يهتف. لم يكن لدى أوين فكرة عما حدث حتى وقف ليرى الحارس الأعزل راقداً عند قدميه. قال ضاحكاً: «رائع»، لكنه لم يمتلك الوقت للاحتفال، فقد أتى الحارس الآخر، ملوحاً بسيفه على الجانب أيضاً. رفع أوين درعه لصد الضربة في اللحظة الأخيرة ومرة أخرى، سقط على الأرض. وقد ترنح على قدميه، فهاجمه الحارسان مراراً وتكراراً، في بعض الأحيان كانت الضربات تصيب ترسه، وفي أحيان أخرى كانت تصيب الدرع. وكان أوين يسقط على الأرض في كل مرة، بينما كان الحارسان يلوحان بسيفيهما الثقيلين بلا رحمة.

بدأ أوثغار يتعرق، فقال مستاءً على أمل ألا يسمعه أحد: «انهض يا أوين». أخيراً، ترنح أحد الحارسين بشدة، وتحول

جسده بالكامل مع زخم السيف. وضع أوين، الذي لاحظ ذلك من زاوية عينه، كل ثقله خلف الدرع، وتقدم نحو السيف الرمادي الضخم، وأغمض عينيه استعداداً لتلقي الضربة. ضرب الحارس وأحدث السيف قعقعة صاخبة، فرن الصوت داخل خوذة أوين.

فتح أوين عينيه مرة أخرى، فوجد الحارس محبطاً، ومنهكاً.

قال أوين ضاحكاً: «خذ هذه!». نظر حوله، وإذ به يسمع صيحات الحشد. كانوا يهتفون له، لقد بدأوا يحبونه. فجأة، شعر أوين بموجة من القوة. لم يسبق لأحد أن هتف له. لكنه إن أراد أن يصبح فارساً، فعليه التصرف مثل الفرسان.

لوّح أوين بسيفه بيده وانحنى على ركبتيه، وأدار جسده بحيث كان سيفه يبرز من جانبه الأيمن بينما كانت قدمه ودرعه في المقدمة.

قال أوثغار مفعماً بالأمل والذهول: «إنه يفعل ذلك. إنه يتذكر».

طعن الحارس الآخر بسيفه، وفي غضون ذلك استدار أوين، عازماً على التلويح بسيفه وضرب الحارس في ظهره، لكنه كان بعيداً جداً، فضرب من دون قصد مقبض سيفه مباشرة على الجزء الخلفي من خوذة خصمه. وإذا بالفارس يلتف ويهوي كما لو أنه كيس قمح يسقط من يد عملاق.

هلّل الحشد متحمساً بينما وقف أوين في رهبة مما فعله للتو.

ضحك أوثغار من مخبئه بين الأشجار قائلاً: «أحسنت يا ولد». كان يعلم أنه كان خطأ مرحباً به، لكن لا بد أن القصد الحقيقي من تصرفات أوين قد فات الحشد.

وقف أوين، ولم يبدُ تعباً. وقد أثبت الدرع قيمته. وقال: «حسناً يا كوبينغر. دع المرأة تمضي في سبيلها».

استل اللورد كوبينغر سيفه قائلاً: «أيها الأحمق، سينتهي كل هذا الآن».

قال: «كما تريد، ولكن عليّ أن أحذرك من أن... مهلاً!».

لوّح كوبينغر بشكل أسرع وأقوى مما فعل أي من الحارسين. حاول أوين الابتعاد عن الطريق، لكنه تعرض للضرب بشكلٍ متكرر. كان الحشد يصرخون باسمه ويستهجنون تصرفات كوبينغر، ويهتفون لأزوريوس.

سقط أوين أرضاً، لكنه عاود الوقوف. ومع ذلك، عند كل ضربة، كان يشعر بالإرهاق. كان الخصم قوياً ويبدو أنه لن يستسلم كما فعل الحارسان الآخران. بذل أوين كل ما في وسعه لصد الهجمات القادمة.

لم يكن لديه الوقت ليعيش شيئاً خاصاً به، كل ما عليه الآن إيجاد طريقة تتيح له انقاذ والدته. كان يتعثر في كل مكان، وفجأة استسلمت عضلات ساقيه للتعب. جاءت الضربة الأخيرة عندما لوّح كوبينغر بسيفه الهائل بكلتا يديه من اليمين إلى اليسار في الوقت الذي اكتفى فيه أوين بالمراقبة. ولم يكن لديه وقت للرد. صاح كوبينغر: «حسناً!» أصيب أوين في صدره مباشرة وتراجع

عـدة خطـوات. انفرجـت ذراعاه إلى الجانبين كما فعلت سـاقاه. وعندما وقع، ارتطم على الأرض بقوة وهذا ما أدى إلى انبعاث غبارٍ كثيف.

نظـر أوثغـار وهـو يحبـس أنفاسـه. لكن عندما وقـع أوين، ضـرب سـيفه قفـل القوائـم، وأطلـق سـراح والدتـه. عندما ارتد الغطاء، استغلّت اللحظة وخلّصت نفسها.

فصاح كوبينغر: «تعالي إلى هنا»، بينما اندفعت ستيفاني نحو الطريق المشجر.

اسـتلقى أويـن على الأرض مـن دون حراك. لم يعد اهتمام كوبينغر مسـلطاً عليه بعد الآن. هزّ أوين رأسـه، لقد شـعر بدوار وتشـوش في الرؤية. ببطء حاول الوقوف مجدداً. اسـتغرق الأمر بضع ثوانٍ ليدرك أن والدته هربت بعيداً.

أخيراً، عندما عادت رؤيته طبيعية، لاحظ أن كوبينغر يحاول مطاردة والدته، لكن شيئاً ما كان يمنعه. فقد أحاط به القرويون، وهـم يمسـكون بالفواكـه والخضروات المخصصة أصلاً لرشـق ستيفاني بها.

قـال: «أنتـم أيهـا الناس، ألقوا ما بأيديكم الآن وإلا سـيكون هناك...» انقطع صوته. بدأ القرويون في إلقاء الفاكهة والخضروات والحجارة حتى أن أحدهم ألقى حذاءً جلدياً على كوبينغر. اعتبر أويـن الإلهـاء فرصـةً عظيمـة للمغادرة. انطلق بعيـداً من دون أن يلاحظه أحد، بالرغم من أنه ما زال يشعر بالدوار.

عندما وصل إلى أوثغار، كانت والدته هناك، بأمان، جالسةً

على الأرض.

خلع أوين خوذته وقال: «أمي؟».

ردت: «أوين؟ هل هذا أنت؟».

قال أوثغار: «يجب أن نعود إلى الجبل بسرعةٍ. سيكون لدينا متسع من الوقت لأشرح لك».

سألت ستيفاني أوين: «قزم؟».

أجاب: «لا بأس يا أمي، إنه آمن. ثقي بي، إنه صديق».

11

كان أوين سعيداً للغاية برؤية والدته على قيد الحياة وبصحةٍ جيدة. قال: «أنا آسفٌ لتسللي يا أمي، لكن لم يكن لديّ خيار آخر. لو لم أخبر أوثغار أن الملك كان يبحث عنه، فمن يدري ما كانوا قد فعلوا به». أخيراً، وبعد أن أصبحوا آمنين في الكهف، استطاع أوين إخبار والدته بكل ما حدث منذ الليلة التي هرب فيها، وشعر بالذنب الشديد فقال: «لكن، ربما لو بقيت، كان بإمكاني مساعدتك و...».

قاطعته ستيفاني قائلةً: «لقد كان قراراً جيداً. لو كنت في المنزل، لاعتقلوك معي. أنا سعيدةٌ لأنك بخير، وبما أنني الآن هنا معك، فقد أصبحت بخيرٍ أيضاً».

كان أوثغار يحضر مائدةً من النبيذ والجبن والخبز والخضروات والفاكهة. ثم صاح: «العشاء».

عم الصمت نوعاً ما في الوقت الذي كان فيه الثلاثة يأكلون. لقد كان واضحاً لأوثغار أن ستيفاني عانت من الجوع خلال فترة اعتقالها. كما انتبه إلى مدى ضعف مظهرها وبعد أن انهت ستيفاني كل شيءٍ على طبقها، سخن أوثغار الماء وأعد لها

حماماً، ثم قدم لها غرفةً لتستريح فيها، وجلس مع أوين ليناقشا ما جرى في القرية بينما كانت نائمة.

سأل أوثغار مستغرباً: «أزوريوس؟».

أجاب: «لقد كان الشيء الوحيد الذي استطعت التفكير به. لقد وضعني على المحك، ولم أكن مستعداً للإجابة».

قال أوثغار: «هذا ليس كل ما لم تكن مستعداً له. لقد كنت غبياً عندما سمحت لك بالخروج إلى هناك. ومع ذلك، فقد أنقذت والدتك. على الرغم من أن مهاراتك كانت... غير مألوفة، فقد نجحت. أنا فخورٌ بك. لكن قد لا يحالفك الحظ في المرة القادمة».

سأل أوين بخجل: «هل تعدني ألا تضحك إذا قلت لك شيئاً يا أوثغار؟».

أجاب أوثغار: «بالطبع».

قال: «عندما كنت هناك، كنت...» ثم بدأ صوته بالتلاشي خجلاً من الكلمة التي يريد أن يقولها.

أكمل أوثغار حديثه بقوله: «خائف».

قال: «نعم، كيف عرفت؟ هل كان ذلك واضحاً؟».

أجاب: «كلا، لم يكن الأمر واضحاً. لكن يمكنني تخيل أنني كنت سأشعر بنفس شعورك. لا يوجد شيء تخجل منه. لقد دخلت معركة، وأنت تفتقر إلى المهارات اللازمة للقيام بما هو مطلوب من أجل النجاة، لكنك تغلبت على مخاوفك وانتصرت».

قال: «نعم، ولكن فقط بسبب هذا الدرع. فلولاه كنت في عداد الأموات».

قال: «دعني أخبرك شيئاً يا أوين. إن الرجل، الرجل الحقيقي، لا يخشى الاعتراف بمشاعره. أما إذا كان متعالياً جداً ولم يسمح بالتعبير عما يخالجه؛ لأنه يخاف ما قد يصيبه من عار، فهو غير مستعد لأن يكون رجلاً. لقد سقط كثيرون لأنهم رفضوا أن يقولوا أو يفعلوا ما يشعرون به في الداخل».

سأله: «حقاً؟ كيف تعرف الكثير؟».

أجاب: «كما أخبرتك، كان أبي وجدي ملكين. ويجب أن تكون قادراً على تقبل مشاعرك وأن تدرك أن هناك ما هو أكثر من السعادة والحزن والغضب لكي تحكم على شعبك بالقوة والشرف. وكما ترى، عندما تعيش تحت حكم ملكٍ أو ملكة، فأنت تتطلع إليهما، وأنت تعلم أنهما موجودان لمساعدتك، لوضع القواعد والقوانين لصالحك. لكن ماذا يحدث عندما تكون أنت الملك؟ من الذي ستتطلع إليه للنصيحة؟ لا يوجد أحد، لذلك يجب أن تقبل أنه ستكون هناك أوقات لن تعرف فيها ما يجب عليك فعله أو قوله أو كيفية التصرف. يجب أن تكون منفتحاً على كل الآراء وأن تكون دائماً على استعدادٍ لطلب المساعدة».

قال أوين: «هذا عميق يا أوثغار. لكنني أعتقد أنني فهمت ذلك. يشعر الجميع، بغض النظر عن رتبهم، بالأشياء ذاتها ونحتاج جميعاً إلى المساعدة من وقت إلى آخر».

ردّ أوثغار: «بالضبط. فبالرغم من كل ما تمر فيه أنت لست وحيداً».

قال أوين: «يا إلهي، لا بد أن عدم وجود أحد للتحدث إليه لأن جميع موظفيك قد رحلوا، كان شيئاً صعباً عليك على مرّ السنوات».

نهض أوثغار عن الطاولة، وبدأ في التململ محاولاً أن يبدو مشغولاً. شعر أوين بالارتباك، إلا أنه وضع يده على كتف أوثغار، ونظر إلى صديقه وقال: «لا تقلق، لم تعد بمفردك بعد الآن».

نظر أوثغار مبتسماً ثم رد: «شكراً لك... يا صديقي».

دخلت والدة أوين إلى المطبخ وهي تبدو منتعشةً ونظيفة أكثر مما كانت عليه من قبل. وقالت: «ما الذي يجعلكما عاطفيين إلى هذا الحدّ؟». لكن على الرغم من الاستحمام والتنظيف، إلا أن وجهها وذراعيها لا يزالان داكنين بسبب الكدمات. لم يكن اللون بسبب القذارة كما كان أوين يأمل. ركض أوين وعانق والدته بشدة.

انحنى أوثغار ممسكاً بيدها قائلاً: «يسعدني التعرف إليك، أُدعى أوثغار من قبيلة أصحاب الدم المتحجر. لم تتح لنا فرص التعرف إلى بعض بشكل جيد. فأنا أعرفك بصفتك والدة أوين فقط حتى الآن».

قالت: «سررت بلقائك يا أوثغار، اسمي ستيفاني. شكراً لرعايتك ابني».

قاطع أوين ما يحدث قائلاً: «والآن بعد أن أصبحنا جميعاً

على معرفة ببعضنا، ماذا سنفعل بعد ذلك؟ أعني، لا يمكن لكروبديغر أن يتهاون، لا بد أنه سيبحث عنا». فشعر الثلاثة بالتوتر لما يحدث في الوقت الراهن.

افتتحت ستيفاني الحديث قائلة: «لا يمكننا العودة إلى المنزل. فهو المكان الأول الذي سيبحثون فيه عنا».

قال أوين: «ولا يمكننا الهرب، لديّ تدريب عليّ أن أنهيه وبعد ذلك هناك التنين و...».

نظرت ستيفاني أولاً إلى أوين، ثم إلى أوثغار وقالت: «التنين؟ أنت لا تفكر بإرسال أوين لمحاربة هذا الشيء الذي هاجم القلعة قبل بضعة أسابيع، إنه مجرد ولد».

قال أوين: «أمي، استرخي. يمكنني تولي الأمر. يقول أوثغار إن هناك نوعاً من النبوءة الغريبة ومن المفترض أن أصبح بطلاً... إلخ. في البداية لم تثر الفكرة اهتمامي، في الحقيقة، حتى الآن لا أزال غير مقتنع. لكنك رأيتِ ما فعلته هناك لإنقاذك. عليّ القيام بهذا. هناك أكثر مما تدركين على المحك. أضف إلى ذلك، أنه لا يمكن لشيء أن يؤذيني حين أرتدي هذا الدرع».

ردّت ستيفاني بغضب: «هذا غير معقول، ستُقتل». استطاع أوين أن يشعر بالخوف والإحباط في حديث والدته.

قال أوثغار: «من فضلك يا ستيفاني. يجب أن تفهمي، لقد قطع أوين أشواطاً كبيرة في وقت قصير جداً. أوافقك الرأي أنه لا يزال صغيراً ولم يكن مستعداً بعد عندما قاتل اللورد كوبينغر، لكنه سيكون جاهزاً عندما يحين الوقت. لقد أحدث

فرقاً للقرويين بالفعل، وإذا نجح، فقد يحرر الناس من الاستبداد ويصحح الأخطاء للبشر والأقزام في هذه الأرض. أما بالنسبة إلى المكان الذي يمكنك الذهاب إليه، فلا داعي للبحث أبعد من هذا الكهف. كلاكما مرحبٌ به للبقاء هنا بقدر ما تشاءان، أو حتى يصبح منزلكما آمناً مرة أخرى. وإلى جانب ذلك، من الجيد الحصول على بعض الصحبة. ولن أمانع المزيد منها لفترةٍ أطول».

قال أوين متبسماً لأمه عبر الطاولة: «كما ترين يا أمي، إن كل شيء على ما يرام. يمكننا البقاء هنا. سأتدرب، وأقتل التنين، وأحقق السلام للجميع. سأتولى أمر البطل هذا برمته. لا داعي للقلق».

ردّت والدته بنظرة سخرية تامة. ثم قالت: «شكراً لك يا أوثغار، نحن لا نملك خيارات كثيرة، لذلك سنبقى هنا. لكنني ما زلت لا أفهم قصة البطل هذه. ورجاءً، هل يمكن لأحدكما أن يشرح لي عن علاقة الأقزام والبشر؟».

بدأ أوثغار في إعادة سرد تاريخ الأرض لستيفاني. أصغت إليه باهتمام، وفغرت فاها ذهولاً بينما كان أوثغار يشرح عجائب كهوف الأقزام وجمال العمل اليدوي الذي ابتكره الأقزام. كانت تشهق عندما يتحدث عن كالوريث وكيف كاد التنين أن يدمر كل وجوه الحياة من حوله.

تنهدت ستيفاني عندما أنهى أوثغار قصته قائلةً: «كثيرة هي الأمور التي يفترض بي أن أستوعبها، أشعر بالحزن الشديد عليك

وعلى... شعبك؟ لكن، من فضلك، يجب أن تفهم، أوين ليس البطل الذي تصرح عنه. إنني أعرف ولدي أكثر من أي شخص آخر، إنه يحاول جاهداً، إنه يفعل ذلك حقاً، ونعم، لقد أنقذني بالأمس، لكن الحظ أدى دوراً كبيراً، ولن أقف مكتوفة اليدين وأدعه يُقتل. لقد فُصلت عن قومك لذا ستتعاطف عندما أخبرك أن أوين هو كل ما لديّ في حياتي، ولا يمكنني التفكير في ما سيحل بي إذا فقدته».

ردّ: «نعم، أفهمك يا ستيفاني. ولكن، قبل أن نتحدث عن هذا الأمر، هل يمكنني أن أريك وأوين شيئاً؟».

وافقت ستيفاني قائلةً: «نعم، بالطبع».

قادهما أوثغار عبر ممرٍ طويل يفصل الغرف على جانبيه. كانت غرفة أوثغار في النهاية جهة اليسار بينما كانت غرفتا أوين وستيفاني بالقرب من مقدمة الممر إحداهما مقابل الأخرى. كانت هناك ثلاث غرف على كل جانب وبابٌ خشبيٌ كبيرٌ في النهاية. فتح الباب، ثم استدار، فجأة وقال: «لم يسبق إلا لقلة قليلة من البشر أن رأوا ما ستريانه، هذه هي المناجم الداخلية، قلب الأقزام الذين سكنوا هذه الجبال ذات مرة. ما أنتما على وشك أن تريا هو شيءٌ بالغ القدسية».

قال أوين بسرور: «سيكون هذا رائعاً».

قال أوثغار ساخراً من حماس أوين: «بالطبع».

أشعل أوثغار مشعلاً على الجانب الآخر عند دخولهم من الباب، وقال: «كونا حذرين، هناك سلمٌ مظلمٌ يؤدي إلى أسفل،

لذا سأضيئ الطريق ونحن نمشي».

كان أوثغار يضيء المشاعل المعلقة على الجدار وهو يتقدم. بدأت الأضواء الوامضة تنير الدرج وما وراءه ببطء. كان بإمكان أوين رؤية السطوع يتزايد في جميع أنحاء الفتحة الضخمة من الجبل، ولكن لم يكن لديه أدنى فكرةٍ عما كان ينظر إليه بعد. استمروا في النزول، متجهين صوب قاعدة الجبل.

قال: «لقد استغرقت عملية تفريغ هذه المنطقة عدة أجيال، وبنيناها من خلال تحطيم الصخور. لقد نحتنا الهيكل الذي ستريانه ونحن نحفر نزولاً».

سأل أوين بفضول: «حسناً، أتقصد أنك بنيت إلى أسفل، بدلاً من البناء إلى أعلى؟ هذا غير منطقي».

أجاب: «إنه كذلك عندما تفكر في أن القواعد موجودة بالفعل. عندما تبني منزلاً، فأنت تبدأ من القاعدة، وتشق طريقك صوب السطح. الجبل صلب. نحتناه من الأعلى وشققنا طريقنا إلى الأسفل. نحن نفكر بشكلٍ مختلفٍ كثيراً عما تفكرون فيه».

استمر الثلاثة في النزول بتروٍ على السلم الحجري المتعرج لفترة طويلة نوعاً ما. كان أوين يفكر في الطريقة التي سيصعد وفقها إلى غرفته.

قال أوثغار: «لقد وصلنا».

قالت والدة أوين: «المكان مظلمٌ جداً. لا أستطيع رؤية شيء، حتى مع نور المشاعل، لا يمكنني معرفة ما ينتظرنا».

قال أوين: «وأنا أيضاً. هل يتمتع الأقزام بحاسة نظر أقوى

وأفضل من حاسة البصر لدى البشر؟ أعني، هذا طريقٌ طويلٌ حقاً للسفر لرؤية كهف أسود وحسب. إنه شيءٌ مرعب».

تنهد أوثغار من نفاد صبر أوين. وقال: «انظر».

استدار أوين فجأة عندما سماعه لضجيجٍ منخفضٍ خلفه. لقد كان أوثغار، يدير نوعاً من عجلةٍ خشبيةٍ كبيرة بواسطة مقبض ضخم مثبت عليها. فبدأت الشمس تضيء الجبل من الداخل بينما كان يشد ويدير المقبض. شعر أوين بالذهول عندما رأى الصخور تتحرك في الأعلى وكيف تسمح لأشعة الشمس بإضاءة الكهف بأكمله. في البداية لم يستطع رؤية شيء، ولكن عندما تكيفت عينا أوين مع الضوء، وقف متجمداً غير مصدق.

قال أوين وقد تردد صدى صوته في الكهف: «لا بد أنك تمزح... هذا... هذا...» لم يكن يعرف ماذا يقول.

أكملت ستيفاني ما كان أوين يفكر به بقولها: «إنه جميلٌ يا أوثغار».

تابع: «نعم هذه هي. واو، لماذا لم تريني هذا من قبل؟».

كان هنالك ممرٌ حجريٌ طويل تحت أقدامهم، يقودهم إلى قلعةٍ ضخمة تتألق في مجدها.

على عكس القلعة التي تطل على القرية على الجانب الآخر من الجبل، كانت هذه القلعة تلمع بالذهب والفضة. حيث كانت الحجارة تشكل الشقوق المربعة في الحاجز، وكان هذا الحجر ذهبياً. كانت الجدران الفاصلة، جدران القلعة الخارجية

الرئيسية، والأبراج المخروطية، وحتى الجدران، مطلية بالذهب والفضة اللامعة. وكانت النقوش المذهبة تغطي الجدران، وكانت مزينة بالماس والياقوت والأحجار الكريمة الجميلة الأخرى، تتلألأ باللون الأخضر والأزرق والأبيض وكل تدرجٍ للألوان فيما بينها.

قال: «معظم البشر ينظرون إلى هذا ويرون الثروة، ولكن نحن الأقزام ننظر إلى هذا على أنه مؤشر إلى المهارة والحرفية اللتين نمتلكهما. إن كل شيء نصنعه، سواء كان كبيراً كمنزل أو صغيراً كخاتم، فنحن نكرس ذواتنا لتحقيق التألق ذاته. فنحن سلالةٌ فخورة، وهذا هو المقياس الذي نستخدمه كأفضل مثال لنا».

سأله أوين: «انتظر، هذه قلعتك، تلك التي حكم منها جدك، وأنت لا تعيش هنا؟».

أجاب أوثغار ببطء: «صحيح. لا يوجد أحد هنا للحكم على هذا أو مشاركته معه، وبالتالي، ليس من المقبول بالنسبة إليّ استخدامه لأغراضٍ خاصة بي. إلى جانب ذلك، لإضاءة جدران القلعة، يجب أن يكون سقف الجبل مفتوحاً. وهو الحاجز الوحيد بيننا وبين كالوريث. إذا تركناه مفتوحاً، فمن المؤكد أنه سيأتي ويأخذه. إذا كان هناك أمل في أن تعود هذه القلعة مأهولةً مرة أخرى، فلا بد من نفي كالوريث». ثم بدأ في إغلاق الفجوة العالية أعلاه، وحجب القلعة الجميلة عن الأنظار مرة أخرى.

استمر أوين ينظر باهتمام وتمعن، على الرغم من أن السماء

اختفت وكأن سحابة كثيفة قد غطتها، إلا أنه لا يزال بإمكانه استرجاع ذكرى ما رأته عيناه.

قال: «لقد فهمت يا أوثغار. أنت بحاجة إلى مساعدة للم شمل شعبك. أنت لم تخسر أصدقاءك، بل خسرت أيضاً أسلوب حياتك. ولكن السؤال الذي يطرح نفسه، لماذا لم ترحل مثل الأقزام الآخرين؟ ألا يمكنك البدء من جديد؟».

قال: «أبدأ من جديد؟ هذا ليس عملاً لبضع سنوات، إن هذه أفضل قلعة شيدناها نحن الأقزام على الإطلاق. فقد أقمنا العديد من الاحتفالات جيلاً بعد جيل داخل تلك الجدران. نحن نعمل بجد في البداية، ثم نحتفل بعد ذلك. إن كل ما أنجزناه كعرق موجود ضمن هذه الجدران وعليها. لذلك يعتبر هجرها، في حدّ ذاته، طمساً لهويتنا.

ربما بدأ الآخرون من جديد، لكن لن يُبنى شيء يختزن القيمة نفسها لهذه القلعة، ولن يُحتفل به أبداً. أناشدك يا ستيفاني، اسمحي لأوين بالمساعدة في تدمير كالوريث، ليس فقط من أجلي، ولكن من أجل كل سلالتي. لقد كان البشر من دفعنا إلى المغادرة، فاسمحي لواحد من البشر أن يعيد لم شملنا. حاول بنو جنسك تدمير الآخرين المختلفين طيلة قرون، أنتم تدفعون الناس بعيداً لأنهم يخالفونكم الرأي أو المعتقد، وأي شيء لا تألفونه: اللون، المعتقدات، وكل ما يبدو غير مألوفٍ حينها.

نحن أقصر، وأكثر شعراً، والبعض يقولون إننا أقبح منكم... هل هذا سببٌ كافٍ لسعيكم وراء تدميرنا؟ لقد كانت صداقتنا مع

البشر مقبولةً فقط لأننا استطعنا توفير شيءٍ يحتاج إليه الناس. لا أتوقع أن تتحملي أنت وأوين مسؤولية الأخطاء التي حدثت في الماضي ولا ألوم البشر فقط، فهناك أقزام عارضوا البشر أيضاً، واقترفوا الفظائع. ولكن، يمكن للتغيير أن يتم، ويمكن إحداث فرق وكل ما نحن بحاجة إليه هو شخص واحد. أظن، كلا، بل أعلم أن أوين يمكنه إجراء هذا التغيير».

تفحصت ستيفاني أوثغار تحت ضوء الشعلة، ونظرت إلى الخطوط في وجهه والجدية في عينيه. ثم قالت: «لماذا أنت متأكد إلى هذا الحدّ؟».

أجاب: «لأنه بدأ بالفعل في إجراء تغييرات. لقد وقف القرويون بالأمس، والذين كانوا يرتجفون خوفاً من اللورد كوبينغر وملككم المتوحش، بوجهه ووفروا لنا الوقت للهروب من سخطه. في الماضي، كنت أكره البشر بشدة وقد غيرني أوين. والأهم من ذلك، أن أوين نُفي من قبل شعبه، وقريته التي يجب أن تكون عائلته. هذا هو أسوأ أنواع الكراهية، أن تكره أحداً من عرقك. تخيلي ما هو الموقف الذي سيتخذه كثيرون إذا أصبح مقبولاً ومحبوباً! يمكنه أن يهرب كما فعل شعبي، لكنه إذا بقي وحارب الأشياء غير الصحيحة في هذا العالم، إذا أظهر لمن يحتقرونه ويسخرون منه أنه أقوى مما يظنون، فسيكون مثالاً رائعاً لمن يسمع قصته».

تبعت ستيفاني أوثغار وأوين، اللذين قلما تكلما، إلى أعلى السلم الضخم المتعرج. أعادت كلمات أوثغار في رأسها، ولم

تستطع إلا أن تتساءل إن كان أوين قادراً على توحيد كثير من الناس خلفه. لقد كان من الصعب تصديق أن ابنها النحيل الذي لطالما واجه صعوباتٍ في حمل دلاء الماء من القرية إلى المنزل، يمكن أن يصبح بطلاً حقيقياً. لكنها كانت تعلم في أعماقها، أن أوين يتمتع بما هو أكثر من أي شخص آخر. كانت تعلم أن هناك شرارةً يجب أن تتألق، وربما هذه هي الطريقة الوحيدة لرؤيتها.

12

مع التدريب المستمر، أصبح جسد أوين ضخماً وازدادت سرعته، يوماً بعد يوم أصبح برنامج التدريب الذي وضعه له أوثغار أكثر كثافة، حتى أصبح قادراً على إتمامه بسهولة أكبر. كان يحمل الشبكة الضخمة إلى النهر مباشرةً بعد الفطور، ويلقي بها بالطريقة الصحيحة وبشكل سلس. أما الآن، فقد أصبحت الشبكة تتعمق أكثر في الماء، وأصبح بإمكانه تغطية مساحةٍ أكبر من النهر أكثر من ذي قبل.

ثم يلف الحبال فوق كتفيه، ويركض إلى أعلى الطريق بدلاً من المشي. واستطاع حمل دلاء الماء إلى الكهف لأمه، التي تولت معظم واجبات الطهو الآن. كما عمل أوين في الصياغة مع أوثغار، وتعلم كيفية تشكيل المعدن الساخن وصياغته.

في البداية، شعر وكأن ذراعيه ومعصميه على وشك السقوط وقد كانت حرارة المطرقة شديدة، خاصةً عندما كان يرتدي مآزر الجلد السميكة، لكنه اعتاد على الأمر بمرور الوقت.

كان يقضي فترة بعد الظهر في العمل على تمارينه وقدراته القتالية. بنى أوثغار دمية تدريب مع درع حتى يتمكن أوين من

تعلم أفضل الأماكن للهجوم حيث يكون الدرع الواقي أخف وزناً أو غير موجود. نمت عضلاته وكذلك ابتسامته. شيئاً فشيئاً، بدأ يعتقد أنه يمكن أن يواجه التنين كالوريث.

كان أوين يستمع بعناية للأصوات في الجبل أثناء استلقائه على سريره ليلاً، منهكاً من العمل والتدريب اليومي. ويتخيل العمال من خلال ذلك الباب الضخم في نهاية القاعة، وقرقعة الكؤوس وموسيقى الأقزام. لقد تصور أرجلهم القصيرة تتأرجح ذهاباً وإياباً والرقصات الغريبة التي يبتكرونها. ثم يقول لنفسه: «يوماً ما، سأرى هذه الاحتفالات بنفسي».

سأل أوين وهو يجفف وعاءً بينما كان يساعد والدته في تنظيف أطباق الغداء: «هل تشتاقين إلى المنزل يا أمي؟».

ردت: «في بعض الأحيان. من المدهش أن هذا المكان لا يشبه الكهف. إنه مشرقٌ ومريحٌ للغاية. ولكن منزلنا لطيف؛ لا أنسى السقف الذي كان يدلف عندما تمطر بغزارة. لقد كانت هذه مهمة والدك دائماً. نعم إنني افتقده».

قال: «كنت أتمنى أن تسنح لي الفرصة لمقابلته، يؤسفني أنه مات عندما كنت صغيراً».

قالت: «في بعض الأحيان، عندما يحل المرض بالطريقة التي حدث بها، يموت كثير من الناس. ولحسن الحظ أنك لم تتأثر. لقد طلب مني والدك أن أبعدك عنه عندما كان مريضاً؛ أرادك أن تنمو بقوة وأن تعيش لفترةٍ أطول مما عاش».

نشّفت ستيفاني يديها، ثم أمسكت بكتفي أوين، وأدارته حتى

تتمكـن مـن مواجهتـه. لقد كان أويـن أطول منها ببضع بوصات. قالت له: «أنت تشبهه كثيراً، لم يسبق لي أن أخبرتك بذلك، لكنني عندمـا أفتقـده كثيـراً، أنظـر إليك فقط. إننـي أرى كثيراً منه فيك، ليس جسدياً فقط».

سأل أوين وقد تسللت ابتسامةٌ إلى وجهه: «حقاً؟».

أجابـت: «أنت تمشـي مثله فـي بعض الأحيان، وأنت تحني كتفيـك مثلـه عندمـا تجلـس على كرسـي. لطالما كان هذا شـيئاً اعتدتُ ملاحظته عندما يعود إلى المنزل بعد العمل في الحقول طوال اليوم».

قال أوين مازحاً: «أوه، وقد حصلت على حماقتي منه، أليس كذلك؟».

قالـت: «حسـناً، بالإضافـة إلى أمور أخرى. أيـاً يكن الأمر، صحيحٌ أنه لم يعد بيننا، لكنني أعلم أنه سيكون فخوراً بك، تماماً مثل فخري بك».

قال: «شكراً أمي».

قالت: «انظر إلينا نحن الاثنين، من كان يخمّن أننا سـنعيش في جبل مع قزم؟ كما تعلم..»، استندت ستيفاني لتهمس لأوين: «رائحته ليست سيئة كما كنت أظن». فضحك أوين بقوة.

صاح أوثغار قائلاً: «لقد سمعت هذا!». فقهقه أوين.

تابع أوثغار: «لطالما اتهم البشر الأقزام أنهم كريهو الرائحة. حسـناً، دعوني أخبركما شـيئاً، يا غريبَي الأطوار وطويلي القامة، لا تكون رائحة البشر طيبة دائماً، هل سبق لك أن شممت رائحة

جواربك يا أوين؟ إنها كفيلةٌ بقتل حيوانٍ بري، ربما يجب أن نترك زوجاً منها عند مدخل كهف كالوريث، وبذلك، لن تضطر إلى قتاله، سيموت من الرائحة الكريهة. هاهاها». ضحك أوثغار بشدة على نكتته. فتبادل أوين ووالدته النظرات، وهذا ما دفعهما لمشاركته الضحك.

قال أوثغار: «هناك مشكلة يجب أن نحلها».

توقف الضحك، وسأل أوين وهو لا يزال مبتسماً: «أي نوعٍ من المشاكل؟».

أجاب: «لقد شرع الملك في الانتقام من سكان القرية، وقد بدأ اللورد كوبينغر بنهب المنازل وملأ العربات بالمواد الغذائية من القرية الآن. يبدو أنه ينوي إبادة القرية، لم تعجبه زيارتك الأخيرة».

بكت ستيفاني، وغطت فمها، وأخذت ترتعش. ثم التفتت إلى أوين وقالت: «كيف سينجون؟ يعيش كثير من الأشخاص في القرية، عليك أن تفعل شيئاً، لا ينبغي على الملك أن يفعل ذلك، سيقضي عليهم».

ركض أوين إلى الترسانة حيث وضع درعه وقال: «أنت محقةٌ يا أمي. سأرتدي درعي».

ناداه أوثغار: «فكّر في هذا ملياً يا أوين، أنت لم تحصل على تدريبٍ كافٍ بعد. قد لا يكون من الحكمة التدخل».

قال: «لا يمكننا أن نجلس مكتوفي الأيدي، ونترك كروبديغر يقتل شعبنا. ماذا سيستفيدون منا إذا ظللنا مختبئين؟ لا شيء.

أنت من علمتني ذلك. إن أفضل طريقة للتعامل مع شخصٍ عنيد هي التصرف بعنادٍ معه، ولا يحتاج الأمر دائماً اللجوء إلى القوة أو السيف، ولكن هذه المرة، إنه خيارنا الوحيد. فالعديد من الأرواح على المحك».

تنهّد أوثغار، وتابع أوين قائلاً: «أعتقد أنك مُحق».

كانت الدموع تنهمر من عيني ستيفاني عندما أمسكت بأوين وأوثغار وقالت: «انتظر يا أوين! توخّ الحذر».

قال: «لا تقلقي يا أمي، سأتولى الأمر. سيحميني الدرع».

سرعان ما تحول أوين إلى شخصيته المدرعة بمساعدة أوثغار الذي ربّت على كتفه قائلاً: «احمِ نفسك دائماً. تذكر، أنت تقاتل من أجل الناس، اجعلهم يحبونك، وسيكون لك حلفاء، كما حدث في المرة السابقة تماماً».

أومأ أوين برأسه وقال: «صحيح»، ثم خرج من الكهف حاملاً ترسه وخوذته.

وصل أوين إلى أسفل الجبل أسرع من المرة السابقة بالرغم من أنه يرتدي الدرع، وعندما اقترب من القرية، رأى الناس مذعورين في كل مكان. كان الحراس يدفعون النساء والأطفال على الأرض، وينهبون المنازل والحدائق ومباني التخزين، وفي وسط كل ذلك، كان اللورد كوبينغر يعطي الأوامر من أعلى البرج بينما يملأ أتباع الملك عربتين ضخمتين بالأطعمة والخيرات.

وقف كوبينغر واضعاً يديه على خاصرتيه، وصاح شامتاً: «أنتم من جلبتم هذا لأنفسكم. إنه ثمنٌ زهيد لإرضاء ملككم

حقاً. لقد انقلبتم عليّ وعلى قوانينه، والآن عليكم جميعاً أن تدفعوا الثمن».

أسرع أوين يشق طريقه كما فعل من قبل، وحرص على الدخول من مكان مختلف. ركض عبر الأشجار، وقد استل سيفه الذي أومض بشيء من الزرقة. كان أول من رأى أوين هو الحارس الذي كان يصرخ مخرجاً امرأةً من منزلها عنوة. فأفلت المرأة وصاح على الفور: «إنه الفارس الأزرق، اقبضوا عليه».

في البداية، ركض بشكل أعزل نحو أوين ، فغيّر أوين اتجاهه، وركض بشكل مباشر نحوه. كانا يركضان في خطٍ واحد ليصطدما مثل كبشين يتقاتلان على جبل. انحنى أوين خلف ترسه في الوقت الذي أوشك فيه الدرعان أن يلتحما. ثم قال من خلف خوذته: «لن تطرحني أرضاً هذه المرة». اصطدما وقعقع المعدن فسمعت القرية كلها الصوت.

ارتفعت ساقا الحارس المدرّع في الهواء، ورُمي في الاتجاه المعاكس، بينما صاح أوين من شدة الاصطدام: «رااااه!».

صاح أحدهم: «إنه هو، لقد عاد الفارس الأزرق لينقذنا».

هتف الناس مبتهجين، وفي غضون ذلك ركض سائر الحراس صوب أوين، ولكن أوين كان جاهزاً، تصدى للحارس الأول، وذلك بعد أن قفز عالياً وحط على رأسه، بعد ذلك التف بانسيابية وطعن بسيفه الأزرق حارساً آخر.

ضحك أوين وقال: «رائع». ولكن، عندما نظر بعيداً عن ضحيته، رأى مجموعةً من الحراس يتجهون إليه دفعةً واحدة.

فهمس لنفسه مرة أخرى: «آوه، هذا لن ينتهي بشكلٍ جيد».

شعر أوين بالارتباك لبرهة، فهو يستطيع التعامل مع كل واحد منهم على حدة، ولكن ماذا بشأن المجموعة؟ فقرر أوين فعل الشيء الوحيد الذي كان يفكر فيه، فركض بشكل ملتوٍ بين الحراس، وبذلك تجنب نصال سيوفهم، وكاد حصان أن يدهسه، ولكنه تمكن في اللحظة الأخيرة من الاستدارة، عندما رأى مجموعة من الفرسان على صهوات جيادهم يتجهون صوبه.

كان كوبينغر غاضباً للغاية، صرخ بصوت عالٍ فتردد صدى صوته في شتى أرجاء القرية: «اقبضوا على هذا المهرج وآتوني به، لن يفلت من أيدينا هذه المرة».

بدا الارتباك على القرويين، ففر بعضهم راكضاً ودخلوا إلى منازلهم، وأحكموا إغلاق أبوابهم، في حين حاول آخرون استعادة بعض البضائع المسروقة التي أُلقيت أثناء حدوث الاضطرابات.

شعر أوين بالتردد وفكّر في سره: «ماذا أفعل؟ ماذا أفعل؟ لا يمكنني الهرب إلى الأبد». توقف ليلتقط أنفاسه، وأدرك أنه إذا أراد أن يضع حداً لما سيحدث، فعليه التصدي لأصل المشكلة، نظر حوله، وفجأة خطرت له فكرة.

شق طريقه بين الحراس حتى بلغ البرج، لوّح بسيفه فوراً، وضرب إحدى ركائز البرج الذي كان كوبينغر يقف فوقه.

صاح كوبينغر ليفلت انتباه حراسه: «ماذا تفعل؟ توقف عن هذا أيها الأحمق!».

أسقط أوين ترسه، ولوّح بالنصل الأزرق اللامع بكل ما

أوتي من قوةٍ. وكان يصرخ كلما ضرب ركيزة البرج.

واصل كوبينغر الصراخ: «أوقفوه»، ولكن لم يستطع أي من الحراس الاقتراب بما يكفي، لأن القرويين شكلوا جداراً بشرياً لمنع الحراس من الوصول إلى أوين. قال أوين في نفسه: «إنهم يتراجعون».

ظل أوين يضرب الركيزة الخشبية السميكة بسيفه، وكانت الشفرة حادةً جداً لدرجة أنها كانت تشق طريقها أكثر فأكثر داخل الخشب. في النهاية، تحطمت الركيزة، واهتز البرج بأكمله وتمايل، ولكن الركائز الثلاث الأخرى لا تزال ثابتة، وهذا ما أثار استياء أوين.

تنهد أوين وقال: «هيا».

صاح روجر وهو أحد القرويين الذي كان يحمل فأساً: «دعونا نحطم ركيزة أخرى». فانهال بفأسه على الركيزة المجاورة للتي حطمها أوين.

ركض أوين على الفور مبتسماً، وصاح وسط الجلبة: «شكراً»، وتوجه إلى الجهة الأخرى من الركيزة التي يعمل روجر على تحطيمها.

ركض كوبينغر أعلى منصة البرج التي لطالما وقف عليها في الماضي وصرخ مرعوباً: «فليمسك أحدكم بهما! لا تدعوهما يفعلان هذا بي».

استطاع بعض الحراس اختراق الحاجز البشري والاقتراب من البرج، لكن أوين ومساعده كانا قد ألحقا بالركيزة أضراراً

فادحة. بدأ البرج يترجح بقوة وسرعان ما هوى. توقف الحراس خشية أن يسحقهم البرج الآيل إلى السقوط، وذلك عندما سمعوا صوت تصدع الخشب بفعل وزن كوبينغر والمنصة، وبدورهم أخذ القرويون يركضون في كل الاتجاهات مبتعدين عن البرج.

مدّ كوبينغر يده، في الوقت الذي بدا فيه البرج بالميلان، ليحاول الإمساك بسياج المنصة خشية السقوط. وصاح بنبرةٍ أعلى: «لا تقفوا هناك أيها الحمقى، قلت أوقفوهما!».

صاح أحدهم: «تراجعوا، إنه يهوي».

سدّد أوين ضربةً قويةً أخيرة بسيفه ثم صرخ: «اهرب يا روجر». ضرب روجر مرةً أخرى وكانت كافية لتجعل البرج يميل إلى الأمام. خشي أوين أن يُسحق روجر، فأمسك به من كتفه، وسحبه في الوقت الذي دفع فيه روجر بقدميه للمساعدة.

بسرعة، هوى البرج إلى الأمام. فصرخ كوبينغر مرعوباً. اصطدم الخشب الجاف بالأرض محدثاً جلبة عالية. تطاير الغبار والحطام في الهواء، ورأى أوين الحطام يتجه صوبه، فالتقط ترسه بشكل غريزي، وأولى ظهره للحطام، فحجب بدرعه وترسه روجر وحماه. صفعه الخشب كما يصفع المطر جدران المباني خلال عاصفة نيسانية.

دخلت شظيةٌ أسفل صفيحة درع ظهره، فمزقت الزرد الموجود تحتها واخترقت جلده تحت أحد أضلاعه.

عمّ الصمت لثوانٍ إلى أن زحف روجر من تحت أوين وترسه. ثم ألقى أوين بقفازه، وسحب شظية الخشب من جسده

لينبثق الدم، فشعر عندها أوين بالألم.

قال روجر بهدوء: «لقد أصبت».

أجاب أوين: «أنا بخير»، وهو يعلم جيداً أنه يكذب.

سأل روجر مصدوماً: «كيف عرفت اسمي؟».

أجاب أوين بخجل: «مجرد تخمين؟».

عندما وقف أوين شعر بالألم مجدداً. ثم قال وهو يمدّ يده: «شكراً على المساعدة».

أومأ روجر برأسه، وصافح يد أوين، وهو يحدق بدهشةٍ إلى الرجل الأزرق المقنّع.

نظر أوين حوله، عندما تذكر أن اللورد قد وقع، وأنه نسي أمر رجال الملك الذين يجب التعامل معهم. ثم قال: «كوبينغر».

فرّ العديد من الحراس من المكان بعد أن تيقنوا الهزيمة. حاول آخرون البحث عن جثة كوبينغر. في غضون ذلك وقف القرويون صامتين، ينظرون وكأنهم لا يعلمون ما يجدر بهم أن يقوموا به.

هرع أوين إلى العربات المليئة بالطعام والمواد الغذائية. وصاح من خلف خوذته: «تعالوا، استرجعوا ما هو لكم. دعونا نُثبت للملك أنه لا يستطيع فعل هذا بنا. لقد أظهرنا له أن الأشياء العظيمة يمكن أن تحدث عندما نتكاتف معاً. لن نقف مكتوفي الأيدي ونراقب رجاله يتحكمون بنا. نحن أقوى عندما نقف جنباً إلى جنب».

نظر أوين، على أمل أن يتقبله الناس ويستجيبوا لدعوته.

تقدمت سيدة عجوز إلى الأمام، وهي تجر قدميها، وتسير ببطء نحو أوين. بدت وكأنها ناجيةً من عاصفة. ارتسمت تجاعيد عميقة على وجهها، وكان شعرها الرمادي الطويل خفيفاً. تذكر أوين أن اسمها كان غريتشن، ولكن لم يسبق له أن تحدث إليها.

وقفت السيدة العجوز أمام أوين مباشرةً. ثم قالت: «أنت...».

فكّر أوين: «أوه لا، هل تعرفت إليّ؟».

قالت: «لقد أبليت بلاءً حسناً». فتنفس أوين الصعداء. وقد ذكّره صوتها بالنعيب الذي تحدثه الضفادع عندما تمسكها بين يديك.

نظرت إليه وهي تحرك رأسها إلى الأمام والخلف كما لو كانت تحاول التعرف إلى الوجه خلف الخوذة وقالت: «ذكّرني ما هو اسمك؟».

أجاب أوين بتواضع: «آه... أزوريوس».

ثم ابتسمت له مؤكدةً وقالت: «صحيح، هذا ما ذكرته».

شعر أوين بقشعريرةٍ تسري في عموده الفقري. ثم تساءل: «ماذا يعني ذلك؟».

ربتت على ذراعه بأصابعها الغليظة التي تشبه العصي محدثةً صوتاً غريباً على معدن درعه قائلةً: «أحسنت صُنعاً يا أزوريوس، أحسنت صُنعاً»، ثم التفتت إلى الحشد، وصاحت بعد أن رفعت ذراعها اليمنى النحيلة فوق رأسها: «أزوريوس!» مالت ذراعها الهزيلة جانباً، على الرغم من الجهد الذي بذلته لتبقيها عالية ومستقيمة.

مجدداً صاحت: «أزوريوس».

فجأة، علت أصواتٌ أخرى، صوت تلو الآخر، حتى بدأ كل القرويين يهتفون بصوت عالٍ وفي انسجام تام: «أزوريوس، أزوريوس!».

نظر أوين حوله، ليجد الحشد يهتف له. ربما ليس له، بل لمن يمثله. لم يكن ذلك مهماً، فهو يعلم أن الناس يحتاجون إلى من يثقون به، وهذا ما أمّنه لهم هذا الدرع الأزرق.

رفع سيفه عالياً فوق رأسه، عندها ترافقت الهتافات مع سيل من المشاعر الجياشة.

عندما رفع السيف، لم يعرف الناس أنه كان يتلوى ألماً داخل درعه.

ركض القرويون إلى العربتين، وقفز شابان إليهما، وشرعا في إعادة السلع والأغراض إلى أصحابها. قرر أوين أن وقت المغادرة قد حان. كان عليه أن يغادر في الوقت الذي كانوا فيه مشغولين، حتى لا يرونه وهو يتألم.

ابتعد وهو يراقب سعادة الناس في استعادة أغراضهم. بدوا في غاية السعادة على الرغم من الدمار الذي لحق بالبرج الذي خلّف الحطام المتناثر الأرجاء. وبينما كان ينقّل نظره من شخصٍ إلى آخر، لاحظ أن توم ذا الخطوتين يغادر منزله ويتجه نحوه. كان أوين بطيئاً، لكنه استطاع أن يسير بخطى ثابتة وهو يشق طريقه إلى أسفل الجبل.

ناداه توم: «أنت هناك!».

قال أوين في نفسه: «أوه لا، سيرى أنني أعرج». بدأ أوين بالتفكير بأعذار، محاولاً العثور على إجابةٍ عن السؤال الذي توقعه.

عندما استدار، وقف توم ذو الخطوتين أمامه كما توقع.

قال توم وهو يبتسم بخجل: «مرحباً. أردت أن أقول لك شكراً».

ارتعش أوين. هل كان توم يشكره؟ في البداية لم يقل أوين شيئاً، ثم أجاب: «على الرحب والسعة». كان يأمل أن تكتم الخوذة صوته بدرجةٍ كافية حتى لا يتعرف توم إلى صاحب الصوت.

قال: «لديّ شيءٌ أود أن أعطيك إياه. إنه ليس بالكثير، ولكن، آه... اعتقد أنك تستحق شيئاً صغيراً على الأقل مقابل كل ما فعلته من أجلنا... مرتين حتى الآن».

رد أوين: «أنا أقدّر ذلك، لكن ليس عليك أن تعطيني شيئاً يا سيدي».

نظر توم ذو الخطوتين إلى أوين بالطريقة نفسها التي نظرت فيها العجوز إليه، كما لو كان يحاول جاهداً معرفة من يكون.

قال: «حسناً، أريدك أن تأخذها على أي حال. إنها مجرد فطيرة».

أراد أوين أن يضحك خلف خوذته. وقال في نفسه: «فطيرة؟ يريد أن يعطيني فطيرة؟ لقد خاطرت بحياتي للتو من أجل هؤلاء الناس وهم يريدون أن يعوضوني بالطعام؟».

نظر توم إلى أوين وهو يبتسم وقال محرجاً: «أنا خباز كما

ترى، وكوبينغر ذاك، يأتي ويسرق كل ما لديّ، يمنعني من البيع وكسب المال لأعيش، أنا لا أملك سوى عملي، وأنا فخور بما أقوم به، يقول البعض إن خبزي وفطائري هي الأطيب، لا أعرف إن كان ذلك حقيقياً أو لمجرد إسعاد رجل عجوز، لكن هذا يجعلني أشعر بالفخر. تؤلمني يداي كثيراً ولا يمكنني القيام بما كنت أقوم به من قبل، لكن على الأقل لا يزال بإمكاني الخبز».

شعر أوين بالتوعك عندما رأى الابتسامة على وجه توم. كيف يمكنه أن يضحك على مثل هذا العرض السخي؟ ربما كان شخصاً كريماً وحكيماً داخل هيئته الخارجية الفظّة، خلف ذلك الوجه الذي لطالما كان وقحاً جداً في الماضي.

أومأ أوين برأسه وانحنى قليلاً، ومدّ يده ليأخذ الهدية. ثم قال فجأة: «هذا شرفٌ لي. شكراً لك. أنا أقدّر مشاعرك حقاً، ولكن يجب عليّ أن أذهب. شكراً لك مرةً أخرى».

كان أوين في حاجةٍ ماسة إلى نزع الدرع والعناية بجرحه. كان يتألم مع كل خطوة وكل نفس، لكنه ظلّ يحاول كتمان ذلك. كان بإمكانه سماع توم يناديه للمرة الأخيرة قائلاً: «شكرا لك يا أزوريوس». مدّ أوين ذراعه إلى الوراء مودعاً إياه بينما يسير عائداً ببطءٍ إلى الكهف.

13

كان أوثغار يحاول إزالة الصفيحة المعدنية من درع أوين الذي كان يبدي تذمراً: «رويداً رويداً، هذا مؤلم».

وبّخه أوثغار قائلاً: «سيكون الأمر أسهل بكثير إذا رفعت ذراعك أكثر إلى أعلى».

قال: «لا أستطيع، إنني أشعر بألم مبرح».

بدا الشحوب على وجه ستيفاني، وقالت: «هل أنت بخير يا بني؟ لقد كنت أعلم أن الأمر برمته فكرةً سيئة. ما كان يجب عليّ أن أدعك تذهب إلى هناك».

تأوه أوين قائلاً: «أنا بخيرٍ يا أمي، إنه مجرد جرحٍ طفيف ليس إلا. سيلتئم سريعاً». كان الهواء الذي يداعب ظهره أرقّ بكثيرٍ من المعدن البارد للزرد الذي يلامس الجرح المفتوح.

همس أوثغار: «إنه جرح، هيا، استلقِ، حتى أتمكن من وضع بعض المرهم عليه. ستتألم لبضعة أيام، لكنك محظوظ لأن إصابتك طفيفة».

توسل أوين بصوتٍ خافت: «لكن ليس أمام ناظرَي أمي، حسناً؟». أدار أوثغار عينيه رداً على ذلك.

سار أوين بحذر إلى غرفة نومه، واستلقى ببطء على بطنه، كان من الجيد أن يستلقي، لقد كان متعباً أكثر مما أدرك.

جلس أوثغار بهدوء إلى جانبه على حافة السرير وقال: «اثبت، ستشعر بالبرد في البداية، لكنه سيساعد».

كانت ستيفاني تسير ذهاباً وإياباً في الغرفة الأخرى، قلقةً ممّا حدث.

سألت والدته: «ماذا تضع له؟».

لمس أوثغار بيده الثخينة ظهر أوين، فانزلقت المادة اللزجة البيضاء تحت أصابعه، فتذمر أوين قائلاً: «آه، إنها باردة».

ضحك أوثغار من الألم الذي يظهره أوين، وقال له: «توقف عن الحركة، الأمر ليس بهذا السوء. يا لك من بطل، لا يمكنك تحمل القليل من المرهم».

صرخ أوين بينما كان أوثغار يضحك: «دعني أضع هذه الأشياء الكريهة عليك، وسنرى كيف ستتقبلها».

سألت ستيفاني مرةً أخرى وهي تراقب أوين يتلوى: «ما هذا الشيء؟».

أجاب: «إنه مزيجٌ قديم نستخدمه نحن الأقزام لمعالجة الجروح. كان دائماً في متناول أيدينا في المناجم. كانت الجروح والتمزقات والبثور شائعة عند العمل بأدواتٍ حادة. عندما كنا صغاراً كنا نُجرح كثيراً، لكن بمرور الوقت، يصبح الجلد أكثر سماكة، ويصبح من الصعوبة جرحه. واضح أن بشرة أوين تحتاج إلى بعض العناية».

قالت ستيفاني وهي تلوّح أمام وجهها لإبعاد الرائحة الكريهة: «رائحته كريهة».

قال أوثغار بصراحة: «إن هذا روث ماعز».

صرخ أوين مذعوراً: «روث ماعز؟ مهلاً، هذا مقرف». حاول الجلوس احتجاجاً، لكن أوثغار دفعه ضاحكاً إلى السرير مرة أخرى.

قال: «اجلس ساكناً يا ولد، كنت أمزح. إنه خليطٌ من الباذنجان والبهارات، مطحونٌ لصنع عجينة. إنه مرهم مصنوع من مواد طبيعية».

همس أوين: «بما أنك تجده رائعاً، يجب عليك تعبئته وبيعه».

أجاب أوثغار ممتعضاً: «أوف».

حلّ النعاس على أوين مثل موجةٍ دافئة غمرت عقله وجسده. شعرت عيناه بالثقل وسرعان ما رُمي به على شواطئ أرض الأحلام.

بعد ساعات، عندما استيقظ أوين شعر كما لو أن الجلد حول جرحه مغطىً بشيءٍ صلب، فمدّ يده إلى المنطقة التي عالجها أوثغار، وشعر بطلاءٍ أملس شبه شمعي.

كان أوثغار يجلس على كرسيٍ خشبي يقرأ من كتابٍ كبير لم يسبق لأوين أن رآه من قبل. وقال: «لقد استيقظت».

قال: «نعم، لكنني ما زلت أتألم».

حاول أوين الالتفاف على جانبه للتحدث إلى أوثغار، فنهض

أوثغار من الكرسي، ووضع الكتاب الكبير برفقٍ على الكرسي الذي كان يشغله. وقال: «لا تتحرك. أرى أن المرهم يفعل ما يُفترض أن يفعله. دعني أزيله وأضمد الجرح».

التفت أوين جانباً، بينما أزال أوثغار الغلاف المحيط بجرح أوين بسهولة، لم يشعر أوين بأي ألم، في الوقت الذي كان يُحدق فيه إلى الجدران مرةً أخرى، وفي الأشكال المحفورة بشكلٍ جميلٍ ونابضٍ بالحياة في الجدار الحجري. لفتت نظره صورة قزمٍ عريض المنكبين يمسك بمطرقةٍ ضخمة.

سأل أوين وهو يراقب النقش: «أوثغار؟».

كان أوثغار يركز على عمله. أجابه: «اجلس، سأضع لك المزيد، ثم أضمد الجرح».

جلس أوين، وانتشر الألم في ظهره حيث أصابته الشظية الخشبية. هذه المرة، شعر بالألم ينتشر ملتهباً نحو مقدمة جسده.

تنهد أوين بعد أن استطاع اتخاذ وضعيةً مريحة: «أوه، من هذا القزم، الذي يحمل مطرقةً ضخمة في يديه؟».

أجاب: «إنه أخي، يدعى غالدريد».

سأله: «كان لديك أخ؟ لم أكن أعرف ذلك».

قال: «كيف لك أن تعرف؟ فلم يسبق لي أن تحدثت عنه».

سأل أوين: «هل كان أكبر منك سناً؟».

أجاب: «لا إنه يصغرني بثلاث سنوات، لقد كان أضخم

وأقوى مني، وكنا أفضل الأصدقاء. عندما كنا شابين، كنا نلعب معاً في المناجم، ونختبئ، ونركض في الأنفاق. في بعض الأحيان، عندما كنا شجعاناً بما فيه الكفاية، كنا نختبئ في الظلام، ونقفز كي نخيف العمال. لقد كانوا يغضبون منا كثيراً، ويطاردوننا من مكانٍ إلى آخر. تلك كانت أوقاتاً جيدة. ثم اختلفت نظرتنا إلى العالم، مع تقدمنا في العمر، وذهب كلٌّ منّا في طريقه». أنهى أوثغار حديثه بصوتٍ خافت.

سأل أوين: «ماذا تقصد، كلٌّ في طريقه؟».

ابتسم أوثغار لأوين، وجلس إلى جانبه على السرير: «هاك، جرحك يتحسن. ستحتاج إلى الراحة لبضعة أيام، وسأفحص الضمادات بين الحين والآخر، لكنك ستشفى، وستتمكن من التلويح بسيفك في القريب العاجل».

قال: «شكراً، أنا ممتنٌ لك. لكن، ما زلت أشعر بالفضول بشأن أخيك».

حدّق أوثغار إلى النقش على الحائط. ثم قال: «نعم، غالدريد... عندما كبر، أصبح يركز على الحرب أكثر من العمل. أراد أن يكون محارباً، لقد كان قوياً لدرجة أنه تمكن من ضرب ثلاثة رجال بتمريرةٍ واحدة من مطرقته الضخمة. أخبرنا والدنا عن العصور القديمة عندما حكمت قبيلتنا هنا، في هذا الكهف، وأراد منا أن نتذكر تلك الأيام، وأن نبذل قصارى جهدنا لإعادة توحيد القبائل. لقد استمعت، ودرست، وفعلت كل ما بوسعي لتلبية رغبة والدي. أما، غالدريد، فكان القتال يجري في عروقه

مجرى الدماء، لقد فسّر القصص بشكلٍ مختلفٍ عني. لقد أراد الانتقام من البشر وسعى لقتلهم جميعاً».

سأل أوين: «لماذا أراد أن يموت كل البشر؟».

قال: «اعتقد غالدريد أنه إذا لم يكن هناك بشر، فسيحكم الأقزام الأرض مرةً أخرى. توسل إليه والدنا، وأخبره أن أفكاره عارٌ على قبيلة الدم المتحجر، لكنه كان عنيداً جداً. بينما جئت إلى هنا لأعيش وأجد الشخص الذي سيجمعنا بسلام يوماً ما، غالدريد...». أصبح صوت أوثغار عميقاً مرةً أخرى. نظر أوين إلى صديقه، ورأى أن أوثغار يحدّق أبعد من النقش، أعمق في الحجر، في ذاكرته، كما لو أنه يراها تتكشف أمامه في الماضي البعيد.

للمرة الأولى، لاحظ أوين أن الدموع تترقرق في عيني أوثغار. فقال: «لا بأس، ليس عليك أن تخبرني».

قال: «كلا، يجب أن تعرف، أنت بحاجة إلى معرفة كل ما يفصل بيننا، غالدريد...»، ثم تنحنح قبل أن يتابع «لقد هرب، ووصم قبيلتنا ونوعنا بالعار. كان لديه جيشٌ من الأتباع المتوحشين الذين اعتقدوا، كما فعل، أن الطريقة الوحيدة لتحرير الأقزام كانت من خلال الحرب. لقد أحرق وجيشه القرى، وجرحوا الأبرياء، وأزهقوا الأرواح. كانت حياته مليئةً بالكراهية، الكراهية شيءٌ فظيع. يمكنها التحكم في أفكارك ووضع كمٍ هائل من الغضب أمام حكمك الأفضل. في بعض الأحيان، تؤمن بشيء لدرجة أنك تبدأ في نسيان أشياء مهمة،

مثل التواضع والاحترام. بعد فترة، بدأ غالدريد يكره بعضاً من أبناء جنسه ونوعه».

سأله أوين: «هل تقصد، أنه آذى الأقزام أيضاً؟».

فأجابه: «نعم؛ لقد واجه البشر، والأقزام المصير نفسه المفعم بالكراهية، تاركين أثراً مريراً لم يستطع غالدريد وأتباعه التخلص منه. كان يخافه الكثيرون، لكن في النهاية، قُبض عليه وقتله الملك الذي يعيش في القلعة فوق قريتك. رفضت السماح لنفسي بالتغلب على هذه الكراهية، على الأقل ليس حتى اليوم الذي علمت فيه بوفاة أخي».

لم يستطع أوين تصديق ما قاله أوثغار. فقال متردداً: «كنت تكره البشر؟». رفض القزم المتجهم أن ينظر إلى عينيّ أوين عندما قال هذه الكلمات، كما لو أن العار ما زال يغطيه، معلقاً فوق رأسه مثل سحابة مطرٍ مشؤومة على وشك إطلاق عاصفة.

رد أوثغار بحسرةٍ شديدة: «نعم. إنه شيءٌ لا أفخر به، كنت منغلق الذهن وغاضباً، كنت أفكر بالطريقة نفسها التي كان يفكر بها أخي على الرغم من علمي أن الفكر المريض هو ما أدى إلى مقتله. استغرقني الأمر سنوات عديدة، حتى تمكنت من التخلص منه. كان مثل جدار حجري ضخم في طريقي. لقد جئت إلى هذه الأرض، وأنا أعلم أنه عليّ أن أعيد لمّ شمل الأقزام في وئام، لكنني اعتقدت أنه يمكننا القيام بذلك بمفردنا، اعتقدت أنه يمكننا التجمع والانتقام من أفعال الماضي الخاطئة، ولكنني

لم أكن أعلم أن الجزء الأكثر أهمية في إعادة توحيد القبائل هو أننا كنا بحاجة إلى مساعدة من الأشخاص أنفسهم الذين نلقي باللوم عليهم في تدميرنا. الآن أدرك أهمية أن نعيش جميعاً معاً في ألفة، ونقبل الاختلافات، ونحتفل بها كهدايا للعالم».

سأله أوين: «لكنك لم تعد تكره البشر. ما الذي غيّرك؟».

استدار أوثغار، ونظر بجدية إلى أوين. وأجاب: «أنت».

14

شعر أوين ببرودة الريح وهو يقذف شبكة الصيد إلى المياه التي تجري بسرعة، ولكن ما أثار دهشته أنه لم يعد يشعر بالألم في ظهره، وذلك بعد مضي أسبوع فقط، لقد كان مفعول مرهم أوثغار شبيهاً بالسحر.

شاهد أوين ورقة شديدة الخضرة تطفو بخفة خلال التيار، لقد بدت حوافها وكأنها ترقص على السطح. شاهد أوين المشهد يتغير عندما شد الحبل، وسحب الشبكة إلى السطح مرة أخرى، معرّضاً الورقة الصغيرة إلى دوامة.

انقلبت أربع أسماك سلمون في الشبكة، فالتقط أوين كل واحدةٍ بعناية، ووضعها في الكيس الكبير الذي استخدمه لنقل السمك إلى الكهف.

صرخ أحدهم بلغة عامية ثقيلة: «أنت هناك».

أسقط أوين الشبكة، وكيس السمك، متفاجئاً مما أقلق صباحه الهادئ.

أمره الصوت: «أنت يا ولد. من أنت؟ اذكر اسمك»، لم يستطع أوين معرفة صاحب الصوت، لكن الدرع الذي يغطي

الجسد كان لأحد فرسان الملك قطعاً. كان الذهب يتلألأ من الصفيحة المعدنية بينما سار الرجل المدرع بسرعة نحو أوين في خطوات كبيرة.

أمره مرة أخرى: «هل أكل القط لسانك؟ قلت لك اذكر اسمك».

وقف أوين من دون حراك، غير متأكدٍ من كيفية التصرف، فأي مؤشر على كونه الفارس الأزرق الغامض من شأنه أن يدّمر كل شيء.

أجاب أوين وهو يعلم جيداً أن صوته بدا متردداً، ولن يخدع أحداً: «اسمي... ويليام».

ضحك الفارس وهو يمسك ذراع أوين بإحكام وقال: «ويليام إذاً؟ ما الذي تفعله هنا؟».

أجاب أوين: «إنني أصطاد بعض السمك لأبي». لم يكن اختلاق الأشياء على الفور من أقوى صفاته وكان يعلم أن الحيلة لن تنجح على الأرجح.

بدا الأمر كما لو أن الرجل يستمتع بالعبث مع أوين، فسأله: «وأين والدك؟ إنه في القرية على ما أظن؟».

أجاب: «نعم إنه كذلك. الآن، إذا سمحت لي، فأنا بحاجة إلى إيصال كيس السمك هذا إليه. لديّ أعمالٌ أخرى يجب أن أقوم بها هذا الصباح. أتمنى لك يوماً سعيداً يا سيدي». أومأ أوين برأسه باحترام، وحاول الابتعاد، لكن يد الفارس المعدنية لا تزال تمسك بذراعه بإحكام.

قال: «لن تذهب إلى أي مكان إلا برفقتي. سيسعد الملك بكيس السمك هذا عندما تقدمه له. لقد تراجع احترام أهل القرية لجلالة الملك كثيراً في الآونة الأخيرة، وأعتقد أن تقديم هذا السك له هو إحدى الطرق لإظهار الاحترام له».

قال: «إن عدم الاحترام الوحيد الذي رأيته هو استخدام الملك قوته لمحاولة تخطي جميع الناس. لولا ذلك الفارس الأزرق، لكان الجميع يتضوّرون جوعاً و...»، ثم أوقف نفسه، مدركاً أنه على وشك أن يورط نفسه أكثر مما كان ينوي.

قال: «الفارس الأزرق حسناً؟ دعني أخبرك شيئاً أيها الولد، إن ذلك المسخ لم ولن يكون أبداً فارساً حقيقياً. ماذا تعرف عنه؟».

بدأ أوين يرتجف، فقد أدرك أنه توه بأكثر مما يفترض به. قال: «ليس أكثر مما تعلم. إنه بطلٌ غامض. هذا كل ما أعرفه». شعر أوين بقبضة الفارس على ذراعه، وبدأ المعدن يحتك بجلده. وقد بدأ الغضب يشتعل داخله.

قال: «حسناً، أعتقد أنك تكذب يا ويليام. أليس كذلك؟».

أجاب أوين بصوت مرتفع: «كلا، أنا لا أكذب، لا أعرف شيئاً عنه. دعني أذهب الآن».

قال: «بل أنت تعرف شيئاً، ستأتي معي» بدأ الحارس يجر أوين.

صاح أوين: «دعني أذهب».

قال الحارس متذمراً وهو يسحب أوين: «توقف عن المقاومة

أيها الولد، إن هذا يزيد الأمر سوءاً».

أصاب أوين الرجل برأسه وهو يلوح بكيس السمك، وهذا ما أفقده توازنه فحرر ذراعه، عندها ركض أوين بأسرع ما يمكنه ليهرب.

صاح صوتٌ جديد: «ما كل هذا؟».

صرخ الحارس: «إن ذلك الولد يتحدث عن الخيانة والفارس الأزرق. امسكوا به!».

عندما نظر أوين إلى الخلف، رأى العديد من رجال الملك على دربه، يتحركون في اتجاهه. كان قلبه ينبض بصوت عالٍ، كصوت قدميه على الأرض.

هبت الرياح على وجهه، وتطاير شعره وهو يتفادى الصخور والأغصان التي سرعان ما اصطدمت به. وهو يتساءل: «ما الذي يفعلونه هنا؟». لحسن الحظ، كان أوين يعرف كل منعطف في الطريق، وكان أكثر درايةً بمحيطه من الرجال الذين يطاردونه.

عندما اقترب أوين من الكهف، لاحظ أن أوثغار كان يجمع التوت البري، غير مدركٍ للمصيبة التي على وشك أن تحل عليه. فجأة، سمع صوت خطواته، فوقف واستدار، ليرى أوين يركض نحوه، ووجهه مليء بالرعب كحيوانٍ يركض للنجاة بحياته.

سأل أوثغار: «ما الخطب يا أوين؟»، ورفع يديه لإبطاء أوين.

مّد أوين يده إلى ذراعيه، وأمسك بكتف صديقه، وهمس: «اختبئ، إنهم قادمون لكي يلقوا القبض عليّ».

سأل أوثغار: «من هم...»، لكنه سرعان ما توقف عن الكلام

عندما ظهر فرسان يرتدون دروعاً ذهبية بين الأشجار على الطريق كجدار شرٍ ينذر بالخطر. وقال: «اذهب يا أوين، سأعرقلهم».

قال أوين باكياً: «ماذا؟ كلا! تعالَ، لا أريدهم أن يروك».

قال أوثغار، وهو يحدق إلى أوين بصرامة: «ليس هناك وقت، اركض الآن! إذا قبض عليك، فسيضيع كل شيء. سأكون بخير. اذهب الآن».

احتج أوين قائلاً: «لكن يا أوثغار».

قال أوثغار مصمماً: «اذهب الآن»، ودفع أوين والتفت لمواجهة الهجوم القادم.

واصل أوين الركض نحو الكهف بتردد. وعند وصوله، جلس أمام المدخل، كي لا يكون بعيداً كثيراً عن أوثغار.

كانت هناك أصوات صراخ وصراع. جاءت معظم الأصوات، رغم أنها غير مسموعة تماماً من ذلك المكان، من الفرسان، ولكن كانت هناك أصواتٌ أخرى أيضاً. صوتٌ استطاع أوين أن يميز أنه يعود لقزم، نفس القزم الذي طارده ذات مرة للخروج من هذا الكهف بالذات، القزم الذي حوّله من ولد هزيل، إلى شخصٍ يعني شيئاً للآخرين، لقد ضحّى بنفسه الآن حتى يتمكن أوين من البقاء في أمان. سرعان ما أصبحت الأصوات خافتة مع ابتعاد الجنود الأشرار المدرعين. جلس أوين منبسطاً على الأرضية الصخرية تحته بينما تنهمر الدموع المالحة من عينيه.

لماذا لم يركض أوثغار إلى الكهف؟ لو وصلا إليه معاً، لكانا أغلاقا الباب وأصبحا بأمان. لكن ماذا لو لم يفعلا؟ ربما كان هذا

هو السبب. ربما كان أوثغار يخشى أن يُقبض على أوين ووالدته أيضاً، ويعثر الفرسان على الدرع الأزرق، ومنزل أوثغار، وفي النهاية مدينة الأقزام داخل الجبل. التضحية بنفسه تعني أن كل هذه الأشياء لن تمس، على الأقل في الوقت الحالي.

جر أوين قدميه محاولاً الوقوف، ومشى داخل الكهف، مروراً بالترسانة الباردة، والدرع المغطّى بالملاءة، وصولاً إلى المطبخ.

كانت ستيفاني تجفف يديها بقطعة قماش، بعد أن كانت تنظف الأطباق وتُحضّر الغداء، غير مدركةٍ للجلبة خارج الكهف. سألت: «ما الأمر يا أوين؟ أين أوثغار؟».

قال أوين باكياً: «لقد أخذوه يا أمي».

قالت: «ماذا؟ من أخذه؟ أخبرني بما حدث».

قال: «كنت أصطاد السمك عندما جاء أحد رجال الملك من ورائي. حاولت التملص، لكنهم تبعوني ولم يأتِ أوثغار معي. بقي هناك كي يتركوني وشأني». ثم صرخ: «لقد أخذوه». خطرت له جميع أفكار الألم والمعاناة التي لا داعي لها، بالرغم من أنه لم يملك أي فكرة عما سيحدث لأوثغار، إلا أن دموعه انهمرت بشكل أغزر.

أمسكت ستيفاني بأوين وضمته بإحكام محاولةً مواساة ابنها. ثم قالت: «لا بأس. ستكون الأمور على ما يرام».

ابتعد أوين عن قبضة والدته وقال: «كلا، لن تكون كذلك. كيف ذلك؟ لقد أمسكوا به يا أمي، إذا لم تلاحظي، فهو لا يشبهنا

أبداً؛ سيقتلونه. تذكري القصص التي سمعناها عن الأقزام. من المؤكد أنهم سيعدمونه».

قالت: «ليس بإمكاننا مساعدته الآن يا أوين، كل ما يمكننا الوثوق به حقاً هو أنه سينجو. فهو مرنٌ، وقوي، وواسع الحيلة. إذا كان بإمكان أحد أن ينجو، فسيكون أوثغار من الناجين».

قال: «كلا يا أمي. كلا. لا يستطيع. إنهم كُثر، إن السبب الوحيد الذي جعلني أستطيع الهرب عندما واجهتهم هو أنني تلقيت المساعدة، وكنت أرتدي درعاً يحول دون تعرضي لأذىً شديد».

توقف أوين، ونظر إلى والدته. فاستطاعت ستيفاني معرفة نوايا ابنها من خلال اللمعة في عينيه. قالت: «كلا يا أوين، هذا ليس آمناً...»، لكنها توقفت عندما قال: «نحن مدينون له. لولا أوثغار، ربما ما استطعت إنقاذك، أنت من بين الجميع تعلمين ما يمكنهم فعله، وأنت لست قزمةً. عليّ فعل هذا يا أمي».

نظرت ستيفاني إلى ابنها، وبالرغم من أنها كانت خائفةً على حياته، إلا أنها كانت فخورة بالشخص الذي أصبح عليه.

15

جـرّ رجـال الملـك أوثغـار وهـم يركلونه ويشـتمونه طوال الطريق إلى أسفل الجبل.

«إنـه قـزم!» بدت الكلمات قاسـيةً جداً بالنسـبة إلى أوثغار. نظـر إلـى أهـل القرية وهم يقفون مرتعبين من رؤيته. قال لنفسـه: «إنهم ما زالوا يكرهوننا». ألقوا به أرضاً في وسط القرية، وثبتوه وربطوا يديه وقدميه معاً خلف ظهره.

جلس منكس الرأس بينما نظر إليه الأشخاص الذين ساعد أوين في الدفاع عنهم وكأنه شرير وغريب وحقير.

صاحت ريبيكا مسـتهزئةً من بين الحشـد: «إنه قبيح جداً!». وكسر ضحكها التوتر الصامت. تابعت: «انظروا إليه. لقد سبق لي أن سمعت قصصاً عنهم، لكنني اعتقدت أنهم انقرضوا جميعاً».

أضاف توم ذو الخطوتين: «بعد كل هذه السنوات، اعتقدت أننا تخلصنا منهم».

قالـت ريبيـكا: «نعـم، هـذا ما كنـت أعتقده، لكـن تبيّن أنني كنت مخطئة». على الرغم من عدم تمييزه لأصوات البشر، إلا أن أوثغار تعرّف إلى الأصوات الأخيرة جيداً. ثم نظر مصعوقاً، ليجد

هناك اللورد كوبينغر، وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة.

مجدداً، خيّم الصمت على الحشد، ونظر إليه الجميع. لم يره أحد يقترب على ما يبدو، وهو يقود عربة يجرها حصان. كانت ساقاه مغطاتين ببطانية سميكة لإخفاء تشوههما من القتال الدائر في القرية منذ مدةٍ قصيرة.

قال: «لقد كنتم مخطئين، مرةً أخرى. أراهن أنكم جميعاً اعتقدتم أنني مت، أليس كذلك؟ يتطلب الأمر أكثر بكثير من مجرد فارسٍ تافه عيّن نفسه لإيقافي. اسمحوا لي أن أوضح لكم جميعاً. إذا ظهر الفارس الأزرق هنا مرةً أخرى، فستنتهي حياته على الفور».

تراجع الحشد. وقد بدا الحزن والارتباك على عيون الجميع.

قال: «هل ترون أهمية الاعتراف بملككم الآن. لقد سأل عن مكان الولد، ولم يسلمه أحدٌ منكم. عندما أخذنا والدته، وقفتم وشاهدتم الكائن الأزرق يأخذها منا ولا شك أن هذا»، أشار كوبينغر بأحد أصابعه الثخينة الشبيهة بالنقانق إلى أوثغار وأكمل: «المسخ، له علاقةٌ بذلك. لا شك أنكم سمعتم جميعاً قصصاً عن الأقزام الذين كادوا أن يدمرونا. لقد منحناهم الوظائف، ووفرنا لهم فرصةً لإبراز ولائهم للملك، لكنهم أرادوا المزيد. لقد جعلهم الجشع يطلقون التنين، إنهم سبب كل الشرور، وقد وفّر لكم ملككم كل شيء، وحماكم من التنين والأقزام»، وفي النهاية قال: «وكيف تشكرونه؟ من خلال اتباع الفارس الأزرق الخائن».

رفع أوثغار رأسه وصرخ: «كاذب!».

صاح كوبينغر بغضب: «لم أعطك الإذن لتتحدث أيها القزم. تكلم مرة أخرى وسأقطع لسانك، لن أهان من أمثالك».

ردّ أوثغار بغضب رافضاً قبول تحذير كوبينغر: «حاول الأقزام مساعدتكم؛ لقد عشنا معاً بانسجام حتى خاننا ملككم».

«أخرسوه. يكفي ما تفوه به من هراء اليوم».

هرع فارسان إلى أوثغار، وركل الذي وصل إليه أولاً أضلاعه، انحنى أوثغار من المنتصف إلى الأمام مطلقاً صيحةً عالية مخرجاً الهواء من صدره، أما الثاني فسحب ساقه إلى الخلف وهو يجهز نفس لركله بدوره.

عندها صرخ أوين وهو يظهر من بين أشجار الغابة ملوحاً بسيفه: «لو كنت مكانك ما كنت لأركله». قال ذلك وهو يتقدم بسرعة ويشير بسيفه الأزرق نحوه.

بدأ الحشد في التحرك، وسمع أوين همسات: «أزوريوس» و«الفارس الأزرق».

أمر كوبينغر: «أمسكوه!».

لم يبالِ أوين لما قاله كوبينغر، خصوصاً حين رأى الفارسان اللذان يقفان بالقرب من أوثغار يتراجعان ببطء. ابتسم أوين من خلف قناع خوذته وقال: «إنهما يخافان مني». عندها صرخ بشجاعة: «ابتعدا عنه».

سأل أوين، وهو يقطع الحبل البني السميك الذي يلتف بإحكام حول يدي وقدمي صديقه بسرعة: «هل أنت بخيرٍ يا أوثغار؟».

تمتم أوثغار غاضباً: «سأكون بخير. يا لك من غبي، لماذا أتيت؟».

أجاب أوين ساخراً: «كان من الأفضل أن تقول لي شكرا لقدومك».

صرخ كوبينغر: «انظروا جميعكم، إلى من تسمونه منقذكم. إن هذا المسخ القبيح هو صديق بطلكم. أي بطلٍ يمكن أن يكون إذا كان صديقاً للأقزام؟».

وقف أوين سريعاً وقال: «ابقَ ورائي يا أوثغار، لن تسير الأمور على ما يرام. هل الأقزام هم الذين يسرقون طعامكم ويذلونكم؟ كلا، إنه كوبينغر والملك المزعوم، فلا تستمعوا إليه. الأقزام ليسوا مسؤولين عما نعاني منه، لقد أساء الملك إلى الأقزام بالطريقة نفسها التي يسيء بها إلينا».

قاطع ضحك كوبينغر الصاخب أوين. ثم قال: «حسناً، أنت تعترف بصداقتك لهذا القزم».

قال: «نعم، وأنا فخورٌ بذلك. فهو من علمني كيف أتصدى لطغيان الملك. هذا القزم، أوثغار، هو من أخبرني بحقيقة الماضي».

قال: «حقيقة من؟ حقيقتنا، نحن البشر، أم حقيقته؟».

سرت التمتمات بين أفراد الحشد، فشعر أوين بالخوف، وهو يدرك أن كل العمل الذي قام به لتوحيد القرية قد ينهار أمامه. كان عليه أن يقول شيئاً ما، لكن ما الذي سيعيدهم إلى جانبه؟

بكى أوين بشدة وقال: «لا تصغوا إليه! إنه يكذب. عمل

الأقـزام معنـا حتـى قلّـب جشـع الملـك الجميع ضدهـم. نفس الجشع الذي يجعل كوبينغر ورجاله يسرقوننا الآن. من فضلكم، لا تصغوا إليه».

تقـدم رجـلٌ في منتصف العمر يعرف أوين أنه يدعى جون. كان وجهه متجعداً ويوحي بأنه أكبر عمراً من حقيقة عمره. حرّكت الرياح خصل الشعر القليلة البنية والمائلة إلى اللون الرمادي على جانبي رأسـه فبدت وكأنها تمشـطها. وقال: «كيف يمكننا الوثوق بشخصٍ صديقٍ لقزم؟ لماذا يجب علينا أن نصدقك يا أزوريوس؟ نحن لا نعرف حتى من تكون حقاً».

بـدأ جسـد أوين يرتعـش تحت درعه، وكأن مسـتعمرة نملٍ تجري بسرعةٍ على جلده، وتحفر داخل مسامه. ثم قال: «أنا ...».

قال أوثغار إلى أوين ممسكاً بكتفه: «كلا، لا تخبرهم. عندما يحين الوقت سيعرفون، لكن ليس الآن».

قال: «أنا من سأساعدكم لتتغلبوا على الملك الظالم».

ردّ جـون وترافـق ردّه مـع صيحـات التأييـد: «منـذ أن أتيت ومـلأت آذاننـا بهرائك، ازدادت أوامر الملك بطشـاً. إنه خطؤك. لو أننا نفذنا ما طلبه منّا، كانوا سيتركوننا وشأننا».

قال كوبينغر: «إنهم يرونك على حقيقتك يا أزوريوس، كما رأيتك دائماً، لقد كُشـفت على حقيقتك بسـبب علاقتك مع هذا القزم الذي يغطيه الشعر. الآن، يكفي إضاعة للوقت. امسكوا به، وأحضروه حياً حتى أتمكن من تقديمه قرباناً للملك».

قال: «ها نحن ذا يا أوثغار، هل أنت مستعد؟».

تذمر أوثغار قائلاً: «ليس لديّ كثير من الخيارات».

قال: «فليأتوا».

كان عدد الفرسان أكثر مما يمكن لأوين إحصاؤه، تقدموا نحوه، وكأنهم غابة مذهبة كثيرة الأشجار، أغصانها سيوف ودروع. رفع أوين سيفه عالياً، وأمسك بترسه بقوة. وقال: «إذا كانت هذه النهاية، فأريد فقط أن أشكرك على كل ما فعلته لي ولأمي».

صاح أوثغار: «وأنا أيضاً».

ركض أوين إلى الأمام، ورفع ترسه ليتصدى لنصل متوجه نحوه، بعدها استدار إلى الجهة اليمنى، ودفع سيفه مباشرة إلى فارسٍ آخر، الذي ارتمى بدوره على فارسين كانا خلفه. عندها أمسك أوين بالرمح الذي كان يمسكه الفارس، ورمى به إلى أوثغار وقال له: «أمسك به يا أوثغار!». تنفس أوثغار الصعداء عندما أمسك بالرمح وانضم إلى القتال.

فاجأت حركات أوثغار السريعة رجال الملك بينما كان جسده القصير المليء بالعضلات يدور في دوائر، ويطعن بواسطة الرمح الذي يحمله، وكأنه إعصار غاضب خارج عن السيطرة. تراجع الفرسان، وتجمعوا أمام الصديقين اللذين كانا يقاتلان ببسالة للقضاء على فرسان الملك المذهبين الذين كلما سقط منهم واحد حل آخر مكانه.

استمر القتال، ولكن ببطء، أُجبر أوين وأوثغار على التراجع، بسبب الضغط الهائل الذي يمارسه عليهما فرسان الملك كثيرو

العدد.

قال أوين في نفسه: «لا فائدة يا أوثغار»، لكنه كان يعلم أنه لا يستطيع التوقف عن القتال. كان أوثغار يحاول صد المهاجمين، لكنه لم يتمكن من كسب الزخم أو الصمود.

شعر أوين بالتعب يتسلل إليه ببطء، فحاول إخفاء ذلك، لكن حركاته لم تعد سلسةً أو سريعة كما كانت من قبل.

تأوّه أوثغار وعندما نظر إليه صديقه رآه مستلقياً على ظهره ممسكاً الرمح بشكل عرضي أمام جسده في محاولةٍ لصد أي هجماتٍ قادمة.

صاح أوين وهو يحاول أن يشق طريقه لمساعدة صديقه: «أوثغار!».

وقف فارس ضخم الجسد فوق أوثغار، ولوّح بسيفه، ثم صوبه نحو الأسفل ودفع به بكلتا يديه نحو صدر أوثغار في ما يفترض به أن يكون الضربة القاضية. شهق أوين، وحبس أنفاسه، ثم أطلق زفيراً عندما رأى أوثغار يتدحرج بعيداً عن الطريق.

لم يدرك أوين أنه على وشك التعرض لهجومٍ آخر إلا عندما شعر بنصل سيف يضرب درعه. لم يستطع تحمل قوة الضربة ففقد توازنه، وسقط أرضاً من مكانه. نظر إلى وجوه الأعداء وتساءل عن سبب عزمهم على إيذائه. وقال لنفسه: «لقد آن الأوان، لقد انتهيت».

رفع أوين ترسه عند سماعه أحد الجنود ينادي: «انزعوا خوذته، دعونا نرَ من هو حقاً». أمسك أوين بحزام الدرع الأزرق،

وبـذل قصـارى جهده للتحرك، لكنهم كانوا يحاصرونه، حاجبين أي مدخلٍ للهواء عنه. شعر بضيقٍ في التنفس، وخفق قلبه بسرعة، وسمع في أذنيه صوت الموت يناديه.

لـم تكـن حـال أوثغـار أفضـل بكثيـر. فقد ثبتـه ثلاثة رجال وشـرعوا بلكمـه وقـال أحدهـم: «لا تقتلوه، يريـده كوبينغر حياً. أحضروه وسنأخذه معنا».

تعرّق أوين بشدة. وومضت في مؤخرة رأسه صور والدته، وصوره وهو يتعلم صيد الأسـماك، ورؤيته للدرع الأزرق للمرة الأولـى، كمـا لـو أنه يسـتعيد الذكريات الجميلة للمـرة الأخيرة. ارتجـف وهـو يقاتـل بشـكلٍ يائـس ومتعب ليمنـع جيش الملك الحانـق مـن القبـض عليـه. بالرغم من معرفتـه بأنهم قبضوا على أوثغـار، لكنـه حاول منع أصابـع المتطفلين من رفع الخوذة عن وجهه وكشف هويته.

فجـأة، توقفـت محاولاتهـم وتراجعـوا، وبـدأوا يركضـون فـي كل الاتجاهـات، وسـمع أوين صرخات الرعـب والخوف. لـم يعـرف مـا كان يحـدث حتـى جلبت له الريـح صوت صراخ شـديد، ونحيبٍ مخيف، سـبق له أن سـمعه في الليلة التي اختبأ فيهـا علـى الجبـل، وظهر وحشٌ هائلٌ ناشـراً جناحيه العملاقين، مقتلعاً الأشجار وناثراً الرمال مع الريح عند تحليقه. همس أوين لنفسه: «إنه كالوريث».

امتلأت السماء بالدخان الأسود الناجم عن احتراق المنازل، حيـث غلـف تباينٌ داكن من اللهب والسـخام الهواء، وجعل من

التنفس أمراً في غاية الصعوبة. نهض أوين بحذرٍ شديد، كانت عضلاته تؤلمه، ولكنه شعر بالرائحة لأنه يرتدي الدرع، وإلا... ارتجف من الفكرة.

انقض التنين الضخم بشراسةٍ إلى أسفل، مشعلاً الأشجار والمنازل والعربات الخشبية وكل شيء آخر استطاعت النيران أن تلتهمه. قبضت مخالبه الرمادية الداكنة الطويلة على الحراس وأهل القرية، وألقت بهم بعيداً وكأنهم غبار. ارتعب أوين مما شاهده، فلم يسبق له أن رأى التنين من هذه المسافة. بدت حراشفه الحمراء الضخمة والصلبة غير قابلة للاختراق بشكلٍ لا يُصدّق، وامتد جناحاه الطويلان، فغطى كل واحد منهما منزلين وكانت عيناه تتوهجان بنيران أشد كثافة مما يخرج من فمه الضخم ذي الأسنان الحادة.

وقف أوين مصدوماً. لم يسبق له أن رأى مثل هذه القوة والغضب يُستهلكان في شيءٍ مهيبٍ وجميل. على الرغم من أفعال التنين المرعبة، فإن النظر إليه، كان مربكاً ويحمل على الشعور بنشوة في ظل حضور رعب قل نظيره.

عاد أوين إلى رشده عندما حلّق التنين بعيداً، ثم استدار بسلاسة، وهاجمه وجهاً لوجه. شاهد أوين الفم الكبير مفتوحاً، ورأى صفين من الأسنان الحادة البيضاء في الأعلى والأسفل يومضان باللون البرتقالي والأحمر. بشكل تلقائي، جثم أوين على إحدى ركبتيه، ورفع ترسه فوق رأسه بينما أعاقته النيران. كانت النيران التي ينفثها كالوريث شديدةً للغاية، فقد أدت إلى

تسخين الدرع، واحتراق جلد أوين بعض الشيء. صرخ: «اااااه»، بسبب التغير الهائل لحرارة درعه أكثر من الإحساس بالحرق الفعلي الذي شعر به.

كان أوثغار مستلقياً ووجهه يقابل الأرض على بعد خطواتٍ قليلة. عرف أوين أن عليه أن يفعل شيئاً قبل أن تجتاحه نيران التنين أيضاً. فهرع إلى صديقه بينما كان التنين يحلّق في أجواء القرية، حارقاً كل شيءٍ أمامه. وسأله بصوت عالٍ: «هل أنت بخيرٍ يا أوثغار؟»، لكن القزم لم يرد. كانت عيناه مغمضتين وجسده ساكناً. حاول أوين مرة أخرى: «أوثغار؟».

قال أوين، مخاطباً نفسه أكثر من الجسد المرميّ الذي كان أمامه: «عليّ أن أُخرجك من هنا».

أعاد أوين سيفه إلى غمده، وربط ترسه على ظهره، قبل أن ينحني ويضع يديه تحت ظهر وساقي صديقه. ثم همس لنفسه: «ها نحن ذا»، ثم صرخ بصوتٍ عالٍ: «اااه» ورفع أوثغار بين ذراعيه، وحمله ببطء نحو الجبل.

لقد اختفى كوبينغر منذ فترة، ولم يتسنَّ لأوين رؤيته أو رؤية أي من الحراس يهربون خلال المعركة، لكنه كان واثقاً أنهم غادروا هرباً من التنين.

تحرك أوين بأسرع ما يمكن، وكان ذلك أبطأ بكثيرٍ من المعتاد. كان يشعر بالألم الصارخ في ذراعيه وساقيه تحت وطأة ثقل أوثغار. قال أوين: «هذا جنون، لن أتمكن من إنقاذه أبداً».

سقط أوين على ركبتيه، مستعداً للاستسلام. ولكن، عندما

رفع رأسه، رأى عربة يد نصف مكسورة مائلة على جانبها على بعد أمتارٍ قليلة. فكانت أمله الوحيد. ركض أوين نحوها ودفعها بسرعةٍ إلى الوراء. كان الجزء السفلي المسطح للعربة محطماً وتملؤه الثقوب، ولكنها إذا تماسكت لفترةٍ كافية، فيمكنه نقل أوثغار إلى مكانٍ أكثر أماناً حتى يتمكن من إيجاد طريقةٍ أفضل للوصول إلى الكهف عند قمة الجبل.

رفع أوين القزم الثقيل مرةً أخرى، ووضعه بصعوبة على عربة اليد، ولكنه فوجئ بأن العربة كانت أكثر تماسكاً مما تصور، ولم تنهر بفعل وزن أوثغار. أمسك أوين بالمقبضين، ودفع بساقيه. منحه هذا الإحساس الجديد بالراحة بعض الأدرينالين الضروري في حالته، وسرعان ما تحولت حركته من المشي إلى الهرولة، وتمكن في غضون فترة قصيرة من إيصال أوثغار بأمان. لم يكن هناك من طريقةٍ تمكنه من دفعها طوال الطريق إلى القمة، لكنه تمكن من العثور على فجوةٍ صغيرة في صخرة وفرت لهما المأوى وشيئاً من الأمان طوال الليل.

سحب أوين جسد أوثغار الثقيل من العربة المتهالكة إلى الفجوة، ووضعه أرضاً ليستريح. ثم وضع ركام العربة أمامهما لتحميهما من العوامل الجوية.

جلس أوين على الأرض، وحدق إلى صديقه، فلاحظ الآن وجود دماء وكدمات على وجه أوثغار وجسده. شرع أوين في البكاء. نظر إلى عضلاته وجلده الممزق في الوقت الذي سالت فيه دموعه على خديه. كان أوثغار يتنفس بوهن وصعوبة في هدوء

سفح الجبل. ارتجف أوين، ليس من البرد، ولكن خوفاً من فقدان صديقه.

في النهاية، نام أوين وهو يبكي، في غضون ذلك تكاثفت الغيوم فوق الأرض، وانهمر المطر اللطيف، كما لو أن بعض القوة العليا كانت تساعد في إخماد النيران التي تسبب بها كالوريث. أما في البعيد، فقد تلاشى صوت الصراخ، وطار التنين إلى مكانٍ غير مرئي. وكان رجال الملك مختبئين خلف جدران القلعة الحجرية، ينظرون إلى القرية المدمرة.

في الصباح، أشرقت الشمس، فتلألأت عينا أوين المتعبتين. استيقظ على وهج الحرارة المرحب بها على وجهه. في البداية، كان رأسه يؤلمه ويشعر بضبابية في الرؤية، لا يزال صدى الضربات التي تلقاها على خوذته يرن في أذنيه. لاحظ أوين، عندما استعاد وضوح الرؤية، أن أوثغار قد تحرك من حيث وضعه وأنه يجلس الآن.

عاد الأمل ليسري في جسد أوين عندما لاحظ أن عيني أوثغار مفتوحتان. فسأله: «هل أنت حيّ يا أوثغار».

همس أوثغار مبتسماً لصديقه: «بالكاد».

قال أوين مازحاً: «كنت أعرف أن الموت لن يتمكن بسهولة من بغل عجوز مثلك».

أجاب أوثغار: «لو كانت لديّ القوة كنت سأصفعك».

قال أوين: «يجب أن نعيدك إلى المنزل. هل تستطيع المشي؟».

قال: «لا أعلم. أشعر بألمٍ شديدٍ في ساقي اليمنى، ويزداد الأمر سوءاً عندما أحاول تحريكها. سيكون المشي أكثر سهولة إن كان لديّ ما أرتكز إليه».

نظر أوين حوله. ثم قال: «لديّ فكرة». جلس وأبعد العربة عن الطريق، ثم فصل أحد مقبضيها عنها وقال: «أعتقد أن المقبض طويل وسيفي بالغرض. دعني أساعدك، فوجودنا هنا في وضح النهار ليس آمنا».

ساعد أوين أوثغار في الوقوف، ولكن بالرغم من تذمر العجوز إلا أنه تمكن من الوقوف في النهاية. لف أوين ذراعه حول أوثغار وساعده على الخروج من الفجوة وشقا طريقهما ببطءٍ إلى أعلى الجبل، وكان أوين يحمل الخوذة في يده اليسرى.

مكتبة الطفل

t.me/book4kid

إحدى قنوات

مكتبة

16

خـرج أويـن من غرفة النوم، وقد بدت عليه علامات التعب والإرهاق. لم يكن قد خلع درعه بعد.

سألته ستيفاني: «كيف حال أوثغار؟».

أجاب: «لقد أوسعوه ضرباً، لكنه قوي. سيكون على ما يرام طالما أننا نمنحه الوقت للراحة».

نظرت إليه ستيفاني وقالت: «تبدو متعباً».

قـال وهـو يدق على صـدره بيده الفولاذية: «صحيح، بعض النوم سيجعلني أتعافى».

لم تستطع ستيفاني السيطرة على عواطفها، فاندفعت صوب ابنها واحتضنته قائلة: «ماذا حدث يا بني؟ تعالَ إلى هنا».

أجابها: «أنا بخيرٍ يا أمي. أوثغار أصيب، لكنه سينجو».

قالت: «ماذا حدث هناك؟ سـمعت ضجيجاً، لكني خشـيت الخروج والنظر، لم أسـتطع تحمل فكرة رؤيتك...»، ثم تلاشـى صوتها، وبدأت شفتاها ترتعشان.

كان أوين خائفاً من ذكر التنين، لكنه كان يعلم أنه لا يستطيع إبعـاده عنهـا لفتـرةٍ طويلة. بدأ في فك درعه بينما كان يسـير نحو

الترسانة. وقال: «حسناً، تمكنت من استرجاع أوثغار، لكن سكان القرية... هم...».

ارتفعت نبرة ستيفاني، وارتعش جسدها. وقالت: «ماذا؟ هل هم بخير؟ هل تضرروا؟».

قال أوين وهو يخلع درعه ويعلق كل قطعةٍ بعناية: «نعم بعضهم، كان كوبينغر هناك، وقد نجا، على الرغم من أن ساقيه بدتا مقطوعتين. رأى الناس، أوثغار ولأنني كنت هناك معه، انقلبوا عليّ. كانوا أكثر منّا. أرسل كوبينغر كثيراً من رجاله إلينا ولم أستطع إحصاء عددهم. لكن، الناس،... وقفوا هناك. كانوا يساعدوننا من قبل وكان القتال أسهل بكثير، لكن هذه المرة تركونا وحدنا ووقفوا على الحياد. كان بإمكانهم فعل أي شيء، لكنهم اختاروا التراجع ومشاهدة الفرسان وهم يبرحوننا ضرباً. أنا لا أفهم. كان بإمكانهم على الأقل عرقلتهم، ولكن بمجرد أن عرفوا أنني وأوثغار معاً... كرهوني».

سألته ستيفاني: «ولكن، كيف نجوت إذا كان المهاجمون كُثراً؟».

لم يرغب أوين في إخبار والدته أنه وأوثغار كادا أن يفقدا حياتهما. كان يعلم أنها ستبكي بحزنٍ في كل مرة يخرج فيها لارتداء الدرع الأزرق. فقال: «لحسن الحظ، قاطع التنين كالوريث المعركة».

بكت ستيفاني وقالت: «التنين! هل كنت ستحارب التنين؟ هذا جنونٌ يا أوين. كان من الممكن أن تموت»، ثم أمسكت به

من كتفيه وتابعت: «لا يمكنك محاربة تنين».

تنهد أوين قائلاً: «هدئي من روعك يا أمي، جذب التنين انتباههم فقط، فوفر لي الفرصة لإبعاد أوثغار بأمان. أنا لم أقاتله».

عانقته مرة أخرى وقالت: «أوه، حمداً لله».

قال أوين متبسماً: «توقفي يا أمي، أنتِ تسحقينني. توقفي عن البكاء، انظري، انظري إليّ»، دفع أوين والدته قليلاً، ممسكاً بكتفيها وقال: «أنا بخير. لم أقاتل التنين بعد، لكن...».

قاطعته: «بعد؟ ماذا تقصد بعد؟».

قال: «اسمعي يا أمي. توقفي عن البكاء، أنا بخير، لقد دمّر التنين القرية. لكن إذا قتلت التنين، سأحرر الجميع، وسيقف الناس إلى جانبي مرةً أخرى. وإذا لم أفعل، فقد يموتون جميعاً. هل تفهمينني؟ أنا الوحيد الذي يمكنه إيقافه، لن يؤذيني إذا ارتديت الدرع. عليّ فقط توخي الحذر».

صرخت قائلةً: «لا وألف لا. لن تقاتل التنين. يكفي أنك ذهبت إلى هناك، وخاطرت بحياتك من أجلي، وهذه المرة لم أعترض طريقك من أجل أوثغار، وأنت بالكاد استطعت أن تنجو، لكنني لن أسمح لك بعد الآن. أنت صغيرٌ جداً يا أوين. من المستحيل أن أقف هنا، وأسمح لك بالقتال وجهاً لوجه مع كائنٍ متوحشٍ، ينفث النار...». استطاع أوين أن يشعر بغضبها، وأن يرى القلق في عينيها.

قال: «أنا متعبٌ يا أمي. من فضلك، هل يمكننا التحدث بشأن هذا في وقت لاحق».

من خلال النظر إلى عيني ابنها، لاحظت ستيفاني أنه صادق، فهو منهك، ويحتاج إلى الراحة، ربما يمكنهما التحدث في وقت لاحق، ربّتت على عنقه وقالت: «أنت محق. اذهب واسترح، وسأهتم بأوثغار».

شقّت ستيفاني طريقها إلى غرفة أوثغار وهي تحمل طبقاً من الخبز والسمك والجبن، وتوقعت أن تراه نائماً، لكن عندما دخلت الغرفة، كان أوثغار جالساً على حافّة سريره، يحاول التمطط، وبدا على ملامحه أنه يتألم.

ابتسمت له ستيفاني وهي تضع الطبق على الطاولة الصغيرة بجانب السرير وقالت: «لا أقصد إزعاجك، لكني أحضرت لك شيئاً لتأكله. اعتقدت أنك قد تكون جائعاً».

أجاب أوثغار بامتنان: «شكراً لك».

جلست ستيفاني على الكرسي الهزاز الخشبي القاسي في زاوية غرفة أوثغار وقالت: «أحضرت لك قليلاً من ذلك المرهم الذي استخدمته لعلاج أوين. ربما سيساعدك على الشفاء».

قال: «شكراً لك. نعم، أنا أشعر بالألم. أعرف وصفةً تساعد على إرخاء العضلات سأطلعك عليها في ما بعد إن كان بإمكانك صنعها لي. إنني أعاني من ألم شديد يحول دون قيامي بذلك».

قالت وهي تبتسم مجدداً: «بالطبع. سأفعل أي شيء لمساعدتك، اطلب ما تشاء وحسب، كنت آمل أن نتمكن من التحدث ما دام أوين نائماً، فأنا بحاجة إلى مساعدتك في شيء مهم».

قطّب أوثغار حاجبيه الكثّين وسألها: «ما هو؟».

قالت: «أخبرني أوين عن التنين، وهو يظن أن عليه مواجهته. أخبرته أنها فكرة سيئة، لكنه لا يريد الإنصات إليّ».

سألها أوثغار: «وماذا تريدين مني أن أقول له يا ستيفاني؟».

قالت ستيفاني محبطة: «أنك تعترض على هذا بشدةٍ مثلي، بالطبع».

أجاب أوثغار بغاية الجدية: «كنت سأقول له هذا بالتأكيد، لو أنني أعتقد ذلك أيضاً. لكن لسوء الحظ، يجب أن يُقتل التنين وأوين هو الوحيد القادر على فعل ذلك من أجل لمّ شمل الناس وإعادة الأقزام إلى الأرض».

صرخت ستيفاني: «قادر؟ إنه مجرد ولد صغير يا أوثغار، إنه غير قادرٍ على فعل أي شيء. إن ذلك التنين وحشٌ حقيقي، إنه ضخم... إنه... تنين! أنت تريد إعادة الأقزام؟ تريد أن يخاطر أوين بحياته ويواجه التنين، ذلك التنين، فقط لإعادة أصدقائك؟ كيف يمكنك أن تكون بتلك الأنانية؟».

وقفت ستيفاني، ولوّحت بيديها في الهواء، وحدقت إلى سقف الكهف، وقالت بصوتٍ عالٍ: «آه! هذا أمر شائن».

قال: «من فضلك يا ستيفاني، اجلسي، ودعينا نناقش الأمر بمزيدٍ من التفصيل قبل إصدار حكمٍ متهور. أقسم إن الأمور على المحك أكثر مما تتصورين».

تنهدت ستيفاني بصوت عالٍ، ثم جلست على الكرسي. وقالت: «حسناً، سأستمع، لكنني أقسم إنني لن أوافق على فكرة

قتال أوين لكالوريث أبداً، أو أياً يكن اسمه».

قال: «نعم إنه كالوريث. أنا أتفهم قلقك. بالنسبة إليك أوين صغير، لكنه كبر ويكاد يصبح رجلاً. لقد رأيتما مدينة شعبي، وشرحت لكما كم أود أن يعود الأقزام، لذا لن أضغط بحديثي بخصوص هذا الأمر مجدداً، ولكن أود أن تذهبي إلى القرية، قبل أن تصدري حكماً نهائياً، قبل أن تتهميني بالأنانية، من فضلك. انظري إلى القرية والناس. انظري إلى الدمار الذي خلفه التنين والملك. لقد أصيب شعبك بالأذى. لقد عاملهم الملك مثل الأقزام المنبوذين. اذهبي، وتحدثي إلى أقربائك، واستمعي إلى الخوف والبؤس في أصواتهم، ثم تذكري أنني سمعت نفس الألم من شعبي أيضاً. أتمنى أن يفعل أوين ما يجب القيام به وحسب. إنه المختار، لقد استطاع ابنك، الشخص الذي انتقده الجميع واستهزأوا به وعنفوه، فعل الكثير من الأشياء العجيبة بالفعل، بما في ذلك إنقاذك. نعم، هناك مخاطرةٌ كبيرة، لكنه الوحيد المستعد للتقدم ووضع حدٍ للشر. لديه وحده القدرة على تحقيق السلام، وإذا تخلينا عنه ولم ندعمه، فلن نكون أنا وأنت أفضلَ من الملك. إن التنحي دون فعل شيءٍ ومشاهدة ما يتعرض له الآخرون من أذى، يضاهي مشاركتنا في الأذية. قد تكون الطريقة الوحيدة للمساعدة أحياناً هي إظهار الدعم للأشخاص غير القادرين على التحدث عن أنفسهم. لن يسمع شعبك أصواتهم ما لم يساعدهم أوين في سماعه كما سبق له أن فعل؛ ويمكنه فعل ذلك مرةً أخرى. لذا اذهبي، وامشي في الشوارع، وانظري

حولك ولاحظي الأشياء التي ستشاهدينها وتسمعينها. ثم عودي وتحدثي إليّ مرةً أخرى. هلّا فعلتِ ذلك من أجلي؟».

استمعت ستيفاني باهتمامٍ إلى حديث أوثغار. ثم قالت: «أنت حكيمٌ... أيها القزم أوثغار، من حظ ابني أنه قابلك». ثم توقفت ونظرت إلى الجدران حولها وتابعت: «سأذهب. سأفعل ما طلبت مني. خُذْ قسطاً من الراحة. سآتي لأراك قريباً». وقفت ستيفاني وربتت على كتف أوثغار بأدب، ثم همست وهي تغادر أوثغار ليستريح: «شكراً».

17

هـدأ المطـر الذي هطـل في الليلة الماضية على القرية. كان الهـواء مثقـلاً برائحة الحريق، واسـتطاعت سـتيفاني رؤية الدمار عندما أنزلت قلنسوة عباءتها عن رأسها.

شـعرت بغصةٍ في قلبها، وكأن يداً كبيرةً كانت تضغط على أضلاعهـا. لقـد أُحرقت مناطق واسـعة، وغطى السـخام والرماد الأرض. لـم يسـبق لهـا أن رأت شـيئاً مـن هـذا القبيـل، سـارت سـتيفاني ببطء، وظلت تنظر إلى الأسـفل حتى لا يتعرف أحدهم إلـى وجههـا. إنهـا لا تعـرف إن كان من الآمـن بقاؤها هنا. ومع ذلك، واصلت السير، وسارت بجوار المنازل المدمرة والأنقاض المتفحمة.

سـار الناس ببطءٍ أيضاً، كما لو أنهم يجرّون أنفسـهم جراً، لأنـه لـم يكـن لديهم شـيء آخـر يفعلونـه. لقد انهـار العديد من المنـازل، وبالرغـم مـن محاولـة البعض إصلاح الأضـرار، لكن جهودهم كانت عديمة الجدوى.

شـعرت سـتيفاني أنـه يجدر بهـا الذهاب إلـى منزلها وتفقد الأضـرار التـي حدثت هناك. سـارت في طريـقٍ مألوف، الطريق

نفسه الذي سبق لها أن سلكته مراراً، لكن مشاعرها كانت مختلفة. تذكرت ابتسامات الناس، والأطفال الذين يلعبون ، والباعة الذين يبيعون الفواكه والخضروات وغيرها من السلع على طول الطريق المرصوف بالحصى. أما الآن، فقد كانت كل العربات مدمرة أو محروقة، ولم يعد الناس يبتسمون، ولكن الأسوأ من ذلك كله، أنه لم يكن هناك أصوات أطفال، باستثناء صرخات الأطفال المرعوبين بين أذرع أمهاتهم.

توقفت ستيفاني أمام منزلها، وأغمضت عينيها للحظة قبل أن تفتحهما بالكامل، وترفع القلنسوة عن رأسها. ارتفعت يدها بشكلٍ غريزي لتغطي فمها؛ لقد احترق سقف المنزل المصنوع من القش بالكامل وانهارت الجدران الخشبية، ولا يزال الدخان تصاعد منها، كما حال كل المنازل الأخرى في شتى أنحاء القرية. أوشكت ستيفاني على البكاء بينما كانت عيناها تفحصان البقايا بحثاً عن علامةٍ على أن شيئاً ما، أي شيءٍ، قد نجا. كانت تعرف أن هذا هو منزلها، لكنها شعرت بالغربة والضياع.

همس صوت عجوزٍ قاطع شرود ستيفاني المصابة بالخيبة: «إنه أمر محزن، أليس كذلك؟».

تعرفت ستيفاني إلى المرأة العجوز النحيلة عندما نظرت إليها. ترددت ستيفاني ثم قالت: «غريتشن، أنا آه...».

استطاعت السيدة العجوز التعرف إليها.

وضعت غريتشن يدها النحيلة على كتف ستيفاني. وقالت: «استرخي، لن أخبر أحداً أنك هنا. إن آخر شيء يحتاجه هؤلاء

الناس هو مزيد من الاضطرابات التي يثيرها كروبديغر».

أجابت ستيفاني ممتنةً: «شكراً لك».

قالت: «تنينٌ وقزم، لقد ظننت أننا انتهينا من أمرهما بعد كل هذه السنوات»، أومأت ستيفاني مؤيدةً. ثم تابعت: «لكن، أحدهما ليس سيئاً. أتذكر أن والدي أخبرني عن الأقزام. كان يعرفهم، وكان صديقاً لهم في الواقع».

قالت ستيفاني متفاجئةً: «هل كان يعرف الأقزام؟».

أجابت غريتشن بصوتٍ عالٍ يختلجه شيء من الرجفة: «أوه نعم، لقد عمل معهم، واحتفل معهم. أتعلمين، لقد مرّ وقتٌ طويل، لكنني أتذكر أنه أخبرني ذات مرة أننا لن نعرف أبداً أي شيء عن أنفسنا، حتى نفهم الآخرين».

ردت ستيفاني: «يبدو أن والدك كان رجلاً حكيماً للغاية».

قالت: «صحيح إنه كان كذلك».

للحظة خيّم الصمت على المرأتين، وهما تحدقان إلى القرية كما لو أنهما تتفحصان لوحة.

قالت غريتشن: «أتعلمين، عندما أتذكر الطريقة التي وصف بها والدي الأقزام والقرية داخل الجبال، لا يسعني إلا أن أشعر بخيبة أملٍ كبيرة، لأنني لم أتمكن من رؤيتها بأم عيني. أتخيل، بالنظر إلى عمري الآن، أنني لن أتمكن من فعل ذلك أبداً. إنه أمرٌ سيئ للغاية كما تعلمين. هل يمكنك تخيُّل ملامح طفلٍ وهو ينظر إلى روعة تلك القرية العجيبة». توقفت غريتشن، واستدارت لتنظر إلى عيني ستيفاني، ثم تابعت: «لديك ابن أليس كذلك؟».

أجابت ستيفاني بهدوء: «نعم، يدعى أوين».

قالت: «أوين، نعم أتذكره. فتىً لطيف حسبَ ما أذكر. يهرع دائماً لمدّ يد العون للناس حتى عندما يتعاملون معه بفظاظة. هذه خصلةٌ نادرةٌ الآن، أليس كذلك؟ أنت تعلمين أننا نحتاج إلى شخصٍ مثله الآن. يجب تذكير الناس أحياناً بأنه حتى أصغرنا مهم. قد لا نبدو كذلك بالمقارنة مع الملوك الأقوياء والوحوش مثل التنانين، ولكن في بعض الأحيان، حتى أقل قدر من المساعدة يمكن أن يكون كافياً لإحداث تغيير».

ابتسمت ستيفاني قائلةً: «أوين يحاول بالتأكيد».

رمقتها غريتشن وقالت: «هذا ما يفعله إذاً، إن ذلك الفارس الأزرق... أزوريوس أليس كذلك؟ إنه يذكرني بابنك أوين».

فزعت ستيفاني وقالت: «أوه، كلا».

تابعت غريتشن: «لقد تحدثت ذات مرة إلى أزوريوس هذا كما تعلمين. لقد كان شجاعاً ومهذباً جداً. لقد دافع عنا عندما لم يفعل ذلك أحد. آمل ألّا يتخلّى عنا».

أصرّت ستيفاني على ذلك قائلةً: «لكن الجميع يكرهونه الآن لأنه صديق قزم».

قالت: «نعم، لقد انقلبوا عليه بالتأكيد. هذه هي المشكلة. في بعض الأحيان، لا نحاول أن ننظر أبعد من أنوفنا. لكن، من ناحيةٍ أخرى، تعرض الناس للسرقة والضرب وحكمهم ملكٌ ظالم، ولديهم سببٌ لعدم الثقة بأحد. نحن بحاجة إلى هذا الأزوريوس أكثر من أي وقتٍ مضى». ألقت غريتشن يديها

في الهواء وقالت: «أوه، استمعي إليّ. أنا مجرد امرأةٍ عجوز لم يعد أحدٌ يهتم لأمرها. وما أدراني؟». ضحكت على نفسها، ثم استدارت وابتعدت، وهي تجر ساقيها.

أرادت ستيفاني أن تقول شيئاً للسيدة العجوز، لكنها لم تستطع. واكتفت بمراقبتها وهي تبتعد.

مكتبة الطفل

t.me/book4kid

إحدى قنوات

مكتبة

18

عـادت سـتيفاني مـن القرية لتجد أوين يقف عند الترسـانة. دخلـت وراقبتـه بصمـتٍ للحظـات وهـو يصقـل درعـه ويبـدي إعجابه بلمعانه. ضج الكهف بالحياة بسبب ضوء المشاعل على الجدران، وكان الدفء ينبعث من الغرفة الكبيرة.

مشت ستيفاني بهدوءٍ نحو السيف الأزرق ورفعته برفقٍ عن الطاولة.

شـهق أويـن متفاجئـاً عندمـا رأى والدتـه وقال: «يـا للهول، توخي الحذر يا أمي».

سألته ساخرةً: «ألا تثق بي؟».

قال: «أنا لا أعرف ماذا سـأفعل إذا جرحت يدك أو أصابك أي ضرر».

قالت: «من المدهش كيف يلمع عندما تُحركه، لم يسبق لي أن رأيت مثل هذا المعدن».

قال: «كان يجب عليكِ رؤية الحجر الكبير الذي صُنع منه. كان غريبـاً جـداً، إنـه كبيـر الحجم وخفيف الـوزن. لا عجب أن الملك أراده بشدة خصيصاً إن علِم أنه يستطيع صنع شيءٍ رائعٍ

منه».

قالت: «حسناً، لقد استطاع حمايتك من التعرض للأذى في العديد من المرات. كيف تعتقد أنك ستكون من دونه؟».

سأل أوين: «ماذا تقصدين؟».

قالت: «هل تعتقد أنه يمكنك القتال من دون الدرع؟».

أجاب: «هـا، لا أعلـم. أعني، لقد تعلمـت كثيراً من أوثغار وتدربـت، لـذا فأنا أعرف بعض الأشـياء، لكن يجب أن أعترف، الدرع والسيف يجعلانني أكثر شجاعة لعلمي أنني لن أتأذى وأنا داخل الدرع؛ سأكون بأمان عندما أرتدي الدرع».

سألت: «هل تتألم عندما تتعرض للضرب؟».

قـال: «كلا علـى الإطلاق، ولكنني أتألم كثيراً عندما أسـقط أرضاً. أشعر عندما أتلقى الضربات ولكنني لا أتألم».

قالت: «أنا ممتنّةٌ لذلك».

قال أوين ضاحكاً: «وأنا كذلك».

قالـت: «كمـا تعلـم، أنا فخورةٌ بك حقـاً يا أوين. لقد فعلت الكثير من أجل شعبنا على الرغم من أنهم لا يعاملونك جيداً».

هـزّ أويـن رأسـه وقـال: «كفاكِ. لقد كرهونـي بصفتي أوين، وأحبونـي بصفتـي أزوريـوس، أمـا الآن، فأعتقـد أنهـم يكرهون الشخصيتين».

قالت: «يمكنهم أن يحبوك مرةً أخرى».

سأل أوين متحمساً: «حقاً؟ متى يُفترض أن يحدث ذلك؟».

أجابت: «عندما تخلصهم من الرعب الذي يسببه كالوريث».

قال أوين مصدوماً: «ماذا؟ أصبحتِ تريدين أن أحاربه الآن؟ أنا مرتبكٌ للغاية. هل أنتِ على ما يرام يا أمي؟».

ضحكت ستيفاني قائلةً: «نعم، أنا بخير. في البداية اتهمت أوثغار بالأنانية، معتقدةً أنه يريدك فقط أن تحارب التنين لإعادة الأقزام، لكن بعد ذلك أدركت أنني كنت الوحيدة التي أفكر في نفسي. كنت قلقة، أخشى أن أفقدك، لكنني الآن أعتقد أنك ستكون بخير ما دمت ترتدي الدرع. علاوةً على ذلك، يحتاجك الناس والأقزام».

قال: «ها، لديهم طريقةٌ غريبة في إظهار ذلك، لكنني أعلم أنهم بحاجة إلى مساعدتي».

سألته: «لا يبدو أنك تريد التخلي عنهم أبداً حتى بعد كل ما فعلته. لماذا؟».

حدّق أوين إلى الدرع الموجود أمامه للحظة، كما لو كان يبحث عن الإجابة في عمق المعدن. ثم قال: «أعتقد... حسناً. أنا أعلم ماذا يعني أن يكون المرء وحيداً، ولا يجد من يقف إلى جانبه، أو يهتم لأمره، إنه ليس بالشعور الجميل». أخفض أوين رأسه وصوته وتابع: «لا أريد لأي شخصٍ آخر أن يشعر بتلك الطريقة. ساعدني أوثغار في إدراك أنه لن يساعدني أحدٌ إذا لم أساعد نفسي أولاً. من السهل إلقاء اللوم على أيّ شخصٍ، لكن إذا لم أظهر لهم أنني بطل، فلن يصدقوا ذلك أيضاً».

قالت ستيفاني مصرّةً: «لكنك لطالما كنت بطلاً بالنسبة إليّ يا أوين».

قال أوين: «أنا أعلم يا أمي، فأنت أمي، من الطبيعي أن تقولي هذا عني».

ضحكت قائلةً: «أوه كفاك».

قال: «أعلم أنك لم تخذليني أبداً يا أمي. على عكس كثير من الناس. خذي على سبيل المثال توم ذا الخطوتين، حاولت مساعدته فغضب مني ووصفني بالغبي. كان بإمكاني أن أطرحه أرضاً، وأسرق بعضاً من مخبوزاته، لكن هذا كان سيجعلني سيئاً مثله. كنت أعلم أنه كان غاضباً لأن كوبينغر كان يسرقه أمام الجميع وكان يعجزُ عن إيقافه، لذا فقد انتقم مني لأنني كنت هدفاً أسهل. أدرك أنه كان غاضباً، لكن مقاومته كانت ستزيد الأمور سوءاً، وسأبدو سيئاً حقاً إذا قمت بدفع رجلٍ عجوزٍ مشلولٍ. لذلك ابتعدت. ربما، سيرى أنه كان مخطئاً يوماً ما».

قالت: «لا شك أن أوثغار أثّر فيك بشكل جيد. هل يقول ولدي ما أسمعه حقاً؟ كم قلت إنك تبلغ من العمر مرةً أخرى؟».

قال: «حسناً، هذا يكفي يا أمي. لقد طرحتِ عليّ سؤالاً جاداً وأنا أحاول...».

ضحكت ستيفاني بصوتٍ عالٍ، وقالت: «لقد كنت أمزح. تعالَ إلى هنا»، مدت ذراعيها لتجذب أوين نحوها وتعانقه، وقالت: «أنا فخورةٌ بك للغاية».

همس قائلاً: «شكراً يا أمي، هل يمكنكِ أن تدعيني وشأني الآن. يفترض بي أن أجهز بعض الأشياء. كالوريث ينتظر».

نادى أوثغار من المطبخ: «أوين، ستيفاني!». هرعا من دون

أن يتلفظا بكلمة واحدة لمعرفة ما إذا كان أوثغار على ما يرام.

رأى أوين صديقه يتكئ على كرسي. فسأله: «هل أنت بخيرٍ يا أوثغار؟».

أجابه: «أنا بخير. لكنني أشعر أن الوقت قد حان. خرجت لأستنشق بعض الهواء، فرأيت كالوريث يتجه نحو القرية. يجب أن نتصرف الآن يا أوين. لا يمكننا السماح بوقوع المزيد من الأضرار أو إزهاق مزيد من الأرواح. استعد».

قال أوين: «نحن؟ مستحيل، أنت بالكاد تستطيع المشي. يتوجب عليّ القيام بذلك بمفردي. ستبقى أنت هنا برفقة أمي».

قالت ستيفاني: «إنه محقٌّ يا أوثغار، لا يستطيع أيٌّ منّا فعل الكثير. تعال إليّ يا أوين، سأساعدك في ارتداء درعك».

19

نـزل أويـن الجبل بأسـرع ما يمكنـه، ولم يمضِ وقتٌ طويل على سماع صوت جناحي كالوريث وصراخه العالي حد الجنون. كان تـرس أويـن علـى ظهره وسـيفه فـي غمده لكـي يتمكن من التحرك بحريةٍ وهو ينزل إلى أسفل الجبل.

وصـل إلـى طرف الغابة وركض إلى وسـط القرية. كان رجال الملـك قـد وصلـوا بالفعـل، وكانـوا يحاولون جاهدين منـع التنين الضخـم مـن الاقتـراب أكثر من اللازم مـن القلعة. انقض كالوريث علـى الأرض، ونفـث النـار عليهم مثل مطـرٍ من الجحيم. بدا الأمر وكأن كالوريث يتحرك إلى الأعلى والأسفل بواسطة تيارات الهواء، وكأنه يلعب مع البشر الصغار في الأسفل، ويطرحهم جانباً كالذباب.

كان الملـك قـد أمـر بنصـب عدة مجانيـق، ولكن كالوريث استطاع تفادي الصخور الكبيرة عند اقترابها بقمة السهولة.

أطلـق الرماة أسـهمهم نحوه بيـأس، لكنها ارتدّت من جلده المدرع، لتسقط مثل الغبار على الأرض.

انطلـق أويـن عبر القريـة بينما كان الناس ينظرون إلى التنين خائفين، انهمك الجميع في المعركة لدرجة أنهم لم يلمحوه أثناء

مروره، وكأنه ضبابٌ أزرق.

انضم إلى المعركة ملوحاً بسيفه ودرعه، في محاولةٍ لإحباط هجمات التنين.

بحلول الوقت الذي وصل فيه، كان معظم رجال الملك المدرعين قد سقطوا، ولم يبقَ إلا القليل منهم، فصرخ أحد الفرسان مصدوماً لرؤية أوين ينضم إليه: «ما الذي تفعله؟ لقد عصيت الملك وعليك أن تسلم نفسك إلى جلالته الآن».

سأل أوين بصوته المكتوم تحت خوذته الزرقاء: «حقاً؟ هذا الشيء يحاول قتلنا جميعاً، وأنت تود إلقاء القبض عليّ؟ هل أنت جاد؟».

تشتّت تفكير الفارس وهو بالكاد يستطيع النظر إلى أوين وقال: «حسناً...»، وقد علم أن التنين كان يعيث فساداً مجدداً أكثر مما يمكن للفارس الأزرق أن يفعل.

صرخ أوين: «تعالَ. لا تقف هناك، علينا أن نوقف التنين لكي نتمكن من حماية الجميع».

ركض أوين نحو التنين الذي كان يلتف ويتلوى في الهواء، مطلقاً نيرانه المميتة عبر القرية. أُثقل الهواء بالسخام والدخان مرةً أخرى، إلى درجة أنه حجب أشعة الشمس.

توجه كالوريث إلى شرق القرية، واستدار فجأةً مقترباً من الفرسان المدرعين أدناه. فركض أوين باتجاهه، شاهراً سيفه عالياً في الهواء في الوقت الذي انخفض فيه كالوريث، وتوجه صوبه مباشرة.

ركض أوين أمامه وهو يصرخ: «اااااه».

نظر كالوريث إلى الإنسان الأزرق الصغير في الأسفل، وتابع هبوطه نحوه، حتى أنه بالكاد منع جانبه السفلي الضخم من ملامسة الأرض. رأى أوين كالوريث وهو يهبط، ثم أنزل فكّه الضخم، فظهر صفان من الأسنان المدببة. فهمس في نفسه: «آه، أوه»، متخيلاً نفسه قد أُكل بقضمةٍ واحدة.

عندها انبطح أوين أرضاً، لكنه أبقى سيفه موجهاً إلى الأعلى بينما حاول أن يلتصق بالأرض قدر الإمكان. استطاع أن يسمع شهقات سكان القرية وفرسان الملك بينما طار كالوريث فوق أوين مطلقاً سحابةً من الغبار، غطت الأرض. لم يتمكن أحدٌ من رؤية أوين، لكنهم سمعوا صوت انسحاق معدن.

رفع كالوريث رقبته، وجذب نفسه إلى الأعلى، بينما كان المتفرجون ينتظرون ليروا ما إذا كان أوين لا يزال هناك.

صرخ أحدهم: «لقد أكله!».

رد شخصٌ آخر: «لا يُعقل!».

ثم راقب الجميع في صمت كالوريث وهو يُحلق عالياً، عندما استقر الغبار ببطء، ظهر أوين واقفاً، يتألق ببراعة على الرغم من العاصفة الترابية من حوله. هتف الحشد، واحتفلوا بينما كان أوين ينظر حوله في محاولةٍ لاستعادة توازنه. لم يكن متأكداً، ولكن بدا أن الفرسان المتبقين كانوا يحتفلون أيضاً.

قال لنفسه وهو يقف منتصراً: «إنهم ما زالوا يحبونني. لقد كان ذلك وشيكاً».

فجأةً، أطلق كالوريث صيحةً زلزلت الأرض، نظر أوين إلى الأعلى، فرأى قطرة دم تسقط وتتناثر على الأرض. لقد تم بتر أحد جانبي طرف ذيل كالوريث بواسطة سيف أوين. كان للذيل المدرع شريحتان من الجلد ذي اللون الأحمر، لا بدّ أن إحداهما قد علقت بالسيف عندما هاجم أوين.

أطلق كالوريث صيحةً عاليةً أخرى، واستدار قبل أن ينقضّ نحو الفرسان. حاولوا الركض، لكن الوحش ألقى رأسه بزاوية، وأطلق النار إلى الجانب الآخر، فاندلعت النيران في الفرسان المدرعين. فوقف أوين وحيداً لمواجهة الوحش.

رآه كالوريث، وضيّق فتحة عينيه، وكأنه يحدد مكان فريسته، ثم قفز في الهواء. شعر أوين بالقشعريرة تسري من أعلى عموده الفقري وصولاً إلى أسفل قدميه. رمقه التنين بنظرة من عينيه خضراوي اللون، نظرة تكاد تكون كمثقابٍ ضخم، تنهش أوين وتثير أعمق مخاوفه، وتُظهر ما تبقى على ملامحه. شعر أوين بالبرد، وكأنه تجمد حتى لم يستطع الحراك. تقدم كالوريث فتمكن أوين من رفع ترسه في اللحظة الأخيرة بينما ارتفع التنين إلى الأعلى حتى تلامس الجزء العلوي من صدره مع الترس. رُمي أوين في الهواء وترافق ذلك مع صوت قعقعة معادن.

شعر أوين وكأنه يطير مثل كالوريث عند سماعه أزيزاً يرتطم بخوذته في الهواء، إلا أنه خرج عن نطاق السيطرة، وارتد محدثاً صوتاً هائلاً على الأرض. حلق التنين عالياً ثم عاد برشاقة إلى الأرض، وهبط بجانب أوين.

أطلق صرخةً مدويةً في الهواء كما لو كان يحذر المتفرجين ألا يقوموا بما فعله أوين.

صمت سكان القرية، حتى أن بعضهم بكى، عندما خطا كالوريث خطوةً نحو أوين، وهو يضرب الأرض بقدمه كبيرة المخالب، ثم أحنى رأسه إلى الأسفل، وزفر نفساً هائلاً من الدخان من خلال فتحتي أنفه باتجاه أوين. نظر كالوريث إلى ضحيته، ورفع مخالبه فوق جسده الثابت، استعداداً لتسديد ضربته الأخيرة، لكنه بدلاً من ذلك دفع جسد أوين كما لو كان فريسةً مهزومة.

أطلق كالوريث صيحة رضا، ودفع بجسده الضخم في الهواء، موجهاً نفسه مباشرةً إلى قلعة الملك. ولكنه لم يلاحظ ارتعاش جسد أوين وأنه بدأ يتحرك في الوقت الذي كان يُحلق فيه.

صرخ توم ذو الخطوتين، الذي حاول الاختباء خلف الأشجار المتبقية التي لم تحترق بعد أو التي لم تكن مشتعلة الآن: «إنه على قيد الحياة»، جلس أوين وهو يشعر بالدوار ويتألم من كل صوب. استند على إحدى ركبتيه، محاولاً تجاهل الألم. ثم قال لنفسه: «لا يمكنني الاستسلام». فاندلع الحشد مرة أخرى في ابتهاجٍ وضحك، وبدأوا في الهتاف: «أزوريوس!»، بصوتٍ واحدٍ، حتى أصبحت القرية بأكملها تهتف بصوتٍ واحد، وعالٍ.

بدأ كالوريث بمهاجمة القلعة، لكنه استدار عندما سمع الضجة خلفه. صرخ في الهواء وأطلق النار باتجاه الفريسة الزرقاء

عندما رآه يقف مرةً أخرى. لم يستغرق الأمر سوى ثوانٍ قبل أن يصل إلى أوين.

صرخ أوين: «تعال يا كالوريث. لم أنتهِ منك بعد».

أرجع التنين رأسه، كما لو أنه يفهم ما قاله أوين، ودفع جسده إلى الأمام بينما ظل ثابتاً على الأرض، مطلقاً شعلةً هائلةً مباشرةً باتجاه أوين.

وقف أوين، ورفع ترسه ليحمي نفسه. أدت الحرارة المنبعثة من لهيب التنين إلى زيادة درجة حرارة ترسه وخوذته، فتشبث أوين بإحكام في الوقت الذي تعرق فيه جسده ويداه بسبب النيران. كان يشعر بوهج الحرارة المتردد من خلال درعه الذي أضاء بلونٍ أزرق أغمق من أي وقتٍ مضى. كان تبايناً رائعاً بين اللهب الأحمر والأصفر والبرتقالي على المعدن الأزرق الغامق بالنسبة إلى المتفرجين؛ كالنار والجليد.

قاوم أوين النيران المتواصلة وصدها، وسار ببطءٍ حتى أصبح أكثر قرباً من مصدر النار. كانت كل خطوةٍ صراعاً حيث اندفعت النيران إلى الأمام مثل ريحٍ عاصفة، لكن أوين استمر في الصراخ لتشجيع نفسه في كل خطوة. شاهد الحشد في رهبة هذا الإنسان الصغير، الذي يبدو غير مهم للغاية على الرغم من توهجه، وهو يقاوم الوحش المرعب الذي سبب لهم معاناة ما بعدها معاناة.

اقترب أوين، واندهش للشيء المروع الذي يحدث على الرغم من جهوده. بدأت حواف الترس تصبح ليّنة بينما استمر

التنين في محاولة حرق أوين. لقد أصبح المعدن ساخناً لدرجة أنه بدأ يتحول إلى سائلٍ بالفعل. شعر أوين أن الترس يتلاشى، ويسقط على الأرض مثل الماء الكثيف، وأخذت حرارة درعه ترتفع أيضاً، لدرجة أن جلده بدأ يحترق تحته.

شجع أوين نفسه: «يجب أن أتماسك، أوشكت على الوصول»، لكن الحرارة كانت شديدة جداً. فبمجرد أن اقترب من فم كالوريث الضخم، تضاءلت قوته بسبب الجحيم المنبعث. جثا أوين على إحدى ركبتيه ثم عليهما معاً. لم يتبقَّ من درعه إلا مجرد مقبضٍ في يده الآن وبدأ يفقد وعيه.

فجأةً، اندلعت ضجةٌ بين الحشد. سمع أوين صرخة حرب وأصواتاً قوية في مكانٍ قريب، لكنه لم يستطع رؤية ما وراء النار المندلعة أمامه. لم يكن لديه أيّ فكرةٍ عن وصول المساعدة.

ارتطم رأس كالوريث بقوةٍ على الأرض أولاً، ثم تبعه جسده الضخم، فتعالت الهتافات من كل صوب. نظر أوين إلى الأعلى، فرأى سلسلةً ذهبيةً ثخينة حول الجزء العلوي من رقبة كالوريث تجبره على الانخفاض أرضاً. نظر أوين إلى نهايات السلسلة ليرى جيشاً من الأقزام يعملون بجهدٍ على دقّ مسامير كبيرة في الأرض في محاولةٍ لتثبيت كالوريث.

بالكاد صدّق أوين ما تراه عيناه. ارتفع المزيد من السلاسل الذهبية عالياً في الهواء، وأمسكت بجسد كالوريث بإحكام. ثم أخذت الأفواج تظهر من طرف الغابة وخرج البشر لمساعدة الأقزام في تثبيت المسامير بشكلٍ أعمق والمساعدة في إحكام

السلاسل. عندها رأى أوين أن الفرصة سانحة له، فسحب سيفه، وركض نحو رقبة التنين الضخمة، بعد أن تمكن من الهرب بصعوبةٍ من محاولة الوحش الإمساك بجسده بين فكيه الهائلين. تساءل أوين: «أين كانت نقطة الضعف تلك؟ ذكر أوثغار شيئاً عن قربها من قلب التنين». بحث أوين، لكنه لم يتمكن من رؤية سوى حراشفه الملساء التي تشبه الصفائح. كانت السلاسل تبقي صدره منخفضاً جداً. لذلك لم يكن لدى أوين طريقة للوصول إليها.

استمر كالوريث بالالتفاف والمناورة. في البدء، ثبتته السلاسل بإحكام في مكانه، لكن سرعان ما بدأت المسامير تتخلخل. عمل كلٌ من الأقزام والبشر بجهدٍ كبير لإبقائها في الأرض؛ ومع ذلك، كانت قوة كالوريث أكبر من أن يبقوه ثابتاً. حاول أوين الاقتراب من التنين، بينما تحرك جسده بشراسةٍ ذهاباً وإياباً وبقوة حتى أصبح من المستحيل إحراز أي تقدم.

تقدم أوين، محاولاً بلوغ هدفه غير المرئي، عندما دفعته تحركات كالوريث الهوجاء، مما أدى إلى رميه إلى الخلف فانفلتت الخوذة عن رأسه. فسقط أوين وأدرك أنه مكشوف.

بعد ذلك، تحرك كالوريث قليلاً إلى جانبه، فتمكن أوين من رؤية جلد التنين الأملس الطري حيث موضع قلبه. كانت خوذته على بعد أمتارٍ قليلة، إن استطاع الإمساك بها واعتمارها، فسيكون محمياً من جديد، ولكنه قد لا يتمكن من الحصول على فرصةٍ ثانية. لم يكن لديه الوقت الكافي للنظر في عواقب أيّ من الأمرين.

ركض أوين، وقفز نحو هدفه المحاط بالحراشف الحمراء الضخمة رافعاً سيفه فوق رأسه بكلتا يديه. قفز إلى الأعلى وصرخ: «رااااه»، دافعاً السيف نحو التنين بكل ما لديه من قوة. اخترق السيف كالوريث بسهولة فانتفض لا إرادياً، ملقياً أوين جانباً، فارتطم رأسه بالأرض.

انتفض جسد كالوريث وارتعش لبضع ثوانٍ ثم توقف فجأةً مثل نهايةٍ مفاجئة لعاصفةٍ رعدية. خرج الزفير الأخير من أنفه، وأُغلقت عيناه. وأخيراً، انتهى رعب كالوريث.

كان رأس أوين ينبض وعيناه مشوشتين. شعر بالتعب الشديد والألم في جميع أنحاء جسده. فتح عينيه ببطء، وتقلب من شدة الألم.

سأل صوتٌ خشن يقف بالقرب من أوين: «هل أنت بخير؟».

مرت لحظات قبل أن يجيب أوين. لقد كان صوتُ قزم، لكنه لم يكن أوثغار. مدّ القزم يده، وساعد أوين على النهوض.

فمد يده لقبول المساعدة وقال: «شكراً». ولكن ما أثار دهشته أن القزم سحبه بقوةٍ غير متوقعة. نهض أوين بسرعة، فآلمه جسده من الهزة المفاجئة.

نظر أوين إلى الجسم الأحمر الضخم وقال: «نعم، أنا بخير. هل هو...؟».

أجاب القزم: «نعم. لقد قضيت عليه. أخيراً، انتهى عهد الإرهاب».

تساءل أوين: «من أنتم؟ ولماذا ساعدتموني؟».

قال: «ادعى روان ستونفيست. أنا من نسل أولئك الذين كانوا يسكنون هذه الأراضي، سمعنا حكايات التنين، التنين كالوريث، فقررنا بعد كثير من المداولات، أن نعود ونرى ما إذا كانت القصص صحيحة. لم نكن متأكدين إن كان يجدر بنا القدوم، لكن عندما سمعنا عن قزمٍ أسير وعنك، أيها الفارس الأزرق، تأكدنا من صحة ما سمعناه. كان هناك شخصٌ شجاعٌ وعنيدٌ عاد إلى هذه الأرض بينما بقي البقية مختبئين. إنه أحد أصدقائي القدامى، اسمه أوثغار. أيعقل، أنه من يساعدك؟».

أجاب: «نعم، إنه صديقي. إنه يتعافى في الكهف الآن. لقد أصيب بجروحٍ بالغة منذ فترة، لكنه سيكون على ما يرام».

قال روان مع إيماءةٍ حثيثة: «إنني أتشوق للتحدث إليه».

أجاب أوين: «بالطبع، بمجرد...»، ثم توقف. ما زال أهل القرية هناك، لكنه كان يوليهم ظهره. فقال: «هناك شيء يجب أن أفعله أولاً».

أومأ روان الذي مدّ يد العون مجدداً: «حسناً. لقد كانت هناك نبوءة أن هناك إنساناً سوف يقتل كالوريث ويلم شملنا. وتبين أنه أنت، وقد سعدت بمعرفتك».

ارتبك أوين، ولم يعرف كيف يجدر به أن يجيب: «شكراً، إنه لشرفٌ كبير أن ألتقي بك أيضاً».

انحنى أوين ورفع خوذته. نظر إليها في يديه لبضع ثوان، ناقش داخلياً ما إذا كان سيعتمرها أو يكشف عن هويته. وفكر في نفسه: «ربما حان الوقت لأن يعرفوا».

استدار أوين لمواجهة الحشد. كان أهل القرية، رجالاً ونساءً وأطفالاً وأقزاماً، يقفون معاً. صدم البشر عندما نظروا إلى أوين.

سألت ريبيكا: «أوين؟ مستحيل، آه. لا يُعقل أن تكون الفارس الأزرق. هذا مستحيل. لا يمكن لقزمٍ مثلك أن يقتل تنيناً أبداً».

ضحك أوين في سره وقال: «مفاجأة. هذا أنا، لكن عليّ أن أشكركم جميعاً. أشك في أنه كان بإمكاني فعل أيٍّ شيء من دونكم جميعاً، البشر والأقزام».

جاءت ستيفاني راكضةً نحو ابنها، واحتضنته مرةً أخرى في عناقٍ هائل وصرخت باكيةً: «ولدي أوين! لقد فعلتها، لا أصدق أنك فعلتها. أنا فخورةٌ جداً بك». وعندما تعانقا تحلق الجميع حولهما.

قال: «كلا يا أمي، لقد فعلنا ذلك. كلنا معاً».

اقترب توم ذو الخطوتين من أوين عازماً على الكلام، ولكنه كان مذهولاً للغاية. وقال: «أنت...» كان هذا كل ما تمكن من نطقه.

قال أوين: «أهلاً يا توم».

قال: «أنت، أنت... لكن كيف؟». كان ارتباك توم مضحكاً لأوين.

أجاب: «نعم، أنا».

ابتعد أوين عن والدته بينما كان الجميع ينظرون إليه. وقال: «اليوم هو يومٌ جديد. لقد حان الوقت، لكي يلتم شملنا نحن البشر والأقزام ونعيش مرة أخرى في سلام ونتكاتف معاً. نحن

مدينـون بحريتنـا مـن كالوريث إلى الأقـزام». نقّل أوين نظره من حوله من وجهٍ إلى وجه، مسـح المنطقة بعينيه، وشـاهد الابتهاج على وجوه الجميع وقال: «عودةٌ مجيدة!».

انبعـث هتـافٌ احتفالـيٌ ضخم في الهواء، ولكن على الرغم من الإثارة والراحة التي شعر بها القرويون، لم يشاركهم الجميع المشـاعر نفسـها. وقـف الملـك الحانـق فـي الأعلى، مـن قلعته المطلـة علـى القريـة، ينظـر إلـى التنين المجنـح الأحمر الضخم الميـت ويسـمع الهتافـات. وقد غطى وجهه بعباءةٍ سـوداء ملقياً بظله المفعم بالشر من حوله.

قال: «لم تنتهِ معركتنا بعد يا أزوريوس».

مكتبة الطفل

t.me/book4kid

إحدى قنوات

مكتبة

الفارس الأزرق

تسلّط رواية الفارس الأزرق الضوء في أسلوب روائي هادف على مشاكل اجتماعية تتمثل في التمييز والتنمر.

يعيش بطل القصة أوين مع والدته في إحدى القرى الصغيرة، ويكون عرضة للتنمّر والتوبيخ من قبل كل شخص يصادفه، ولكن حياته تنقلب رأساً على عقب، عندما يلتقي بصديق غير عادي، يقطن الجبال المجاورة. في البدء، يسعى الصديقان لاكتساب ثقة بعضهما، ثم وعبر صفحات الرواية نرى كيف أصبحا يقدّران نفسيهما ويتبادلان الاحترام في جوّ من التسامح. من خلال مغامراتهما يعلماننا كيف نتصدى للكراهية.

سيعلم هذا الكتاب الناشئة بطريقة غير مباشرة كيفية الحصول على حلول للمشاكل التي تواجه حياتهم، ويتيح لهم أن يكونوا منتجين وإيجابيين.

ولد **ريموند ماكغريغور** في سودبيري، أونتاريو، حبه للأدب جعله يدرسه، ويتخصص فيه، ويحصل على إجازة بالأدب الإنكليزي مع مرتبة الشرف، بالإضافة إلى عمله في مجال الكتابة يعمل ريموند مدرّساً ثانوياً أما في أوقات فراغه فيستمتع بالصيد، وعزف الموسيقى، والرسم، والمطالعة.

صدر من هذه السلسلة:

t.me/book4kid

ISBN: 978-614-01-3398-3

منحة الترجمة
Translation Grant
صندوق منحة الشارقة للترجمة
Sharjah Translation Grant Fund

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com